

**PRINCIPLES OF LEARNING AND EDUCATION
IN ARABIC LITERATURE**

**FROM THE FIRST CENTURY AH TO THE FALL OF THE
OTTOMAN SUCCESSION**

THESIS

Submitted by

MUHAMMED SHAFI .PK

For the award of the degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

Under the supervision of

Dr. ABDUL MAJEED. E

(Head of the Arabic Department)



University of Calicut

Kerala- India

2018

مبادئ التعلّم والتربية في الأدب العربي من القرن الأوّل الهجري إلى سقوط الخلافة العثمانية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي
قدّمها
محمد شافع . في ك

تحت إشراف
الدكتور. عبد المجيد إي
(رئيس القسم العربي بجامعة كاليكوت)



كيرلا - الهند

٢٠١٨

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled “ Principles of learning and Education in Arabic literature from the first century AH to the fall of the Ottoman succession” submitted for the award of the degree of doctor of philosophy in Arabic is a bonafide study and research work done by Mr. MUHAMMED SHAFI. PK under my guidance and supervision and that no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any degree/ diploma in any university.

Dr.ABDUL MAJEED.E

Head of Arabic Dept

Universiy of Calicut

DECLARATION

I hereby declare that this thesis entitled “Principles of learning and Education in Arabic literature from the first century AH to the fall of the Ottoman succession” has been written by me under the supervision of Dr. ABDUL MAJEED.E Head of Arabic department, university of Calicut, in fulfillment of the requirements for the award of the degree of doctor of philosophy in Arabic. I am also declare that this thesis is the result of my own effort and that no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any degree / Diploma in any university.

C U Campus

MUHAMMED SHAFI.PK

Reseach Fellow

Depatment of Arabic

Universiy of Calicut

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٠٧	مقدمة
١٠	تحليل العنوان
١١	دوافع الاختيار
١١	أهمية البحث
١٢	أهداف البحث
١٣	منهج البحث
١٣	خطّة البحث
١٤	كلمة الشكر
١٩	الباب الأول- عملية التعلّم والتربية
٢١	الفصل الأول- العلم والتربية في القرآن الكريم.
٣٤	الفصل الثاني- العلم والتربية في الحديث الشريف
٤٧	الفصل الثالث- اعتناء الصحابة والتابعين بالعلم والتربية.
٦٥	الباب الثاني- مبادئ عمليّة التعلّم
٨٢	الفصل الأول- العوامل المهمّة لتنشيط الطلاب ودفعهم إلى التعلّم.
٩١	الفصل الثاني- تقسيم العلم إلى مادّي ودينيّ
١٠٥	الباب الثالث:- شخصية المعلّم وأثرها في عمليّة التعلّم.

١٣٣	الباب الرابع- مبادئ التربية.
١٣٣	الفصل الأول- مفهوم التربية ومدلولاتها واصطلاحاتها
١٣٦	الفصل الثاني- أهمية التربية وأهدافها.
١٣٨	الفصل الثالث- أنواع التربية
١٣٨	• التربية الإيمانية
١٦٦	• التربية الخلقية
١٨٤	• التربية الجسمية
٢٠٠	• التربية العقلية
٢٠٩	• التربية العملية
٢٢٢	• التربية الاجتماعية
٢٣١	• التربية الجنسية
٢٣٧	• التربية الأدبية
٢٣٩	الفصل الرابع- وسائل التربية.
٢٤٦	المطلب الأول - ضوابط العقوبة البدنية.
٢٤٧	المطلب الثاني - بعض الوسائل التربوية الخاطئة.
	الباب الخامس- العلماء المشهورون و آراؤهم القيّمة في ميدان التعلّم
٢٥٣	والتربية.
٢٩٣	خاتمة البحث.
٢٩٧	المصادر والمراجع

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أبان لعباده مبادئ التعلّم والتربية القويمة في قرآنه المجيد، وأوضح للعالمين مناهج الخير والهدى والصلاح والفلاح في أحكام شرعه السديد، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد الذي بعثه الله مؤدّباً ومعلّماً للإنسانية جمعاء وجعله أفضل مؤدّب وأجمل معلّم حتى أمام جيل جديد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين أعطوا الأجيال المتعاقبة نماذج فريدة في التعلّم والتربية وشحذوا أقلامهم وحركوا هممهم وعزائمهم ليكتبوا في حقل التعلّم والتربية بأسلوب فريد، وأبانوا للجيل الحاضر طريق العز والقوة ووضّحوا لكلّ ذي عينين من أبناء الإنسانية الوسائل العملية التي تؤدّي إلى إقامة المجتمع الفاضل وتكوين الجيل المثالي الرشيد، حيث قال الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"^١ أما بعد،

فهذه محاولة متواضعة لإعداد أطروحة بحثية دراسية تحليلية عن "مبادئ التعلّم والتربية في الأدب العربي، من القرن الأول الهجري إلى سقوط الخلافة العثمانية". ولا غرو أنّ موضوع التعلّم والتربية ومبادئها موضوع جليل الشأن في كل العصور وفي كل الأمم. وقد اعتنى به الباحثون من العلماء والفلاسفة فألفوا فيه رسائل كثيرة وصنّفوا فيه تصنيفات قيّمة، ولا يزال هذا الموضوع موضوع اهتمام المفكرين والمصلحين منذ عهد قديم.

وممّا لا ينكره ذو عقل سليم، أنّ مجالات الحياة كلّها لا تزال تتغيّر وتتجدّد يوماً فيوماً، وقتاً بعد وقت. فمن ضروريّات العصر تغيير العمليّات الدراسية والتربوية وتجديدها وتنسيقها وتنظيمها وتزيينها حسب بيئة الأطفال والمربّين بناء على الأفكار

(١) سورة الجمعة، رقم الآية: ٦

والبحوث والاكتشافات لكلّ من لهم يد طولى في هذه العملية الخيريّة اعتمادا على نظرة "من الصحيح إلى الأصحّ" "ومن الواضح إلى الأوضح" حتى تتحقق تلك الرجاء من إنشاء جيل واع عن قيم الحياة وصالح لمجتمع مثاليّ، ومتفهمّ لما للتعلّم والتربية من الأهمية والنتائج الإيجابية بين الأمم والشعوب.

ولا شكّ في أنّ هذه الدراسة تساعد لتنمية القوى الدافعيّة لدى الطّلاب إلى التعلّم وتدريبهم وتعريفهم على وسائله المختلفة وأساليبه المتنوعة وجعلهم على استعداد كامل وكفاءة مطلوبة ممدوحة حتى يعيشوا في أيّ قطر من أقطار الأرض آمنين مطمئنين على نضج تامّ عمليّا ونفسيّا وعقليّا وروحيّا، كما أنّها تشجّع المربيّن على قيامهم بمسؤوليّتهم الملقة على عواتقهم بلا إفراط ولا تفريط، وتوقظهم من سبات الغفلة وتنبّههم بأخذ الاستعدادات الكافية عند قدومهم على هذه المهنة الفضيلة. فيوم يفهم التلامذة ما لعمليّتهم من الفضائل والأهمية والاعتبار والفخر والشرف -لا شكّ- يقومون باغتنام جميع الأوقات والفرص المتاحة لهم لتوسيع دوائر العلم والمعرفة، ويوم يعرف المرّبون والمعلّمون بأنّ الذي يقسمونه بين تلامذتهم إنّما هو ميراث الأنبياء لا غير، وأنّ مهنتهم في الحقيقة مهنة الأنبياء والمرسلين من تطهير القلوب وتزكيتها وملئها علما وحكما ونورا-لا شكّ- يقومون بأداء المهمة على وجهها الصحيح في تنشئة الأولاد على أساس الإسلام وتربيتهم على الأخلاق الكريمة وتعريفهم على تعاليم الإسلام الفاضلة.

ومما لا ينكره أحد، أن لممارسة العملية التربوية أهمية كبيرة في حق الفرد وفي حق كل من تلزمه التربية لأنها مسؤولية مناطة بكل من استرعاه الله رعية حيث قال ﷺ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" كما أن للتربية فوائد عديدة تعود على الفرد فإنها عبادة لله، وعزة وكرامة للفرد في حياته وبعد مماته، وعلى الأسرة، فإن التربية الصالحة مهمة عظيمة في الأسرة لأن قيام الأبوين بواجبهما مرضاة للرب، وأداء لحقّ المسؤولية، ووقاية من شرور الأبناء وسعادة للأبوين في الدارين، وعلى المجتمع فإنه إذا تم تربية الأبناء تربية صحيحة سليمة من الشوائب ازدانت البيوت

بالفضائل والمكارم وصالح الأعمال، وبالتالي تسهم في بناء الأسرة الصحيحة من خلال نشر الفضيلة وطرد الرذيلة ومن ثم تظهر آثارها في المجتمع وفي مجالات متعددة من حياة المجتمع الإنساني.

ومن الواضح أن المربي سواء أكان معلّمًا أو أبًا أو أمًّا أو مشرفًا اجتماعيًا حين يقوم بالمسؤولية كاملة ويؤدي الحقوق بكل أمانة وعزم ومضاء على الوجه الذي يتطلبه الإسلام، يكون قد بذل قصارى جهده في تكوين الفرد بكل خصائصه، ومقوماته، ومزاياه، وبعد ذلك يكون قد أوجد الأسرة الصالحة بكل خصائصها ومقوماتها ومزاياها ويكون مع ذلك - من حيث يعلم أو لا يعلم- قد أسهم في بناء المجتمع المثالي الواقعي بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه لتكوين الفرد الصالح والأسرة الصالحة وبناء أمة سليمة قوية متينة تبني الحضارة وتنشر العلم وتبني المجد وترفع بسواعدها الفتية لواء العزة والنصر وتحول اتجاه التاريخ، وتعيد لهذه الأمة مجدها الدائر وعزتها السليبية وكيانها العظيم وما ذلك على الله بعزيز. فلذا كان لزاما على المربين أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والخلق العظيم وعليهم كذلك أن يُبعدوهم عن كل ما يحطم الرجولة والشخصية ويقتل الفضيلة والأخلاق ويوهن العقل والجسد فإنّ في ذلك - لا شك- سلامة لتفكيرهم وقوة لأبدانهم وحفظا لأخلاقهم وسموًا لأرواحهم وحافزا قويًا لتحقيق آمالهم وأمانيتهم.

فهذه بعض أهم الأسس والمبادئ التي رسمها الإسلام في تعليم الأولاد وتربيتهم فإن أدى المربون بمسؤولياتهم بحسن الأداء وقاموا عليها بحسن القيام يتمتع الجيل القادم بالعلم والمعرفة والعزة والمكرمة والقوة والصحة والحيوية والنشاط، ويكونون عالمين بمسؤولياتهم وقائمين بأداء الأمانة الملقاة على عواتقهم ومحققين المسؤولية التي أوجبها الله عليهم ولاقين الله سبحانه يوم القيامة بوجه أبيض في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

تحليل العنوان:

وعنوان هذا البحث "مبادئ التعلّم والتربية في الأدب العربي من القرن الأول الهجري إلى سقوط الخلافة العثمانية".

مبادئ التعلّم والتربية: والمبادئ جمع مبدأ، ومبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها كالنواة مبدأ النخل، أو يتركب منها كالحروف مبدأ الكلام. ومبادئ العلم أو الفن: قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها^٢.

التعلّم: هو عملية يتلقى بها الإنسان المعرفة، وتشتمل تلك المعرفة القيم الإنسانية والمهارات العملية. يقال تعلّم الأمر: أي أتقنه وعرفه^٣.

التربية: وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً كما عرّفها الإمام البيضاوي^٤، وهي كما عرّفها الراغب الأصفهاني "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام".

رَبَا الشيء يَرْبُو رَبْوًا ورُبُوءًا : نما وزاد، وفي التنزيل الحكيم "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت: زادت وانتفخت لما يتداخلها من الماء والنبات. ويقال ربا المال : زاد، ورَبِيَ (في بني فلان) أي نشأ فيهم، ورَبَاهُ نمَاه (وفلاناً) معناه غداه ونشأه ونمى فُواه الجسدية والعقلية والخلقية .

في الأدب العربي: الأدب رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي، ويقال على الجميل من النظم والنثر، وعلى كلّ ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة، والأدب العربي هو مجموع الأعمال المكتوبة باللغة العربية نثراً ونظماً.

من القرن الأول الهجري: والأصحّ أنّ القرن (من الزمان) مائة سنة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنّه مسح على رأس يتييم، وقال له : عش قرنا فعاش

٢) معجم الوسيط، كتب خانة حُسَيْنِيهِ ديوبند، عام ٢٠٠٣ م.

٣) معجم الوسيط، كتب خانة حُسَيْنِيهِ ديوبند، عام ٢٠٠٣ م.

٤) التفسير للبيضاوي، المكتبة التهانوية، بديوبند.

مائة عام^٥، أو أهل زمان واحد قيل هو مأخوذ من الاقتران فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم^٦.

إلى سقوط الخلافة العثمانية: السقوط هو الانتهاء، يقال سقطت الخصومة: إذا انتهت قبل الفصل فيها. والخلافة العثمانية: إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول ابن أرطغرل، واستمرت قائمة لما يقرب من ٦٠٠ سنة.

دوافع الاختيار :

لما طالع الباحث كتاب "تربية الأولاد في الإسلام" للدكتور عبد الله ناصح علوان (من أكثر الكتب مبيعا- كما كتب على جلده) وكتاب "العلم فضله وشرفه" لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية تولدت في نفسه رغبة لا تدفع لتأليف شيء ولو صغيرا فيما يتعلّق بالعلم والتربية، وكانت هذه الفكرة تشغل بال الباحث حيث قام بالترتيب والجمع والتعليق على كتاب "فتح القيوم في آداب طالب العلوم" ثم فكرته عن التعميق في هذا الموضوع ورغبته فيه، دفعته إلى اختيار هذا الموضوع.

أهمية البحث :

وأن لهذا البحث أهمية خاصة بالنسبة إلى الأجيال الإسلامية المعاصرة التي تعلمت وتربت وفق المبادئ التعليمية والتربوية الغربية لأن المبادئ التعليمية والتربوية الغربية قد يخالفها خطأ غالبا، لأنها لم تكن مستندة إلى أي دليل قاطع. وأما المبادئ التعليمية والتربوية الإسلامية فهي منزهة عن الخطأ لأنها مؤكدة بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومما لا يخفى على أحد، أنه لا توجد حضارة بشرية على مر العصور تخلو من التعلم والتربية، فيها تنشأ ثقافة الأمة ومدنيتها حتى تزهو وترتقي إلى مستوى العالم، ولا غرو أنه لا تربية إلا بالعلم ولا علم إلا بالتربية فهما منوطتان بالأخرى حيث لا يمكن

٥) تنوير القلوب في معاملة عَلام الغيوب للشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي، مكتبة إشاعة الإسلام، بدلهي- الهند.
٦) المنجد في اللغة، الطبعة الثانية والعشرون دارالمشرق - بيروت.

الفرق بينهما. فمبادؤهما تشتمل على طرائق وأساليب تسهل معها عملية التعلم والتربية في المجتمع لا سيما أمام جيل جديد من الطلاب والمتقّفين والشباب المسلمين.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تحديد وتحليل مبادئ التعلم والتربية في الأدب العربي من القرن الأول الهجري إلى سقوط الخلافة العثمانية فيشتمل على مناهج وطرائق وبها تكون عملية التعلّم والتربية سهلة وبسيطة.

ومن الجدير بالذكر، أن المؤلفات في هذا الموضوع كثيرة من أن تحصى، لأنه لكلّ وجهة هو مؤلّياها ولكلّ نظرية خاصّة مختلفة للآخر في هذا الميدان الواسع حسب بيئتهم وسعة أذهانهم وأخيلتهم، فلذا يكون من المحال تضمين جميع آرائهم ونظرياتهم في بحث واحد، فلذا يريد الباحث دراسة تحليلية في مبادئ التعلم والتربية في الأدب العربي يعني الإسلامي، فإن ذلك يجمعهم في رصيف واحد ويقلل كثيرا من الاختلافات والتناقضات التي تدور بين علماء التربية والتعليم، ثمّ بعد هذا التحليل والتحديد يمكن للباحث إيجاد ما كانت منها موافقة لما يجري في عصره وتطبيقها تدريجا بحسب الحاجة، وإيجاد ماكانت منها غير موافقة له وتركها على أصل "خذ ما صفا ودع ما كدر"، ثمّ إنّ الباحث حدّد الزمن في البحث وحصره إلى سقوط الخلافة العثمانية وذلك أنّ موضوع التعلم والتربية موضوع واسع الأطراف، كثير الآراء، فلا بدّ من تحديد الزمن وحصره إلى وقت معيّن لسهولة البحث وشموليّته.

ولا شكّ أن هذه الدراسة تسوق إلى دراسة تحليلية في مبادئ التعلم والتربية في ضوء القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين، كما تلقي الضوء إلى شخصية المعلّم وأثرها في عملية التعلم، وإلى إرشادات عامة تشجّع الطلبة على التعلّم، ومع هذا تساعد في فهم آراء ونظريات لبعض العلماء المشهورين في ميدان التعلّم والتربية، ويهدف البحث أيضا إلى تحديد آداب المتعلمين وبعض العوامل المؤثرة في إنجاح عملية التعلّم كما يهدف إلى بيان مفهوم التربية وأهدافها وأنواعها ووسائلها.

منهج البحث:

والباحث في معظم هذا البحث اتبع منهج التحليل، حيث قام أولاً بجمع المعلومات والنكت المتعلقة بهذا البحث من المكتبات، ثم حددها واستقرأها وحققها في الباب الأول وانتهج منهج التحليل في الباب الثاني والثالث، حيث إنّه بيّن ويحلّ مبادئ التعلم والتربية في أسلوب سهل يقرب إلى ذهن السامع مضمون البحث، ويسلك مسلك التحليل والتمييز في الباب الرابع حيث إن الباحث بعد تحليل أنواع التربية ونظريّاتها يميّزها من غيرها من النظريات التربوية الغربيّة.

خطة البحث :

قام الباحث بتبويب هذا البحث إلى خمسة أبواب، وقسم أكثر الأبواب منها إلى فصول حسب متطلبات الموضوع عمقا وسعة، وفي نهاية المطاف ختم بخاتمة بيّن فيها أهمّ ما اهتدى إليه البحث من النتائج، وهي كما تلي:

مقدمة

الباب الأوّل- عملية التعلّم والتربية.

الفصل الأوّل: العلم والتربية في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: العلم والتربية في الحديث الشريف.

الفصل الثالث: اعتناء الصحابة والتابعين بالعلم والتربية.

الباب الثاني: مبادئ عمليّة التعلّم.

الفصل الأوّل: العوامل المهمّة لتنشيط الطلاب ودفعهم إلى التعلّم.

الفصل الثاني: تقسيم العلم إلى مادّيّ ودينيّ.

الباب الثالث: شخصية المعلّم وأثرها في عمليّة التعلّم.

الباب الرابع: مبادئ التربية.

الفصل الأول: مفهوم التربية ومدلولاتها واصطلاحاتها.

الفصل الثاني: أهمية التربية وأهدافها .

الفصل الثالث: أنواع التربية.

الفصل الرابع: وسائل التربية.

المطلب الأول: ضوابط العقوبة البدنية.

المطلب الثاني: بعض الوسائل التربوية الخاطئة.

الباب الخامس: العلماء المشهورون و آراؤهم القيمة في ميدان التعلّم والتربية.

خاتمة البحث.

كلمة الشكر :

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والذي وفقّ الباحث لإتمام هذه الأطروحة في موضوع "مبادئ التعلّم والتربية في الأدب العربي من القرن الأول الهجري إلى سقوط الخلافة العثمانية" وفي هذه المناسبة يقدم الباحث جزيل الشكر والتقدير والامتنان من صميم قلبه للدكتور عبد المجيد. إي، رئيس القسم العربي بجامعة كاليكوت، الذي أشرف على هذا البحث وقدم توجيهات مناسبة، والذي كان خير دليل وأحسن مرشد إلى متابعة هذا البحث، والذي بذل من أوقاته الثمينة مشيراً إلى تراكيب ومصطلحات لهذه الأطروحة توضيحاً ومدلولاتها وتحسيناً لأساليبها حتى يصبح البحث جامعاً لمقصوداته ومانعاً لمتروكاته ومكتملاً بصورته، وشجع الباحث على مداومة أعمال البحث، كما يشكر كثيراً من الباحثين والباحثات - لا يريد ذكر أسمائهم - أبدوا آراءهم لتزيين هذه الرسالة ويدعو لهم على ما قاموا به من حضّمهم على معاونته في هذه المحاولة.

ويذكر والده المرحوم الذي دفعه إلى التعلّم منذ نعومة أظفاره، وشجّعه عليه كمرشد، وربّاه في جوّ دينيّ علميّ كمربي مثاليّ، وسعى له سعيا مشكورا كي تقرّ عيناه عاجلا وأجلا، كما لا ينسى خدمات موظّف مكتب القسم العربي- الأخ عبد الشكور، ومساعدات أمين مكتبة القسم - الأخ نصر الدين- جزاهم الله جزاء موفورا.

ويعبّر الشكر والامتنان أيضا للجميع الذين شاركوه في إنجاح هذه المحاولة وساعدوه في إعداد هذه الأطروحة بمساهماتهم القيّمة، وكانوا عوننا ومددا في هذا البحث وفي جميع مجال الحياة، جزاهم الله بما صبروا جنة وحريرا، وسقاهم شرابا طهورا. وأيضا يعبّر عن أخلص مشاعر التقدير والشكر لله جلّ وعلا على توفيقه لإكمال هذا البحث وعلى إنجاح هذه المهمّة العلمية النبيلة لأنّه لولا فضله ورحمته لما وُقِّق لهذا ويسأله أن يجعل هذا ذخرا عظيما يوم يعضّ الظالم على يديه.

الباب الأول
عملية التعلم والتربية

الباب الأول

عملية التعلم والتربية

ومما يثلج الصدور أنّ عملية التعلم والتربية عملية مقدّسة فاضلة لا يساويها أيّ عمل في الفضل والشرف والرفعة والكرامة في العالم، فهي مهمّة الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى في محكم تنزيله، يصف النبيّ محمدا صلى الله عليه وسلّم (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^١، فشأنها عظيم، والسعي لها مشكور، يستحق بها العبد رضا الله وسعادة الدارين. فالعلم أصل كلّ شيء، وسبب كلّ نهضة وإصلاح، وبه أظهر الله فضل أول أنبيائه آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له، وأمر آخر أنبيائه نبيّنا محمدا صلى الله عليه بطلب الازدياد منه حيث قال جلّ وعلا في قرآنه المجيد "وقل رب زدني علما"، وبه فرق الله بين الجاهل والعالم فقال "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" وهو أنفس شيء كنزا، وأعظم شيء ذخرا، خفيف الحمل، لا يخاف عليه اللصّ، يزيد مهما يُنفق منه، وينقص مهما يُكف، ومع ذلك أنه نور إلهيّ يحرق المعاصي، ولا يعطى للعاصي، ينتفع به الناس في الحياة، ولا ينقطع بعد الممات، يزيد إيمان البشر هداية، وأخلاقه حسنا، وسيرته عدلا. وأن العلماء هم زمام الأئمة، وعنان الأمة، بهم يهتدي أهل الملة من الغباوة إلى الرشادة، وهم منابر الإسلام، ومنار الإيمان، تقتبس منها أشعة الهداية والسلام، وهم بروج مشيدة تلجأ إليها الأمة الإسلامية عند اشتباه الطرق والملل.

وأما التربية فهي "تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا" كما عرفها الإمام البيضاوي، فريضة على كلّ من كان في أعناقهم حقّ التربية، ولعظم أمرها أكدّ عليها القرآن في مواضع كثيرة ليسوق انتباهات المربيين إليها وأن لا يغفلوا عنها، وأنذرهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطوا وقصّروا، قال الله تعالى "يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النَّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم

(١) سورة الجمعة، رقم الآية: ١٦

ويفعلون ما يؤمرون" فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء، بل مسؤوليتها أهم وأكبر وأخطر باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشبّ ويتزعرع ويكون رجلا كاملا. والنبى صلى الله عليه وسلم قد أفرد الأم بتحمل المسؤولية حين قال "والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" فإذا قصرت الأمهات في الواجب التربوي نحو أولادهنّ لانشغالهنّ مع صديقاتهنّ واستقبال ضيوفهنّ وخروجهنّ من بيوتهنّ، وإذا أهمل الآباء مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولادهم لانصرافهم وقت الفراغ إلى اللهو واللعب وارتياح القهوات مع الأصحاب والخلان، وانهماكهم في الملاذّ والشهوات، وصرفهم الأوقات فيما لا يعينهم فلا شك أنّ الأولاد سينشؤون نشأة اليتامى ويعيشون عيشة البهائم ويتخبطون في طريق الانحلال والإباحية.

فعلى الآباء والأمهات والمربين التعرف على المبادئ التربوية والمناهج العملية والقواعد التعليمية ليعلموا حدود مسؤوليتهم أولا ثم لتطبيقها ثانيا في حياتهم اليومية تدريجا. فالآباء الذين يعطون لأولادهم حرية مطلقة في مطالعة ما شاؤوا من كتب الملحدين والماديين، والذين يرخون لأولادهم العنان ليخالطوا من رفقاء الزيف والضلال ما يرغبون، والذين يتركون بناتهم يتبرجن في الأسواق والدكاكين والملاهي لا شك أنّهم سيتربون على عقائد ضالّة وينشؤون على مبادئ إحادية كافرة ويختارون للمصاحبة رفقاء لادينية نعوذ بالله من ذلك. ولا نستطيع أن نرى أحدا له قلب سليم يقول إنّ الإغراق في التمتع والمبالغة في الرفاهة لا يضرّ بشخصية الولد، ولا نرى أحدا يقول إنّ الاسترسال وراء المذات والشهوات لا يضرّ بشخصية الولد، ولا نرى أحدا يقول إنّ الإغراق في التمتع والمبالغة في الرفاهة لا يضرّ بشخصية الولد، إنّ رجال التربية وعلماء النفس والأخلاق كادوا يكونون مجمعين على أنّ هذه الظواهر من أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة وتحتييم الشخصية وقتل الرجولة ونشر الأمراض والقضاء على فضيلة الشرف والعفاف^٢. فعلى الآباء والأمهات

٢) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية- القاهرة، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.

والمربيين تفهم القواعد التربوية والمناهج العملية والمبادئ التعلمية والتعليمية لتكون صفات المربين فيهم كاملة وظاهرة، وعليهم أن يعلموا أولادهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وأن يشرفوا على تاديبهم وتربيتهم حتى ينشأوا على المكارم الخلقية والفضائل النفيسة. وقد كان السلف الصالحون يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليماً وتأديباً لما اهتموا بأمر التربية، قال صلى الله عليه وسلم "ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن"^٣. وقال أيضاً "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"^٤.

فالمجتمع الإنساني بأسره عامّة والمجتمع الإسلامي برمته خاصة برجالها ونسائها وحكامها ومحكومياتها وصغارها وكبارها حينما تتقبل هذه المبادئ في تعلمهم وتربيتهم بقبول حسن وتسير على هذه المفاهيم القيمة لا محالة أنهم يرفلون في رياض الطهر والكرامة ويرتعون في ظلال الأمن والاستقرار ويصلون إلى ذروة المجد والسعادة وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الأول

العلم والتربية في القرآن الكريم

وقد وردت فضائلهما في عدة مواضع من القرآن الكريم، فكثرة الورد تدلّ على أهميتهما وفضلهما. وأن أول ما أنزل الله على رسوله ﷺ وهو بغار حراء قوله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"^٥ وهذا من أكبر الدلائل وأجلها على أنّ القرآن يحضّ على التعلم والمعرفة. لقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله في مواضع مختلفة، تارة مباشرة وتارة غير مباشرة، وتارة بضرب الأمثال، ليعقل العاقلون ويتفكّر المتفكّرون في أمر العلم وفضله، وليكونوا راغبين في جمعه وتحصيله، فقال وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون.

(٣) الجامع الصحيح - سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ الموافق ل ١٩٧٨م .

(٤) سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية - عام ١٤٠٤هـ الموافق ل ١٩٧٤م.

(٥) سورة العلق رقم الآيات ١-٥

فأولاً: في العلم والتعلم :

قال الله تبارك وتعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"^٦. فهذه الآية تدل على فضيلة العلم صريحا لأن الله تعالى قرن شهادة ملائكته وشهادة أولي العلم بشهادته على توحيده الذي هو أساس الدين وأصله، ومما لا شك فيه أن الله لن يقرن بشهادته إلا ما له شرف وفضل عظيم فبان لنا من هذه فضيلة العلم وأهله.

"في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ {وقل رب زدني علما} فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم"^٧.

قال ابن القيم رحمه الله: "استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده، فقال "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط" وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها : استشهدهم دون غيرهم من البشر.

والثاني : اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث : اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع : أن في ضمن هذا تركيبتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العادل، ومنه الأثر المعروف عن النبي الكريم "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"^٨ الخامس : أنه وصفهم بكونهم أولي العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

(٦) سورة آل عمران الآية : ١٨

(٧) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الناشر: دارالكتاب العربي، بيروت - لبنان، عام ١٤٢٧ هـ الموافق ل ٢٠٠٦ م.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلا وشرفا.

السابع : أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداته^٨.

ومنها : قوله تعالى "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"^٩ أي يرفع الله تبارك وتعالى منزلة المؤمنين، والعلماء، بحسن الذكر في الدنيا، والمغفرة والجنة في الآخرة، أعلى الدرجات لإيمانهم واكتسابهم العلم الذي هو أصل كل شرف وكرم.

"قال الحسن رحمه الله: قرأ ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية، وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم، فإن الله تعالى يقول: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات"^{١٠}.

ومنها : قوله تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"^{١١} فبين الله في هذه الآية الكريمة أن العلماء هم الذين يخافون الله حق مخافته لما عندهم من المعرفة الحقيقية عن الله عز وجل، فأما غيرهم من العوام فليس لهم معرفة تامة عن الله حتى يمتثلوا بأوامره ويجتنبوا عن نواهيه.

نقل القرطبي رحمه الله عن الربيع بن أنس قال: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم. وقال مجاهد : إنما العالم من خشي الله عز وجل.

وقال بعض السلف: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا.

٨) العلم فضله وشرفه، لابن قيم الجوزية.

٩) سورة المجادلة، الآية : ١١.

١٠) معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦ هـ الموافق ل ١٩٩٦ م.

١١) سورة الفاطر، الآية ٢٨.

وقيل لسعد بن إبراهيم: من أفعه أهل المدينة؟، قال: أتقاهم لربّه عزّ وجلّ.

وقال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم؟، فقال الشعبي: إنما العالم من خشي الله عزّ وجلّ.

وقال ابن سعدي: "فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال الله تعالى: "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه".

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وسبب ذلك أن العلم النافع يدل على أمرين: أحدهما: على معرفة الله، وما يستحقه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضى بقضائه والصبر على بلائه. والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه وما يسخطه من الاعتقادات، والأعمال الظاهرة والباطنة، والأقوال، فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى مافيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه. فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبه وإجلالا وخشية ومحبة وتعظيما. ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له، قنعت النفس ببسير الحلال من الدنيا، وشبعت به، فأوجب لها ذلك، القناعة والزهد في الدنيا.

ومنها: قوله تعالى "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^{١٢} فهذه الآيات دالة على فضل

(١٢) سورة البقرة، الآيات: ٣١ - ٣٤.

العلم، فإنه سبحانه وتعالى ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه السلام إلا بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم، لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم.

ومنها: قوله تعالى "وقل رب زدني علماً"^{١٣} ففي هذه الآية العظيمة يأمر الله تبارك وتعالى حبيبه ﷺ بطلب المزيد من العلم، ومن المعلوم أنه لم يؤمر بطلب الأزيد من شيء إلا من العلم، فبان من هذه أهمية العلم وفضله.

"واستدلّ بالآية على فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب زيادته، وذكر بعضهم أنه ما أمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا العلم. وأخرج الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال، وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن ابن مسعود أنه كان يدعو (اللهم زدني إيماناً) وما هذا إلا لزيادة فضل العلم، وفضله أظهر من أن يذكر"^{١٤}

ومنها : قوله تعالى "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"^{١٥}.

يبين الله في هذه الآية أنّ العالم مهتد بصير، وهو في درجة عالية بالنسبة إلى الجاهل، لا يستوي هو والجاهل، لأنه أعمى وضالّ، وذلك أن العالم بالشيء كالبصير، والجاهل به كالأعمى، وليس أحدهما كالآخر، لأن الأعمى إذا أخذ يمشي من غير قائد، ظاهر أنه يقع في البئر أو في المهالك، أما البصير فإنه يكون آمناً من الهلاك والإهلاك، فلا يستوي العالم والجاهل أبداً، ثم يقول الله تعالى ولا يتذكّر لذلك إلا أرباب العقول من الناس.

(١٣) سورة طه: ١١٤
(١٤) روح المعاني، لشهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥ الموافق ل ١٩٨٥م.
(١٥) سورة الرعد الآية : ١٩

ومنها: قوله تعالى "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"^{١٦}.

ففي هذه الآية الكريمة يفرّق الله بين عباده بالعلم، فمنهم محصّله ومنهم معدمه، فالعالم له من الشرف والمكانة مالا يدركه الجاهل، فليسا سواء في الرتبة، ثم يقول الله: إِنَّمَا يَنْذَكُرُ مِنَ النَّاسِ وَيَتَعَزَّزُ أُولُو الْأَبْصَارِ.

في آية "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون بسيئها شرا؟ يقول: ما هذان ومنها: قوله تعالى "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"^{١٨}.

ففي هذه الآية دليل على شرف أهل العلم فإن الأمثال التي يضربها الله في كتابه لا يفهمها جيّدا إلا العالمون كما قال الله تعالى (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: "ما مررت بآية لا أعرفها إلا أحزنتني لأنني سمعت الله يقول: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"^{١٩}.

"روى جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية أي (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)، قال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته، واجتنب سخطه"^{٢٠}.

ومنها: قوله تعالى "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"^{٢١}.

١٦) سورة الزمر الآية: ٩
١٧) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
١٨) سورة العنكبوت الآية: ٤٣
١٩) روح المعاني لأبي الفضل محمود الألوسي .
٢٠) الباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي.
٢١) سورة التوبة الآية: ١٢٢

وهذه الآية أدلّ دليل على وجوب تعلّم العلم وإعداد طائفة من الناس للتعلّم والتفقه في الدين فإنّ العلم حياة الإسلام ولا حياة للدين بغير العلم.

"والذي يظهر أنّ هذه الآية إنما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه في دين الله، وأنه لا يمكن أن يرحل المؤمنون كلهم في ذلك فتعزى بلادهم منهم ويستولي عليها وعلى ذراريهم أعداؤهم، فهلا رحل طائفة منهم للتفقه في الدين ولإنذار قومهم، فذكر العلة للنفير وهي التفقه أولاً، ثم الإعلام لقومهم بما علموه من أمر الشريعة أي: فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير، وقام كلّ بمصلحة هذه بحفظ بلادهم، وقتال أعدائهم، وهذه لتعلم العلم وإفادتها المقيمين إذا رجعوا إليهم".^{٢٢}

"دلت الآية على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق، وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين، لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق، وأولئك يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين. فكل من تفقه وتعلم لهذا الغرض كان على المنهج القويم والصراط المستقيم، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"^{٢٣}

ومنها : قوله تعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"^{٢٤} وقد اختلف المفسرون في هذا التفضيل، فإنّ الله تعالى قد فضّل بني آدم على غيرهم بفضائل كثيرة ولكن أكثر المفسرين قد أجمعوا على أنّ هذا التفضيل إنما هو بالعلم والفهم والنطق التي هي الفضيلة العظمى لبني آدم وبها يمتازون عن غيرهم من خلق الله تعالى فهذه الآية أيضاً تشير إلى فضيلة العلم .

٢٢) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، عام ١٤١٢ هـ الموافق ل ١٩٩٢ م.

٢٣) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - طهران.

٢٤) سورة الإسراء، الآية : ٧٠

"حكى الطبري عن جماعة أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم، وقيل: بالكلام والخط. وقيل: بالفهم والتمييز وقال الضحاك: كرمهم بالنطق والتمييز. والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب" ^{٢٥}

"وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل لا على الحصر في ذلك كما روي عن ابن عباس أن التفضيل بالعقل، وعن الضحاك بالنطق، وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها، وعن زيد بن أسلم بالمطاعم واللذات، وعن يمان بحسن الصورة، وعن محمد بن كعب بجعل محمد عليه الصلاة والسلام منهم، وعن ابن جرير بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له. وقيل: بالخط. وقيل: باللحية للرجل والذؤابة للمرأة، وعن ابن عباس: بأكله بيده وغيره بفمه، وقيل: بتدبير المعاش والمعاد، وقيل: بخلق الله آدم بيده. قال ابن عطية: وقد ذكر أن من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن آدم كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وكرم الديك. قال: وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه انتهى" ^{٢٦}

ومنها: قوله تعالى "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" ^{٢٧} وقد فسّر كثير من المفسرين كلمة الحكمة بالعلم كما أشار إليه نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" وقد وصف الله سبحانه وتعالى الدنيا وما فيها من الأمتعة واللذات بكلمة قليل فقال "فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل" ^{٢٨} فكيف يكون إذا قال الله كلمة "كثير" لأي شيء كما قال الله تعالى هنا، وهذا يدلّ على عظمة العلم وفضيلته.

٢٥) الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي .
٢٦) تفسير البحر المحيط للعلامة أبو حيان الأندلسي.
٢٧) سورة البقرة الآية : ٢٦٩
٢٨) سورة التوبة الآية : ٣٨

ومنها : قوله تعالى "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ. وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"^{٢٩}.

فقوله تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) قال الجنيد رحمه الله: من فضيلة العلم على المال أن الله فهم سليمان مسألة فمنّ عليه، فقال(فَفَهَّمْنَا سُلَيْمَانَ) وأعطاه الملك ولم يمنّ عليه بل قال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب).

ومنها : قوله تعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"^{٣٠}

وكان أول آيات أنزلت على نبينا عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلوات "اقرأ باسم ربك الذي خلق... إلخ" فنبه الله في أول ما أنزله على نبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة ولكونها وسيلة إلى التعلم .

وهكذا بيّن الله فضيلة العلم في محكم تنزيله، تارة صريحة، وتارة غير صريحة، تارة بضرب الأمثال وتارة بغيره ليعقل العاقلون، ويتذكر المتذكرون، ويتعظ المؤمنون، وليكونوا راغبين في جمع العلوم ونشرها.

(٢٩) سورة الأنبياء، الآيات: ٧٩، ٨٠، ٨١.
(٣٠) سورة العلق رقم الآيات ١-٥.

ثانياً: في التربية :

فالتربية منوطة بالتعلم، فلا تتحقق التربية الحسنة إلا بالتعلم حيث لا يمكن التفريق بينهما، وقد بين الله أهميتها وفضلها في عدة مواضع من القرآن الكريم، كما في أمر العلم، فإنها أصل المقصود من التعلم أيضاً. وقد بين القرآن الكريم جميع أنواع التربية وأساليبها، ولم يترك فيها مجالاً لآخر حيث إنه أرشد الناس إلى جميع أنواعها من التربية الاجتماعية والعقلية والجسمية والنفسية وغيرها من أهم جوانب التربية الإسلامية.

أولاً: قوله تبارك تعالى في محكم تنزيله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"^{٣١} وهذه التزكية يشمل جميع أنواع التربية كما أشار إليه الإمام عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاشِ في تفسيره فقال:

"تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية. وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح. وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة كسب الحلال. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع. تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملائكة الأعلى، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملائكة العلوي الكريم"^{٣٢}

ومنها: قوله تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"^{٣٣}.

٣١) سورة الجمعة، الآية: ٢

٣٢) التفسير الحاوي للإمام عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاشِ رحمه الله .

٣٣) سورة الشمس، الآيات: ٧، ٨

هذه الآية تشير إلى التربية الأخلاقية التي تقوم على تزكية النفس، أي التخلّي عن الأخلاق الرذيلة الذميمة والعادات الدنيئة السيئة، والتخلّي بالأخلاق الفاضلة لتصبح النفس طاهرة صافية نقية، ويكون صلاحها في الفرد سبب صلاح المجتمع جميعاً.

ومنها : قوله تعالى "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"^{٣٤}.

وفي هذه الآية الكريمة أيضاً يشير الله تبارك وتعالى إلى التربية الخلقية وهي أن النفس البشرية مخلوقة على الفطرة السليمة، وكأنها أرض خصبة تصلح لإنبات أيّ بذر يزرع فيها، وهنا يكمن دور الآباء والمربين في تربيتها وتأييدها أحسن تأديب، فإن بذر فيها المربي بذور الخير والصلاح والإيمان، ومحبة الخالق والخلق، فقد نجح في مهمته التي خلُق من أجلها، وكان سعيه مشكوراً، وإن هو أهمل في هذا وترك لنفسه العنان، وسار بها في طريق الفساد والضلال، فقد خاب سعيه، وفشل في مهمته، وأوقع نفسه في التهلكة بارتكاب المعاصي وترك الطاعات.

قال عبد الرحمن بن محمد القماش في تفسيره المسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) مفسراً لهذه الآية الكريمة : "وتزكية النفس تكون بالعمل الذي يجعلها زاكية أي طاهرة كثيرة الخير والبركة، وأصل الزكاء والزكاة: النمو والبركة في الزرع، ومثله كلّ نافع، فتزكية النفس بالفعل عبارة عن تنمية فضائلها وخيراتها، ولا يتم ذلك إلا باجتنب الشُرور التي تعارض الخير وتعوقه، وهذه التزكية محمودة وهي المرادة بقوله تعالى: قد أفلح من زكّاهَا أي : نفسه". أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا هذه الآية (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) وقف ثمّ قال: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وأنت خير من زكّاهَا، فتزكية النفس وتهذيبها هدف مهم من أهداف الرسائل السماوية، وغايتها الكبرى الارتقاء بالطبائع الإنسانية حتّى تصبح أقرب إلى الملائكية، وتخليص النفس الإنسانية من سيطرة سلطان الأهواء والشهوات، لتكون الفضائل

(٣٤) سورة الشمس الآية: ٩.

كالصدق والتواضع والأمانة والإيثار والاستقامة ونحوها، عادة لها تقود مسيرته في الحياة، وترشد سلوكه بحيث لا يخرج عن إطار التربية الأخلاقية.

ومنها: قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" ^{٣٥}.

في هذه الآية الكريمة يرشد الله إلى أهم جانب من جوانب التربية وهي التربية الاجتماعية، وضرورة مراعاة الإنسان للروابط الاجتماعية، فأولا خلق الله تعالى آدم وحواء وجعل من ذريتهما القبائل والشعوب والأجناس والألوان، فالناس كلهم إخوة، ولا تفاضل بينهم باللون والجمال، والنسب والغنى، بل كلهم سواء أمام الله تبارك وتعالى، والذي يُكْرَمُ عند الله من الناس أتقاهم له، فمن حاز شرف التقوى حصل على مرضاة الله، والله أعلم بأعمال مخلوقاته ومحيط من ورائهم وخبير بما في قلوبهم.

ومنها: قوله الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤَدِّنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ^{٣٦}.
ففي هذه الآية الكريمة يوجه الله تبارك وتعالى القارئ إلى بعض آداب التربية الاجتماعية، فإن من آدابها مسألة الاستئذان، فأدب الاستئذان يحفظ للبيت حرمة، ويحمي أهله من أذى المفاجأة، والالتزام بهذا الأدب أمر يجب الالتزام به مع عامة البيوت المسكونة، فلذا يبيّن القرآن الكريم آداب الاستئذان للمؤمنين ليكونوا على وعي كامل في هذه المسألة الاجتماعية الضرورية، هكذا لو تتبعنا في آيات القرآن الكريم -لا شك - نجدها - تشير إلى جميع جوانب التربية .

ومنها قوله تعالى: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" ^{٣٧}

٣٥) سورة الحجرات رقم الآية: ١٣

٣٦) سورة النور الآية: ٢٧

٣٧) سورة الأعراف رقم الآية: ٣١

ففي هذه الآية الشريفة ينبّه الله على جانب مهمّ من جوانب التربية وهو الجانب الصحيّ، وقد شملت هذه الآية جميع قوانين الطبّ ومبادئه.

قال علي بن الحسين بن واقد: "قد جمع الله الطب كلّه في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا"^{٣٨}

ومنها قوله تعالى "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"^{٣٩}.

في هذه الآية الكريمة يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى استخدام عقله وتركيزه على الفهم المستوعب والمعرفة المجردة والعقيدة الصحيحة. والقرآن الكريم يتضمن توجيهات كثيرة تدعو كلّها إلى التفكير والتدبر والتعقل. وقد وردت لفظة "تعقلون، يعقلون" في القرآن الكريم ثماني وأربعين مرة، كما وردت لفظة "يتفكرون" سبع عشرة مرة، و"يفقهون" ست عشرة مرة. وفي هذا كلّ دليل بيّن واضح على أهمية استخدام العقل فيما يتطلب السعادة الأبدية ويوجب السعي في مرضاته تبارك وتعالى بكمال الخضوع والذل في عبادته.

ومنها قوله تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"^{٤٠} ففي هذه الآية الكريمة يسوق القرآن أنظار الناس إلى ناحية جديدة لا يقلّ اهتمامها في مجال التربية، وهي التربية المهنية يقصد منها ترك البطالة، وتدعو إلى الوسطية والاعتدال في العبادة وتحثّه على عمارة الأرض والزراعة والصناعة وغيرها من وسائل المعيشة حتى كان المؤمن القويّ أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف.

٣٨) التفسير للبعوي رحمه الله.

٣٩) سورة آل عمران رقم الآية: ١٩٠.

٤٠) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

وهذه بعض النواحي التربوية المهمة المذكورة في القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر، ولوفّقنا وتعمّقنا في الآيات القرآنية لوجدنا أكثر مما في أيدينا، ونعلم أنّ هذه كلّها تشير إلى أهمية التربية وضرورية اتصاف الإنسان بها.

ففي الجملة أن التعلم والتربية هما الأمران الرئيسيان في حياة الإنسان، ولا يجوز الإعراض عنهما قط، وهما يبتدئان من المهد ويحتاج إليهما إلى اللحد، والمرأ يكون في أحسن تقويم بقدر تحصيله منهما حظا وافرا، ويكون في أسفل السافلين بقدر إعراضه عنهما، وهما مسؤولية كبيرة على عواتقنا يجب تأديتها تصديقا لقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"^{٤١}.

الفصل الثاني

العلم والتربية في الحديث الشريف

العلم جوهرة غالية نفيسة، يحظى بها السعداء، ويحرم منها الأشقياء، والاشتغال بها من أفضل الطاعات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وطالبها مقبول عند الله وعند الناس، وسالك طريقها مسهلّ الطريق إلى الجنة، ومداد كاتبها يرجح من دم الشهداء عند الموازنة، وتعلّمها واجبة على كل مسلم ومسلمة، وتعليمها مهمة الأنبياء والبررة، ومستمعها شريك القائل في الفضل والمكانة، وصاحبها مكرم عند العامة والخاصة، وجامعها جامع الدين والدنيا، وناصرها ناصر الإسلام والمسلمين، وحافظها حافظ الدين والقرآن .

وهو كنز عظيم، يحمّد حامله، ويكرم خادمه، وينصر خازنه، ويقبل حافظه، ويعزّز جامعته، شقيّ إذا أحرّم منه، بهيّ إذا منح منه، يحظى به السّماع والحضار، ويجلّى به القراء والكتّاب، إن أنفقت منه كثر، وإن كفت عنه قلّ .

وأما التربية فهي من أهم المسؤوليات التي يجب على الإنسان مراعاتها، وقد قال ﷺ "كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيتّه" فإن قصر الآباء والمربّون والمعلّمون في

(٤١) سورة التحريم رقم الآية : ٦

القيام بهذه المسؤولية الواجبة فإن الله تبارك وتعالى سيحاسبهم على تقصيرهم، ويسألهم عن نتائج إهمالهم، فيا خجلة قوم من مشهد يوم عظيم إذا كان جواب أولادهم أو رعيتهم أو تلامذتهم أمام الربّ "ربنا إتنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً" فلذا يجب أن ينظر إلى هذه بعين الاعتبار والاهتمام .

وقد دلت على فضل العلم والتربية أحاديث كثيرة، فمن أهمها ما يأتي:

أولاً: في العلم والتعلم:

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".^{٤٢}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يُلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ".^{٤٣}

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مَنْ حَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ".^{٤٤}

وعن صفوان بن عسالٍ أن النبي ﷺ قال "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لِطالِبِ الْعِلْمِ رضا بما طلب"^{٤٥}

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ يَسْتَعْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ"^{٤٦}

(٤٢) رواه البخاري ومسلم.

(٤٣) الصحيح لمسلم رحمه الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

(٤٤) رواه الترمذي رحمه الله .

(٤٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤٦) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا".^{٤٧}

وعن أبي أمامة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ".^{٤٨}

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ " مَنْ سَأَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ".^{٤٩}

وعن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ".^{٥٠}

وعن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث تتبع المسلم بعد موته: صدقة أمضاها يجرى له أجرها، وولد صالح يدعو له، وعلم أفشاه فعلم به من بعده".^{٥١}

وقال ﷺ: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خلال: فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره عيوبه".^{٥٢}

(٤٧) متفق عليه.

(٤٨) رواه الترمذي .

(٤٩) رواه أبو داود والترمذي.

(٥٠) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

(٥١) رواه ابن ماجه.

(٥٢) رواه الديلمي في الفردوس، والبيهقي في الشعب.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "خير دينكم أيسره، وخير العبادة الفقه"^{٥٣}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"^{٥٤}.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه، وما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"^{٥٥}.

وعن ابن الزبير، عن النبي ﷺ قال: "ما من عبد يغدو في طلب العلم مخافة أن يموت جاهلاً، أو في إحياء سنة مخافة أن تدرس، إلا كان كالغازي الراجح في سبيل الله عز وجل، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه"^{٥٦}.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "من أدى الفريضة وعلم الناس الخير كان فضله على المجاهد العابد كفضلي على أدناكم رجلاً، ومن بلغه عن الله فضل فأخذ بذلك الفضل الذي بلغه أعطاه الله ما بلغه وإن كان حدثه كاذباً"^{٥٧}.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، إنما الناس رجالان عالم وجاهل، فلا تمار العالم ولا تحاور الجاهل"^{٥٨}.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "نَضَّرَ اللَّهُ أُمَّراً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"^{٥٩}.

٥٣ (الفقيه والمتفقه للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، مصر- طبعة عام ١٤٢٨ هـ الموافق ل ٢٠٠٧م.

٥٤ (رواه الترمذي "٢٦٨١"، وابن ماجه "٢٢٢٢"

٥٥ (رواه الخطيب في الجامع .

٥٦ (جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي .

٥٧ (رواه ابن عدي في الكامل ٥٩ / ٢، والطبراني في الأوسط "٥١٢٥".

٥٨ (رواه الطبراني في الكبير، وفي الأوسط، والبخاري في التاريخ الكبير.

٥٩ (رواه الترمذي رحمه الله .

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة
حكمة تسمعها فتنتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة
سنة" ٦٠.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع
المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك" ٦١.

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: "يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد: ادخل
الجنة، ويقال للعالم: اشفع للناس كما أحسنت أدبهم". قال شبلي: يعني: تعليمهم. ٦٢

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير لك من أن
تصلي مائة ركعة" ٦٣.

وعن أبي هريرة وأبي ذر قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: "إذا جاء الموت طالب
العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً" ٦٤.

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى
وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ،
وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا
وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ
كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَتَفَعَّهَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ
يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ". ٦٥.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "اطْلُبُوا الْعِلْمَ
وَلَوْ بِالصِّينِ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ". ٦٦.

٦٠ المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٦١ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢٠٠٩ م.

٦٢ رواه ابن عدي في الكامل.

٦٣ رواه ابن ماجه.

٦٤ رواه البزار في سنده، والخطيب في الفقيه والمتفقه.

٦٥ متفق عليه.

٦٦ جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".^{٦٧}

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ".^{٦٨}

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "من سئل عن علم ثم كتبه أجم يوم القيامة بلجام من نار"^{٦٩}

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا".^{٧٠}

وحدثنا إسحق بن يحيى بن طلحة حدثني ابن كعب بن مالك عن أبيه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار^{٧١}

وعن ابن عمر: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار^{٧٢}

وعن أبي هارون العبدي : قال كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه و سلم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا^{٧٣}

(٦٧) رواه مسلم رحمه الله.

(٦٨) رواه الترمذي رحمه الله.

(٦٩) الجامع الصحيح سنن الترمذي.

(٧٠) متفق عليه.

(٧١) الجامع الصحيح سنن الترمذي.

(٧٢) المرجع السابق.

(٧٣) المرجع السابق.

وعن سماك بن حرب قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه قال: قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع^{٧٤}

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم بالثريا لتناولهُ ناسٌ من أبناء فارس^{٧٥}

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "خيركم في الإسلام أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا"^{٧٦}

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وينقارب الزمان وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهزج قال الهزج أيما هو يا رسول الله؟ قال القتل القتل"^{٧٧}

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ، قال "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فلينبؤا مفعداه من النار"^{٧٨}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول "الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً، أو متعلماً"^{٧٩}.

وعن أبي أمامة الباهلي، أن النبي ﷺ قال "عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض وقبل أن يرفع" ثم قال: "العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام"^{٨٠}.

(٧٤) الجامع الصحيح سنن الترمذي.
(٧٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.
(٧٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل.
(٧٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل.
(٧٨) رواه البخاري رحمه الله.
(٧٩) رواه الترمذي.
(٨٠) رواه ابن ماجه "٢٢٨"، والطبراني في المعجم الكبير.

وعن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء"^{٨١}.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "للأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة"^{٨٢}.

وعن جميل بن قيس، أن رجلاً جاء من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق، فسأله عن حديث. فقال له أبو الدرداء: ما جاءت بك حاجة ولا جئت في طلب التجارة، ولا جئت إلا في طلب الحديث؟ فقال الرجل: بلى، فقال له أبو الدرداء: أبشر، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يخرج يطلب علماً إلا وضعت له الملائكة أجنحتها، وسلك به طريق إلى الجنة، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"^{٨٣}.

وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "من غدا لعل يتعلمه سهل الله له طريقاً إلى الجنة وفرشت له الملائكة أجنحتها، وصلت عليه حيتان البحر، وملائكة السماء، وللعلماء على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، فمن أخذ به أخذ بالحظ الوافر، وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، ونجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم"^{٨٤}.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "علماء هذه الأمة رجالان: فرجل أعطاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفرًا ولم يشتر به ثمنًا، أولئك يصلي عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض والكرام الكاتبون. ورجل آتاه الله علماً فضن به

(٨١) رواه ابن ماجه .

(٨٢) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي .

(٨٣) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي.

(٨٤) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

عن عباده وأخذ به صفرًا واشترى به ثمنًا، فذلك يأتي يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار" ^{٨٥}.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: "نضر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم الجماعة، فإن الدعوة تحيط من ورائهم" ^{٨٦}.

وعن واثلة بن الأسقع: أن رسول الله ﷺ قال: "من طلب علمًا فأدرکه كتب الله عز وجل له كفلين من الأجر، ومن طلب علمًا فلم يدركه كان له كفل من الأجر" ^{٨٧}.

وعن أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: حجبت مع أبي سنة ثلاث وتسعين ولي ست عشرة سنة، فإذا شيخ قد اجتمع الناس عليه فقلت لأبي: من هذا الشيخ؟ فقال: هذا رجل قد صحب النبي ﷺ يقال له: عبد الله بن الحارث بن جزء، فقلت لأبي: فأى شيء عنده؟ قال: أحاديث سمعها من رسول الله ﷺ. فقلت لأبي: قدمني إليه حتى أسمع منه، فتقدم بين يدي وجعل يفرج الناس حتى دنوت منه، فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: "من تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب" ^{٨٨}.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: "يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميز العلماء، ثم يقول لهم: يا معشر العلماء إنني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم" ^{٨٩}.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله، ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، فقال رسول

٨٥) رواه الطبراني في الأوسط.
٨٦) رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه.
٨٧) رواه الدارمي، والطبراني في المعجم الكبير.
٨٨) رواه أبو نعيم في مسند أبي حنيفة.
٨٩) رواه البيهقي في المدخل.

الله ﷺ: "كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلمًا"، ثم أقبل فجلس معهم^{٩٠}.

وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: "العالم أمين الله في الأرض"^{٩١}.
عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قرية، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأئس في الوحشة، والصاحب في الغربية، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الإخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتص آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلقتهم، وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه، ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء"^{٩٢}.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم"^{٩٣}.

ومن حديث ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أهدى المرء لأخيه هدية أفضل من كلمة يحكمه الله بها هدى أو يرده بها عن ردى"^{٩٤}.

(٩٠) رواه الدارمي.

(٩١) رواه الديلمي في الفردوس.

(٩٢) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

(٩٣) رواه الطبراني في الأوسط.

(٩٤) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم، والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه، وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة انتفاعه بما علم"^{٩٥}.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: "لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة"^{٩٦}.

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "مثل الذي يتعلم العلم لا يحدث به الناس كمثل الذي رزقه الله مالا لا ينفق منه"^{٩٧}.

وعن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: "من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم فيعمل به، ثم يعلمه"^{٩٨}.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا أخبركم عن أجود الأجواد"؟، قالوا: نعم يا رسول الله. قال: "الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل"^{٩٩}.

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: "ما تصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره"^{١٠٠}.

وعن عوف بن مالك الأشجعي، أنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ نظر إلى السماء فقال: "هذا أوان يرفع العلم". فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: يرفع عنا يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: "إن كنت لأحسبك من أئمة أهل المدينة"... وذكر له ضلالة أهل الكتاب وعندهم ما عندهم من كتاب الله. فلقى جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى فحدثه

(٩٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٩٦) رواه الترمذي في سننه "٢٦٨٦"

(٩٧) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

(٩٨) رواه البيهقي في المدخل.

(٩٩) رواه أبو يعلى في مسنده.

(١٠٠) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

هذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف ثم قال شداد: هل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري. قال: ذهاب أوعيته، هل تدري أي العلم يرفع أول؟ قال: قلت: لا أدري، قال: الخشوع حتى لا يرى خاشعاً^{١٠١}.

وعن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه"^{١٠٢}. ومن هذه كلُّها نعلم فضيلة العلم ووجوب الاهتمام به في الحياة وفوائده بعد الممات.

(١٠١) رواه النسائي في سننه الكبرى.
(١٠٢) رواه الترمذي.

ثانياً في التربية:

وأما التربية فهي من أهمّ المسؤوليات التي اهتم بها الإسلام، وحضّ عليها النبيّ ﷺ ووجّه أنظار أصحابه الكرام إليها. فهي مهمة عظيمة فاضلة، ومسئولية كبيرة شريفة، وعمل شاق يحتاج إلى طول الزمان، تهيبّ الولد للقيام بدوره المنوط به من دوره لنفع نفسه ونفع مجتمعه وأمتّه، وهي تعلّم الولد لتحمل الشدائد والمصائب والفتن التي قد يواجهها هو في مستقبل حياته، وهي في الأصل تنشئة الطفل وإعداده إعداداً كاملاً من جميع جوانبه في حياته الدنيا والآخرة حتى يكون سعيداً فيهما، فهي تشمل جميع مراحل الحياة الإنسانية ونواحيها الاجتماعية والفردية والعقلية والنفسية والجسمية وغيرها. والرسول ﷺ قد أكد على ضرورة العناية بتربية الأولاد ووجوب القيام بأمرها والاهتمام بأدائها. وقد وردت أحاديث كثيرة في فضيلة التربية والقيام بأدائها منها قوله ﷺ "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" ^{١٠٣} فهذا الحديث يشير إلى أهمية التربية وضرورتها.

ومنها: قوله ﷺ "لأن يادّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع" ^{١٠٤}

ومنها: قوله ﷺ "ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن" ^{١٠٥}

ومنها: قوله ﷺ "أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وتلاوة القرآن" ^{١٠٦}

ومنها: قوله ﷺ "علّموا أولادكم وأهليكم الخير وادّبوهم" ^{١٠٧}

فهذه الأحاديث وما قبلها تلقي الضوء إلى أهمية التعلم والتربية وضرورة القيام بها، فإنهما المقصود من بعثة الرسل وإنزال الكتب، وإليهما أشار النبي ﷺ، ووعد جزيل الفضل والثواب لمن يقوم بأعبائهما. فما على المربين والمعلّمين والآباء ومن على

^{١٠٣} رواه ابن ماجه رحمه الله.

^{١٠٤} رواه الترمذي رحمه الله .

^{١٠٥} رواه الترمذي رحمه الله.

^{١٠٦} رواه الطبراني رحمه الله .

^{١٠٧} رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور.

عوانتهم مسؤولية التعلم والتربية إلا أن يفهموا هذه الحقيقة، وأن ينهجوا منهج الرسول ﷺ في مواظبه وإرشاداته في تعليم الأولاد وتربيتهم إذا أرادوا لأولادهم الخير والكمال، فالرسول هو الذي نال المرتبة الأولى في التربية والأدب، لأن الله سبحانه هو الذي رباه وأدبه وأحسن تأديبه حيث قال ﷺ " أدبني ربّي فأحسن تأديبي".

الفصل الثالث

اعتناء الصحابة والتابعين بالعلم والتربية

وإذا لاحظنا اعتناء الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أكابر أئمة العلم والدين، من المفسرين، والقراء، والمحدثين، والفقهاء، والقضاة، والمفتين، والأدباء، والمؤرخين، بالعلم والتربية نراهم أنهم أنفقوا أوقاتهم النفيسة ولحظاتهم القيمة ووهبوا حياتهم السعيدة للعلم والتربية والتزود حتى منهم من عزبوا عن الزواج تفرغاً منهم للتعلم والتعليم لحبهم للعلم وتعشّقهم له لاستيلائه على مشاعرهم وحواسهم. فصار العلم أنسهم الدائم، ومعشوقهم الأبدي الذي لا يفارق، ويناجى ويسامر في الحضر والسفر، وفي الليل والنهار، ولا انفكاك عنه إلا بفراق الروح للجسد لأنه كان لهم بمثابة الغذاء والدواء، والخبز والماء، والشمس والهواء، فلا حياة لقلوبهم إلا به، ولا ارتياح لعيونهم وأذهانهم وأفكارهم إلا بالنظر إليه والولوج فيه. فهؤلاء أهل فضل وإيثار، صبروا على العزوبة وأثارها ليكونوا أوفى عطاء وخدمة للعلم وأهله، ورأوا متعهم بالازدياد من العلم، والتصنيف والتأليف فيه أغنى لهم سرورا وحبورا من أنس الزواج والذرية والأولاد والأحفاد، فماتوا عزابا وبقيت تأليفهم أولادهم المخلدة تذكر بهم وتعرف بفضلهم فجزاهم الله عن العلم والدين والإسلام خير الجزاء. ومن قراءة كتبهم يدرك جيلنا الجديد غلاء العلم عند الآباء والأجداد، وشدة تعلقهم به وفنائهم فيه، وعظيم إيثارهم له على ما سواه من أنس الحياة وتلبية الاحتياج الفطري حتى يتبين شبابنا قيمة العلم عند أسلافهم المتقدمين، فتتبارى فيه همّهم، وتتنافس في تحصيله عزائمهم فيعيد الأحفاد أمجاد الأجداد ويكون من ذلك الخير الكثير للإنسانية جميعا. وما حملهم عليه إلا الشوق المتزايد للعلم الذي اشتعلت همّهم به تعلقا وحباً

وتحصيلاً، وجمعا ونشرا وتدويناً، حتى غدا العلم منهم بمنزلة الروح من الجسد، والماء من العود الأخضر، والهواء من حياة الإنسان، لا يستطيعون له فراقاً، ولا يطبقون التنازل عن تحصيل أدنى قسط منه يمكنهم تحصيله، فصار العلم منهم بموقع الغذاء والدواء جميعاً. ولم يكتف الصحابة بدراسة الحديث فيما بينهم، بل حثوا على طلبه وحفظه وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والأخذ عنهم، ولم يتركوا وسيلة لذلك إلا أفادوا منها.

كان الإمام محمد بن شهاب الدين الزهري التابعي الجليل، والمحدث الفقيه رحمه الله تعالى: إذا جلس بين كتبه ينسى كل ما حوله، وقال القاضي ابن خلكان في ترجمته في "الوفيات" "وكان ابن شهاب إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر".

وقد جاء في وصية الإمام أبي حنيفة لتلميذه الإمام القاضي أبي يوسف رحمهما الله بعد أن ظهر له منه الرشد وحسن السيرة والإقبال على الناس: واطلب العلم أولاً، ثم اجمع المال من الحلال، ثم تزوج، فإنك إن اشتغلت بطلب المال في وقت التعليم عجزت عن طلب العلم، ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا. وإياك أن تشتغل بالنساء قبل تحصيل العلم، فيضيع وقتك، ويجتمع عليك الولد، ويكثر عيالك، فتحتاج إلى القيام بحوائجهم وتترك العلم. واشتغل بالعلم في عنفوان شبابتك ووقت فراغ قلبك وخاطررك، ثم اشتغل بالمال ليجمع عندك فإن كثرة الولد والعيال تشوش البال، فإن جمعت المال فتزوّج، وعليك بتقوى الله تعالى وأداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة. وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تُسوّدوا. قال شمر: معناه تعلّموا الفقه قبل أن تُزوّجوا، فتصيروا أرباب بيوت، فتشغلوا بالزواج عن العلم، من قولهم: استاد الرجل إذا تزوج في سادة.

قال الخطيب: وسمعت السّمْسِيَّ يحكي أن ابن جرير مكث أربعين سنة، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وحدّث تلميذه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني،

في كتابه المشهور "الصلة" وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير: أن قوما من تلاميذ ابن جرير، حصلوا أيام حياته، منذ بلغ الحُلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين سنة، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة. وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق. وحكى تلميذه أبو بكر بن كامل - أحمد بن كامل الشجريّ القاضي صاحب ابن جرير- قال : قال لي أبو جعفر: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ، وكان معي مِخلاة مملوءة حجارة، وأنا أرمي بين يديه فقال له المعبر: إنه إن كبر نصح في دينه وذب عن شريعته . فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صغير.

وقال الشعبي: رحل مسروق في آية إلى البصرة، فسأل عن الذي يفسرها فأخبر أنه بالشام، فتجهز إلى الشام حتى سأل عنها. وقال مارأيت أحدا أطلب للعلم في الآفاق من مسروق.

وقال سعيد بن المسيب: إني كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

وقال أربدة التميمي: ماسمعت بأرض فيها علم إلا أتيتها.

وقال إبراهيم بن يحيى: لقد طلبت العلم بالمدينة حتى ظن الغريب إذا دخلها أنني بها غريب لشدة طلبي وحرصني على العلم.

وقال ابن سيرين: قدمت الكوفة فوجدت بها أربعة آلاف شاب يطلبون الحديث، وكان أبوبكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته، حتى في الطريق وكان ربما سقط في جرف أو خبطته دابة.

وكان ابن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئا وإن قل.

وقد ذكر من حكمة لقمان: قال لابنه: يا بني، إن الحكمة أجلسست المساكين مجالس الملوك.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: عاش يونس بن حبيب ٨٨ سنة لم يتزوج ولم يتسرّ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال.

قال سفيان بن عيينة: طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزئ فيه بعضهم عن بعض، وتلا هذه الآية "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ"^{١٠٨}

وقالت الحكماء: علم الرجل ولده المخلد^{١٠٩}.

حدثنا وكيع، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لا أعلم من العبادة شيئاً أفضل من أن يعلم الناس العلم.^{١١٠}

وقال ابن وهب: وسمعت مالكا مرة أخرى يقول: الذي يقع في قلبي: إن الحكمة هي الفقه في دين الله. قال: ومما يبين ذلك: أن الرجل تجده عاقلاً في أمر الدنيا ذا نظر فيها وبصر بها ولا علم له بدينه، وتجد آخر ضعيفاً في أمر الدنيا عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتاه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله.^{١١١}

وقال ابن وهب، وسمعت مالكا يقول: الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل.^{١١٢}

وقال ابن مسعود: الدراسة صلاة.

وعن قتادة، قال: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول^{١١٣}.

قال ابن عباس: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها^{١١٤}.

١٠٨ (سورة التوبة، رقم الآية: ١٢٢).

١٠٩ (جامع بيان العلم وفضله^{١٠٩}).

١١٠ (جامع بيان العلم وفضله).

١١١ (جامع بيان العلم وفضله).

١١٢ (جامع بيان العلم وفضله).

١١٣ (رواه البغوي في مسند ابن الجعد).

١١٤ (جامع بيان العلم وفضله).

وعن أبي هريرة، أنه قال: لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى الصباح^{١١٥}.

وعن ابن وهب، قال: كنت عند مالك بن أنس فجاءت صلاة الظهر - أو العصر - وأنا أقرأ عليه، وأنظر في العلم بين يديه فجمعت كتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم إلى الصلاة. قال: فقال: إن هذا لعجب، ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه، إذا صحت النية فيه^{١١٦}.

وحدثنا محمد بن يوسف، قال: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: سمعت الشافعي، يقول: طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة^{١١٧}.

وقال أبو سفيان الحميري: ليس الأدب إلا في صنفين من الناس: رجل تأدب بالسلطان، ورجل تأدب بالفقه، وسائر الناس همج^{١١٨}.

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الناس ثلاث: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، والباقي همج رعا ع أتباع كل ناعق^{١١٩}.

وقال أبو الدرداء، من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهد فقد نقص عقله ورأيه^{١٢٠}.

وعن الأزدي، قال: سألت ابن عباس عن الجهاد؟ فقال: ألا أدلك على خير من الجهاد؟ قلت: بلى، قال: تبني مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه في الدين^{١٢١}.
وعن إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس، قال: قال لي عمر مولى غفرة: يا إسحاق عليك بالعلم فإنه لا يعدمك منه كلمة تدل على هدى أو أخرى تنهى عن رديئ^{١٢٢}.

(١١٥) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ٢٥-٢٦

(١١٦) جامع بيان العلم وفضله

(١١٧) رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في المدخل.

(١١٨) جامع بيان العلم وفضله

(١١٩) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه.

(١٢٠) جامع بيان العلم وفضله

(١٢١) رواه الفسوي ٣/ ٤٠٠، (جامع بيان العلم وفضله)

(١٢٢) جامع بيان العلم وفضله.

وعن ابن سيرين، قال: دخلت المسجد والأسود بن سريع يقص وقد اجتمع أهل المسجد وفي ناحية أخرى من المسجد حلقة من أهل الفقه يتحدثون بالفقه ويتذكرون، فركعت ما بين حلقة الذكر وحلقة الفقه، فلما فرغت من السبحة قلت: لو أني أتيت الأسود بن سريع فجلست إليه فعسى أن يصيبهم إجابة أو رحمة فتصيبني معهم، ثم قلت: لو أتيت الحلقة التي يتذكرون فيها الفقه فتفقهت معهم لعلني أسمع كلمة لم أسمعها فأعمل بها، فلم أزل أحدث نفسي بذلك وأشاورها حتى جاوزتهم فلم أجلس إلى واحد منهم وانصرفت، فأتاني آت في المنام فقال: أنت الذي وقفت بين الحلقتين؟ قلت: نعم. قال: أما إنك لو أتيت الحلقة التي يذكرون فيها الفقه لوجدت جبريل معهم^{١٢٣}.

ولما حضرت معاذ بن جبل - رضي الله عنه - الوفاة قال لجاريته: ويحك هل أصبحنا؟ قالت: لا، ثم تركها ساعة، ثم قال: انظري، فقالت: نعم. فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: مرحبًا بالموت، مرحبًا بزائر جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر^{١٢٤}.

وعن الحسن، في قوله: "رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً" قال: العلم والعبادة "وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً" قال: الجنة^{١٢٥}.

وقال ابن وهب: سمعت سفيان الثوري، يقول: الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم، والحسنة في الآخرة الجنة^{١٢٦}.

وعن الحسن: أن الرجل ليتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا وما فيها^{١٢٧}.

(١٢٣) جامع بيان العلم وفضله.

(١٢٤) رواه أحمد في الزهد .

(١٢٥) رواه الترمذي .

(١٢٦) رواه الطبري في تفسيره .

(١٢٧) جامع بيان العلم وفضله.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: لا يزال الفقيه يصلي، قالوا: وكيف يصلي؟
قال: ذكر الله تعالى قلبه ولسانه^{١٢٨}.

وعن أبي هريرة وأبي ذر، قالوا: باب من العلم يتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع، وباب من العلم يعلمه عمل به أو لم يعمل به أحب إلينا من مائة ركعة تطوع، وقالوا: سمعنا رسول الله -ﷺ- يقول: "إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً"^{١٢٩}

وقال صالح المري: سمعت الحسن البصري- يقول: الدنيا كلّها ظلمة إلا مجالس العلماء^{١٣٠}

وعن ميمون، قال: إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد^{١٣١}.

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: خير سليمان بن داود بين الملك والعلم فاختر العلم، فأتاه الله الملك والعلم معه باختياره العلم^{١٣٢}.

وقال ابن مسعود: "يرفع حجاب ويوضع حجاب لطالب العلم حتى يصل إلى الرب عز وجل"^{١٣٣}.

وعن عبد الرزاق قال "سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم اطلبوا العلم، فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون، اطلبوا العلم فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة".

وقيل لبعض حكماء الأوائل: أيّ الأشياء ينبغي للعالم أن يقتبسها؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينته سبحت معه، يعني: العلم.

١٢٨) جامع بيان العلم وفضله
١٢٩) رواه البزار في سنده، والطبراني في الأوسط .
١٣٠) جامع بيان العلم وفضله
١٣١) جامع بيان العلم وفضله
١٣٢) جامع بيان العلم وفضله
١٣٣) جامع بيان العلم وفضله

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مآلاً.

وعن أبي الدرداء أنه قال: يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء.

وفي رواية كميل بن زياد النخعي، عن علي كرم الله وجهه قال: العلم خير من المال، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، مات خزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة^{١٣٤}

وقال بعض العلماء: من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل عز عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً^{١٣٥}.

وعن عمر بن الخطاب أنه قال: أيها الناس عليكم بطلب العلم، فإن لله رداء محبة فمن طلب باباً من العلم رداه الله بردائه ذلك، فإن أذنب ذنباً استعته، وإن أذنب ذنباً استعته لئلا يسلبه رداءه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت^{١٣٦}.

قال جعفر بن محمد الكمال: كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتدبير المعيشة، قال: وما موت أحد أحب إلى إبليس من موت فقيه.

وقال بعض الحكماء: من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحب طاعتهم.

وقال الأحنف: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل ما يصير.

ويقال: مثل العلماء مثل الماء حينما سقطوا نفعوا.

وقال أبو الأسود الدؤلي: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

١٣٤) جامع بيان العلم وفضله.

١٣٥) جامع بيان العلم وفضله.

١٣٦) جامع بيان العلم وفضله.

قيل لبزرجمهر: أيما أفضل الأغنياء أم العلماء؟ فقال العلماء. قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء؟ قال "لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم".

وقال البعض: العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، والعلماء أعلام الإسلام، والعالم كالسراج من مر به اقتبس منه ولولا العلم كان الناس كالبهائم.

وعن الحسن، قال: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وصلاته وزهده، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة^{١٣٧}.

أخبرنا مصعب بن عبد الله، قال: قال لنا أبي: اطلبوا العلم فإن يكن لك مال أجداك جمالًا، وإن لم يكن لك مال أكسبك مالًا.

وكان الحسن يقول: والله ما طلب هذا العلم أحد إلا كان حظه منه ما أراد به.

كتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علمًا فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب فتبقى في ظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة^{١٣٨}

وعن ابن عبد السلام، عن كعب، قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: تعلم الخير وعلمه الناس، فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم^{١٣٩}.

حدثنا الميرد، قال: كان يقال: تعلموا العلم، فإنه سبب إلى الدين، ومنبهة للرجل، ومؤنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، ووصلة في المجالس، وجالب للمال، وذريعة في طلب الحاجة.

وقال ابن المقفع: اطلبوا العلم، فإن كنتم ملوكًا برزتم، وإن كنتم سوقة عثتم.

١٣٧) جامع بيان العلم وفضله.
١٣٨) رواه البيهقي في الشعب.
١٣٩) رواه أحمد في الزهد.

وقال أيضاً: إذا أكرمك الناس بمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لعلم أو دين.

قيل للقمان الحكيم: أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن عالم إن ابتغي عنده الخير وجده.

قال الحجاج لخالد بن صفوان: من سيد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن. فقال: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج الناس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشرف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقة إليه ليستمع قوله ويكتب علمه، فقال الحجاج: هذا والله السؤدد.

قال ابن عباس: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ^{١٤٠}.

حدثنا أبو زرعة، قال: سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: كل من لم يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط^{١٤١}

وعن الحسن، قال: طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر^{١٤٢}

وأن لقمان الحكيم، قال لابنه: يا بني، ابتغ العلم صغيراً، فإن ابتغاء العلم يشقّ على الكبير.^{١٤٣}

قال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس تعلّموا العلم، فإن أحدكم لا يدري متى يختل إليه^{١٤٤}.

وقال عبد الله بن مسعود: زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت، واعمل بما علمت.

وقال ابن شهاب: العلم خزانة مفاتيحها المسألة.

١٤٠) رواه أبو خيثمة في العلم.
١٤١) رواه الخطيب في الجامع.
١٤٢) رواه البيهقي في المدخل.
١٤٣) جامع بيان العلم وفضله.
١٤٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وقال الحسن: من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس للجهل سرباله، فاقطعوا سراويل
الجهل عنكم بدفع الحياء في العلم، فإنه من رق وجهه رق علمه.

وقال الخليل بن أحمد: الجهل منزلة بين الحياء والأنفة.

وعن زيد بن علي بن حسين، أنه قال: لا يستطيع العلم براحة الجسم .

وعن ابن عباس، قال: منهومان لا تتقضي نهتهما: طالب علم وطالب دنيا^{١٤٥}.

قال محمد بن إدريس الشافعي: كنت يتيماً في حجر أُمي فدفعتني في الكتاب ولم يكن
عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت
القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها،
ولم يكن عند أُمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، فكنت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه
فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديماً^{١٤٦}.

وسئل بعض العلماء أو الحكماء: ما السبب الذي ينال به العلم؟ قال: بالحرص عليه
يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع.

وقال الفراء: لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل
يفهم ولا يطلبه، وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم^{١٤٧}.

وقيل لبزرجمهر: بم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: بيبكور كبكور الغراب، وصبر
كصبر الحمار، وحرص كحرص الخنزير^{١٤٨}.

وأن لقمان الحكيم قال لابنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي
القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء^{١٤٩}.

١٤٥) رواه الدارمي في سننه.

١٤٦) جامع بيان العلم وفضله .

١٤٧) جامع بيان العلم وفضله .

١٤٨) رواه الدينوري في المجالسة .

١٤٩) رواه مالك في الموطأ في كتاب العلم .

وعن الزهري، قال: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة^{١٥٠}

قال الحسن: لولا النسيان لكان العلم كثيرًا^{١٥١}.

حدثنا أحمد بن مدرك، قال: سمعت حرملة، يقول: سمعت الشافعي، يقول: لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وحرمة العلم أفلح^{١٥٢}.

وقال قتادة: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه قال:
"هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُسُدًا"^{١٥٣}.

وعن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: إن الرجل لا يولد عالمًا وإنما بالعلم^{١٥٤}.

قال علي رضي الله عنه: تراوروا وتذاكروا هذا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم^{١٥٥}.

قال عكرمة: إن لهذا العلم ثمنًا. قيل: وما ثمنه؟ قال: أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه^{١٥٦}.

حدثنا داود بن عمرو بن زهير الضبي، قال: سمعت فضيل بن عياض، يقول: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر^{١٥٧}

كان أنس بن مالك يقول: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة كما تسأل الأنبياء يعني:
عن تبليغه^{١٥٨}.

١٥٠) رواه أبو نعيم في الحلية .
١٥١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٩
١٥٢) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل "٨٤"
١٥٣) الكهف: ٦٦
١٥٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف.
١٥٥) رواه الدارمي في سننه.
١٥٦) رواه الخطيب في جامعه.
١٥٧) جامع بيان العلم وفضله.
١٥٨) رواه أبو نعيم في الحلية.

ويقال: ما صين العلم بمثل العمل به وبذله لأهله. وقالوا: النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن ينقصها ألا تجد حطبًا وكذلك العلم لا ينقصه الاقتباس منه، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه.^{١٥٩}

عن سعيد بن المسيب، أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفسين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبين عثرته، وإن زل قبلت معذرتة، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته^{١٦٠}.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية وأن يكون متبعًا لآثار من مضى قبله^{١٦١}

وقال الحسن: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيا فهم على أمة محمد - ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا.^{١٦٢}

عن تمام بن أبي نجیح، قال: كنت جالسًا عند محمد بن سيرين إذ جاءه رجل فقال: إني رأيت الليلة أن طائرًا نزل من السماء على ياسمينة فنتف منها ثم طار، حتى دخل في السماء فقال ابن سيرين: هذا قبض العلماء. قال تمام: فلم تمض تلك السنة حتى مات: الحسن، وابن سيرين، ومكحول، وستة من العلماء بالآفاق ماتوا تلك السنة^{١٦٣}.

وعن عبد الله بن عكيم، قال: سمعت ابن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث، فقال: والله ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه عز وجل كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر- أو

١٥٩ (جامع بيان العلم وفضله.
١٦٠ رواه القاضي عياض في الإلماع.
١٦١ رواه أبو نعيم في الحلية.
١٦٢ (جامع بيان العلم وفضله.
١٦٣ (جامع بيان العلم وفضله.

قال: لليلته - ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي، ابن آدم ما غرك بي، ما عملت فيما علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين^{١٦٤}

قال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت، فماذا عملت فيما علمت^{١٦٥}.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا^{١٦٦}

قال الحسن: الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل.

وقال فضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: أكثركم علما ينبغي أن يكون أكثركم خوفا^{١٦٧}.

وقال علي بن الحسين: كان نقش خاتم حسين بن علي: علمت فاعمل^{١٦٨}.

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان الثوري يقول: العالم طبيب هذه الأمة والمال داؤها فإذا كان الطبيب يجتر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره^{١٦٩}. فمن هذه كلها نفهم اعتناء السلف الصالح بالعلم ورغبتهم فيه وشوقهم له واجتهادهم على تحصيله.

اعتناؤهم بالتربية:

وأما اعتناؤهم بعملية التربية فقد كانت الصحابة والتابعين ومن نهجوا منهجهم حريصين على تربية الأولاد وتعليمهم وتنقيفهم وإصلاحهم، وقد اهتموا بأمر التعلم والتربية ونظروا إليهما بعين الاعتبار فلم يتركوا فرصة إلا اغتتموها في تعليم الأولاد وتربيتهم. ومن المسلم عند علماء النباتات أن البذرة حين يضعها الفلاح في

(١٦٤) رواه أبو نعيم في زوائد الزهد لابن المبارك.

(١٦٥) رواه أحمد في الزهد.

(١٦٦) رواه الإمام أحمد في الزهد.

(١٦٧) رواه البيهقي في الشعب.

(١٦٨) جامع بيان العلم وفضله.

(١٦٩) رواه أبو نعيم في الحلية.

أرض طيبة خصبة ويتعهد بها بالماء والسماد ويحميها من الحشرات والمؤذيات ثم لا يزال يلاحقها في تهذيب أشواكها وتقويم أغصانها، فإن هذه البذرة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ويقطف الإنسان من ثمارها وينتفع بأخشابها وأوراقها وجذورها ويتفياً ظلّالها على مدى الزمان والأيام. أما إذا وضعها في أرض ملساء لا ماء فيها ولا خصبة لتربّتها ولم يتعهد بها بالماء والسماد وغيرهما فإنها لا تؤتي أكلا ولا تعطي ثمرا ولا زهرا بل تصير عما قليل هشيما تذروه الرياح فكذلك النفس الإنسانية وما فيها من قابليات واستعدادات حينما تتعهد بها بالأخلاق الفاضلة وتنميتها بالعلم والتربية فإنها تنشأ على الخير والصلاح وتدرج على الكمال.

= قال الإمام الغزالي رحمه الله في إحيائه : "والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك... وصيانته بأن يادّبه ويهدّبه ويعلمه محاسن الأخلاق".

= روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدّب قال له "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلنّ على عذر منّي، فإنّي قد اتكلت على كفاية منك".

= وقال الحجاج لمؤدّب بنيه: "علمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم".

= وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم "علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية".

= قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبى مؤدّب ابنه "إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتكَ تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه

بكتاب الله، ثم رَوّه من الشعر أحسنه ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصره طرفاً من الحلال والحرام، والخطب والمغازي...".

= وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، ورَوّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشرف الرجال وأهل العلم منهم، وجنّبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقّره في العلانية، وأنّبهم في السر، واضربهم على الكذب، إنّ الكذب يدعو إلى الفجور، وإنّ الفجور يدعو إلى النار...".

ومما سبق ندرك أن الصحابة والتابعين ومن سلكوا مسلكهم كانوا مهتمين بشأن العلم والتربية، ولم يتركوا فرصة إلا اغتنموها، وكانوا يحزنون إذا غابوا عن الأولاد فترة بسبب من الأسباب لما خافوا على أولادهم أن لا يؤدّبوا على ما يريدون ويشتهون، ومما يوضح ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية من يقول لهم: ما أشدّ ما مرّ بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: "ما فقدنا من تربية أولادنا".

باب الثاني
مبادئ عملية التعلم

الباب الثاني

مبادئ عملية التعلّم

التعلم عملية ذهنية طبيعية مستمرة من المهد إلى اللحد. ومن المعلوم أن المعلومات والمقدورات والرغبات للمتعلمين تختلف باختلاف ظروفهم وبيئتهم التي إليها ينتمون. كل مولود يولد على فطرة سليمة وعلى استعداد شامل وصلاحيات متنوعة لاكتساب أي نقطة تلقى إليه. فمن الضروري وضع أحكام وضوابط في مجال التعلم لتكون عملية الدراسة فعّالة مؤثرة في جو صحي. ومن المعترف لدى الجميع أنّ الإنسان إنّما يميّز على غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان، وإلاّ فغيره من الدوابّ والسباع والحيوانات أكبر جسماً منه، وأقوى قوة، وأكثر أولاداً وأطول أعماراً، وإنّما يُميّز على الحيوانات والدواب كلّها بعلمه وبيانه، فإذا عُدّ العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الحيوانات وهي الحيوانيّة المحضّة فلا يبقى فيه أيّ فضل، فحاجته إلى العلم فوق حاجة جسمه إلى الغذاء، لأنّ جسمه إنّما يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرّتين وأمّا حاجته إلى العلم بعدد الأنفاس، وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله هذا المعنى بعينه فقال: "الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب، لأنّ الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرّة أو مرّتين والعلم يحتاج إليه في كلّ وقت"¹ ومن هذا نفهم ضرورة التعلّم للإنسان. والإسلام يحثّ على العلم والتعلم كثيراً، ويعطي على ذلك أجراً عظيماً، ويرفع منزلة العلماء كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة". فهذا الحديث و غيره واضح في الحث على طلب العلم والتسابق إليه ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى. ومما لا ينسى أنّ دور الوالد ومسؤوليته ليست بالسهلة اليسيرة، بل عليه تبعات ضخمة وواجبات غير مردودة ومهامّ شاقّة في سبيل تزويد ولده بالمعرفة الصحيحة والعلم النافع، فإنّ الأب هو المكلف الأول بتعليم ولده،

(1) العلم فضله وشرفه للعلامة شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية.

والمحافظة عليه في ذلك، وعدم الاعتماد على المدرسة فقط، بل يستعدّ بنفسه ويشدّ منزره لتعليم ولده دينياً ودينيّاً.

ويحذر الإمام ابن القيم رحمه الله الآباء من إهمال تعليم الأولاد ورعايتهم، فيقول: "من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم".

فعلى الأب أن لا يهمل في تكوين مكتبة صغيرة في بيته، فيختار غرفة من المنزل لوضع الكتب المفيدة، أو يجعلها في غرفة المعيشة، لتكون قريبة من الجميع، ولتعم بها الفائدة، مراعيّاً تنوع المصادر والمراجع لتناسب أعمار الأطفال ومستوياتهم، كما ينبغي له اتخاذ بعض الوسائل المناسبة لترغيب الأطفال في التعلم وجذبهم إليه. ولا بأس بالمكافآت المالية لترغيبهم في العلم، فقد كان السلف من أمثال إبراهيم بن أدهم رحمه الله يرغّب الصّبي في التعلم عن طريق المكافآت المالية. والمقصود هو أن يتخذ الأب الوسائل المشروعة المرغّبة للأولاد في التعلّم وتحقيق رغبتهم وإشباع ميولهم العلمية.

ومما لا ينكره أحد، أنّ المتعلمين في كل عصر ومصر هم الكرماء والشرفاء عند الله وعندالخاصّة والعامة من النّاس، قال الإمام العلامة ابن القيم الجوزية في كتابه- مفتاح دارالسعادة - "وإنّما جعل طلب العلم من سبيل الله لأنّ به قوام دينه كما أنّ قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين- جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني: الجهاد بالحجّة والبيان وهذا جهاد الخاصّة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدّة مؤنّته وكثرة أعدائه"^٢. هم الذين يحملون أسمى رسالة حملها صلى الله عليه وسلّم وإخوانه المرسلون، فلذا عليهم أن يؤدّوها في صدق وأمانة وإخلاص حتى ينالوا رضا الرحمن ويحوزوا القبول من

(٢) العلم فضله وشرفه للعلامة شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية.

الناس. ورسولنا الكريم نعم المقتدى به في مجال التعلم إذ جلس أمام أستاذه جبريل عليه السلام وحفظ منه ما شاء الله أن يحفظ وعمل به ما عمل ونشره أمام قوم عدول لا يزال طائفة منهم يحملون ويؤدّون هذه الأمانة من جيل إلى جيل. فلما كان هذا التعلم عبادة القلب، وطلبه أفضل الطاعات والمهن، كان لزاما على طالبه أن يعلم المبادئ لهذه العملية ويحصل آدابها لكي يتحلى بها في سلوكه سبيل العلم، ويلزمها في حياته ليكون تعلمه مفيدا ونافعا له وللمجتمع، ويتمسك بها في ليله ونهاره ليكون علمه ذا نور وبصيرة، فمنها ما يأتي:

إخلاص النية لله تعالى :

قال الله تعالى في محكم تنزيله "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"^٣. فعلى المتعلمين أن يحسنوا النية في طلب العلوم بأن يقصدوا به وجه الله عز وجل فقط، والعمل به، وإحياء الشريعة السمحة النيرة البيضاء، وتنوير قلوبهم النقية، وتزكية ظواهرهم وباطنهم بنور العلم والمعرفة.

ومما لا يشك فيه أحد، أنّ عملية الدراسة طاعة وعبادة، وإخلاص النية لله تعالى واجب في جميع العبادات والطاعات، والإخلاص في التعلم أن يبتغي به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة النبوية وتنوير قلبه وتصفية باطنه والقرب من الله تعالى و التعرض لما أعدّ الله لأهله من رضوانه وعظيم ثوابه لا لغرض مادّي من تحصيل الرياسة والجاه والمال ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له وتصديره في المجالس ونحو ذلك فيستبدل الأدنى بالذي هو خير.

فإن كان همّ المتعلم تحصيل شهادة أو تبوّء منصب لكسب منافع مادية فحسب، فإنّه لا يكون مخلصا في طلبه وتعلمه فقد قال ﷺ " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

(٣) سورة البينة، الآية ٥.

يعني: ريحها. ولعظم أمر النية قال سفيان الثوري: "ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي". وقال الإمام الغزالي رحمه الله: فما دام يفرق بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو خارج عن صفو الإخلاص.

وقال الفضيل رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقال أبوبكر الوراق رحمه الله: لا تطلب المنزلة عند الله وأنت تطلب المنزلة عند الناس. فعلى الدارس تحسين نيته قبل كلّ شيء لقوله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكلّ امرئ ما نوى". ولا يقصد المتعلّم بالعلم أغراضه الدنيوية من تحصيل الرياسة، ومباهاة الأقران والجاه، والمال، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس، ونحو ذلك فيستبدل الأدنى بالذي هو خير، ولا يكون مراده بالتعلّم، جمع حطام الدنيا فالعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب، فإن خلصت فيه النية قبل وزكا ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله حبط وضاع وخسرت صفقته، وربما كان ذلك سبباً في فوات تلك المقاصد فلا ينالها فيخيب قصده، ويضيع سعيه، نعوذ بالله من ذلك.

تطهير القلب:

ورد في الحديث "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" وقال سهل: "حرام على قلب أن يدخله نور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل". فالعلم كما قال بعضهم: "صلاة السر، وعبادة القلب، وقربة الباطن، فكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث، فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق وربيئها".

فالعلم نور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده ولا يعطيه إلا لمن يطهر قلبه من الصفات الرديئة والأخلاق الذميمة، والقلب مهبط الملائكة ومحل استقرارهم ولا يدخلون إلى قلب ملأ من كبر وعجب وحسد وأخواتها كما كان منزل العلم والنور

والإيمان. ولذا يجب على المتعلم أولاً تطهير باطنه أي القلب من الصفات الذميمة. وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب. فالقلب هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم كما أشار إليه الإمام الغزالي رحمه الله والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة في القلب فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيباً ولا يعمرن بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيباً طاهراً. قال ﷺ "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"^٤ والقلب هو منظر الرب فعلى طالب العلم أن يطهر قلبه وتصفيته وأن لا يدنسه بالذنوب والخطايا فإن الله سبحانه ينظر إليه ولا ينظر إلى الأجسام والصور.

(٤) رواه البخاري رحمه الله.

تنظيم الأوقات:

قال الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله "والعصر، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"^٥ ومن أهم مبادئ التعلم تنظيم الأوقات، حيث قسم به القرآن الكريم تنبيهها على فضله، وقد قالت العلماء "الوقت سيف إن لم تقطعه يقطعك". وتنظيم الوقت يساعد على إتمام أعمال كثيرة في وقت قصير. فالوقت نعمة إلهية تستوجب منا الشكر، ولقد خلق الله السموات والأرض وسخر الشمس والقمر والليل والنهار لتستقيم الحياة، فقال تعالى في سورة إبراهيم "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"^٦. وفي هذه الآية الكريمة يمتن الله تعالى على عباده بجملة من نعمه التي لا تحصى، ومن هذه النعم نعمة الليل والنهار الذي يدور الوقت حولهما ويقوم عليهما ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن هذه النعمة الجسيمة الغالية. وطالب العلم فإنه إذا نظم أوقاته واستفاد ولو شيئا قليلا في كل يوم فإنه على ممر الأيام وعلى توالي الأيام تكون حصيلته كثيرة وتكون حصيلته ضخمة لأن الشيء إذا جاء في كل يوم ولو قل فإنه على ممر الأيام وعلى طول أيام السنة يحصل الإنسان الشيء الكبير، فلو أن الإنسان فقه في كل يوم مسألة وتمكن من معرفة حكم مسألة ودرسها يكون بعد مضي سنة حصل على ثلاثمائة وأربع وخمسين مسألة أو أقل أو أكثر، وإنما الإهمال والتفريط فيها فهو الخسران المبين، وقد روى البخاري في الصحيح وهو أول حديث بكتاب الرقاق أن النبي ﷺ قال "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"، فهذا الفراغ وهذا الوقت إذا ما قتله الإنسان وشغله لتحصيل شيء غير مفيد فإنه يكون وبالاً عليه لا ريب فيه.

^٥ سورة العصر.
^٦ سورة إبراهيم، الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤.

فعلى طالب العلم أن يحرص على تشغيل وقته كله في تحصيل العلم وتدوينه وعلى مذاكرته بين زملائهم عندما تحصل اللقاءات فيما بينهم في أي مناسبات، لا يكون ذلك خاصاً بمجالس العلم ومجالس الدروس بل إذا التقوا في الطرقات أو التقوا في المناسبات أو في أي مكان يكون شغلهم الشاغل هو البحث عن العلم والمذاكرة في العلم وهذا هو الذي ينميه. ولهذا أوصى بعض العلماء بنهم بالمحافظة على العلم وفي تحصيله وفي الإبقاء عليه وبيان ميزته وفضله على غيره وأنه يزيد وينمو بمذاكرته والاشتغال به وأنه ينقص بإهماله وعدم مذاكرته. فقد قيل "وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الأبيكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، وأجود الأماكن للحفظ كل مكان بعيد عن الملهيات، كالنبات، والخضرة، والأنهار، وقوارع الطرق، وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خلو القلب غالباً".

قال الخطيب: "أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم وسط النهار ثم الغداة".

وقال: "وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع"^٧.

ويدل على أهمية الوقت أنّ الله سبحانه قد أقسم به في قرآنه المجيد حيث قال "وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ. ومما أجمع عليه المفسرون أنّ الله لن يقسم بشيء إلا لأجل عظمته عنده. وصدق رسولنا ﷺ حين قال "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"^٨ فعلى المسلم العاقل أن يجد في شكر المنعم على نعمة الوقت وأن يغتنمه في كل مفيد نافع. والوقت أمانة، شأنه في ذلك شأن سائر الأمانات التي سيسأل عنها الإنسان يوم الفرع الأكبر. وقد قال ﷺ فيما قال عن أحوال يوم القيامة "لا تزولُ

(٧) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة.

(٨) أخرجه البخاري، والترمذي.

(٩) أخرجه الترمذي.

قَدَمًا عبد يومَ القيامة، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمره فيما أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ما عملَ به؟ وعن ما له من أين اكتسبه وفيما أنفقَه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟^{١٠}. وهو من أثنى ما يمتلكه الإنسان، فالوقت هو الحياة وهو رأس مال الإنسان، وإذا ضيَّعه فلا يمكن بأي حال أن يسترده. وقد شبهه بعض الجهال بالذهب وهذا سفاهة منهم لأنه أعلى وأثمن وأنفس من كل نفيس. والمؤمن وحده يعرف قيمة الوقت، لمعرفة بالغاية التي من أجلها خلق قال تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ"^{١٠}

وقد كان سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عنهم أشدَّ الحرص على الانتفاع بأوقاتهم واغتنامها واستثمارها، فقد كانوا يسابقون الساعات ويبادرون اللحظات ضنا منهم بالوقت، وحرصا على أن لا يذهب منهم سدى .

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي".

وقال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله "إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما".

وقال الحسن البصري رحمه الله "يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب بعضك أن يذهب كلُّك، وقال أيضا: أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم".

فهذا جاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره أيّ كتاب كان، حتى إنّه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر في الكتب .

وهذا الإمام الهمام جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى وقد عاش قرابة خمسين سنة

(١٠) سورة الذاريات، ٥٦-٥٨

وألف ما يزيد عن خمسين مؤلفاً وكانت حياته زاخرة بالعلم والدعوة، ومع ذلك كان يقول : يا ليت الوقت يباع فأشتريه.

"وبحرص سلفنا الصالح على أوقاتهم علا قدرهم وسما شأنهم، وخذل ذكرهم، أما في زماننا هذا فإن من أبرز أسباب تخلف المسلمين تفننهم وتفانيهم في تدمير وإهدار أوقاتهم في المقاهي والملاهي والطرفات وأمام التلفاز والتسجيلات الصوتية والمرئية وفي غير ذلك من المجالات التي لا فائدة منها ولا ثمرة من ورائها"^{١١}.

اغتنام شبابه في التحصيل.

على المتعلم أن يغتتم وقت شبابه في طلب العلم فإنّ التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، وإذا كبر الإنسان وضعف سمعه وبصره وضعفت قوته الحافظة والذاكرة فيصيبه الملل في كلّ شيء، وقد قال ﷺ لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك^{١٢}. ولا يغتر بخدع التسويق والتأميل، فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها، ويغتتم وقت فراغه ونشاطه وزمن عافيته وشرخ شبابه ونباهة خاطره وقلة شواغله قبل عوارض البطالة أو موانع الرياسة، فإنها الوقت المناسب لطلب العلم وإذا فات لا يعود، وكم من أناس ندموا على ضياع وقتهم في الصغر وقالوا: يا ليتنا نردّ إلى أيام الصغر فنكون من المجتهدين لأنّ ساعة علم واجتهاد في الصغر تغني عن تعب سنين في الكبر. ولم نر أحدا قط ندم على التعلم في الصغر وإنما رأينا الكثيرين يندمون على ضياع وقتهم سدى وعدم حصولهم على العلم. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "تفقهوا قبل أن تسودوا"^{١٣} وقال الشافعي رحمه الله: "تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه"^{١٤}. ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن إتمام الطلب وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد

(١١) بيتمة الدهر في تفسير سورة العصر للدكتور أحمد الشراوي توزيع دار السلام بالقاهرة.

(١٢) أخرجه النسائي والحاكم في المستدرک .

(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٨-٥٤٠.

(١٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٣٤.

عن الوطن لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وكذلك يقال: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. فعلى طالب العلم أن يتعلم زمن حدائته وخلوّ فكره من شواغل الحياة وكسب العيش فإنه هو الوقت المناسب لطالب العلم .

استمراره في طلب العلم إلى آخر العمر:

قال صلى الله عليه وسلم: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ والحذر من الشعور بالاستغناء والاكتفاء والاستعلاء، ولنا في سلف الأمة خير مثال في هذا الباب، وللإمام عبد الفتاح أبوغدة^{١٥} كتاب باسم "العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزّواج" يبيّن فيه تواريخ العلماء الذين اشتغلوا بالعلم إلى آخر لحظة من حياتهم يقول في مقدمة كتابه وبعد فهذا موضوع طريف ومبحث منيف، تحدثت فيه عن العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزّواج، ولم أقف على من دون فيه شيئاً من قبل، فرأيت أن أكتب فيه هذه الكلمات، وأجمع فيه هذه الصفحات، وسمّيته "العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزّواج". اقتصرت فيه على ذكر أكابر أئمة العلم والدين، من المفسرين، والقراء، والمحدثين، والفقهاء، والقضاة، والمفتين، والأدباء، والمؤرخين، والنحاة، واللغويين، والزهاد، والعباد، ممّن عرف فضلهم، واشتهر دينهم وعلمهم، ووهبوا حياتهم كلّها للعلم، وعاشوا له عزّاباً متفرغين، وحرّموا أنفسهم من أعلى متع الحياة المشروعة: متعة الزواج والنسل والأولاد، بغية الازداد من العلم وخدمة الدين ونفع المسلمين. فهذا الإمام الطبري رحمه الله لم يتوقف عن طلب العلم حتى قبل موته بلحظات. قال الأستاذ محمد كُرد علي في "كنوز الأجداد" في ترجمة الإمام ابن جرير الطبري: "وما أثر عنه أنه أضع دقيقة من حياته في غير الإفادة والاستفادة، روى المُعافي بن زكريا عن بعض الثقات، أنه كان بحضرة أبي جعفر الطبري رحمه الله تعالى قبل

(١٥) ولد بطلب سنة ١٣٣٦ وتوفي بالرياض سنة ١٤١٧ ودفن بالبقيع الشريف رحمه الله وغفر له.

موته، وتوفي بعد ساعة أو أقلّ منها، فذكر هذا الدعاء عن جعفر بن محمد^{١٦}، فاستدعى محبرة وصحيفة فكتبه، فقيل له: أفي هذه الحال؟! فقال ينبغي للإنسان أن لا يدع اقتباس العلم حتى الممات". قلت: رحمك الله تعالى يا أبا جعفر، لقد استنفدت الجهد والدقائق والثواني في خدمة العلم وتحصيله، ونشره، وتدوينه، فكنت إماما وقودة في حياتك وبعد مماتك، وتوفي لأربع بقين من شوال سنة ٣١٠، عن ٨٦ سنة، عزبا لا زوجة حوله، ولا ولد له بعده، وإنما خُفّ وأبقي من العلم المؤلفات الحافلة، ما لا يُنسى ولا يُجهل على وجه الدهر، فكانت تأليفه الكثيرة النادرة، ذريته الباقية المذكرة به البارة، بل كانت أدم تذكيرا به من النسل والأولاد، رحمة الله عليه. وصدق الإمام ابن الجوزي رحمه الله إذ قال: كتاب العالم ولده المخلّد. وقال أبوبكر بن كامل رحمه الله عن الإمام الطبري: ولقد حرصت مرارا أن يستوي لي مثل ما يفعله، فيتعدّر عليّ اعتياده! وما سمعته لاحنا، ولا حالفا بالله عز وجلّ وكان حسن القيام على نفسه. وهذا الإمام أبو نصر السجزي رحمه الله، قال عنه أبو إسحاق الحبال رحمه الله " كنت يوما عند أبي نصر السجزي فدقّ الباب، ففقت ففتحتة، فدخلت امرأة وأخرجت كيسا فيه ألف دينار، فوضعت بين يدي الشيخ وقالت: أنفقتها كما ترى، قال: ما المقصود؟ قالت: تتزوجني، ولا حاجة لي في الزواج ولكن لأخدمك، فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف. فلما انصرفت قال: خرجت من سجستان بنية طلب العلم، ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم، وما أوتر على ثواب طلب العلم شيئا". وهكذا واقعات كثيرة تدلّ على حرص سلفنا الصالح على العلم وتحصيله والاشتغال به، لو كتبنا التفصيل فيها لطالت أوراقنا فمن يرد التفصيل فاليطالع كتاب "العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج" للإمام عبد الفتاح أبوغدة رحمه الله وتقبل الله منه هذه الخدمة الجسيمة الطريفة للعلم والدين فإنّ فيه ما لا عين رأت في هذا الموضوع، وما يشفي الغليل فيه، والله أعلم .

١٦) لعنه يشير لدعاء الفرج المعروف عن جعفر الصادق : اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ... انظره في " القول البديع للسخاوي رحمه الله.

مصاحبة الأخيار:

قال الله تعالى "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا"^{١٧} قال ﷺ "المرء على دين خليله، فالينظر أحدكم من يُخالل".^{١٨} فعلى طالب العلم أن يختار من الخلآن والأصدقاء من يعينه على التعلم والتزود منه. وكثيرا ما نرى من الطلاب تركوا التعلّم لأجل رفقاءهم السوء بعد ما كانوا من محبي العلم والمعتكفين عليه، وهذا من الخسران المبين فإنّ الله تعالى آثرهم على غيرهم للعلم ووقفهم للتعلّم والتفقه في الدين ثم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. ولقد بين الله أحوال الكافرين وإظهار حزنهم وتأسّفهم وقولهم يوم القيامة على اتخاذهم قرناء سوء بقوله تعالى "يا ويلى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا" ولكن أتى لهم الذكرى ولا تنفعهم الذكرى يوم يعضّ الظالم على يديه. فعلى طالب العلم أن يترك مصاحبة من كثر لعبه وقلت فكرته، فإن الطباع سارقة وآفة العشرة ضياع العمر بغير فائدة، والذي ينبغي له أن لا يخالط إلا من يفيد أو يستفيد منه. وإذا احتاج إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً، ديناً، تقياً، ورعاً، ذكياً، كثير الخير، قليل الشر، حسن المداراة، قليل المماراة، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج وإساه، وإن ضجر صبره.

الاجتهاد والصبر في طلب العلم:

قال الله تعالى "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"^{١٩} وقد كرس كثير من علمائنا حياتهم لخدمة هذا العلم الشريف، وبذلوا من أجله جهد طاقتهم وكل ما في وسعهم، فتجشموا قطع المسافات الشاسعة بما في ذلك من تعب ونصب وعذاب باحثين عن العلم، ولا يبتغون من ذلك مكسب دنيوي، فالدنيا لم تكن في حسابهم يوماً من الأيام، وإنما كان هدفهم امتثال أمر الله سبحانه وتعالى .

(١٧) سورة الفرقان الآيات ٢٧ - ٢٩

(١٨) أخرجه أبو داود، والترمذي .

(١٩) سورة التوبة الآية : ١٢٢

قال الله تعالى: "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" فقد استدل الإمام حماد بن سلمة بهذه الآية على الرحلة في طلب العلم.

يجدر بطالب العلم أن يجدد في الدراسة حسب الإمكان وأن يقسم أوقات ليله ونهاره ويغتني ما بقي من عمره حتى لا تضيع له لحظة من عمره النفيس، ودوام الحرص على الازدياد من العلم بملازمة الجد، وأن يواظب على وظائف الأوراد قراءة ومطالعة وحفظاً وفكراً وتعليقاً، وبحثاً وتصنيفاً ولا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من الحاجات الضرورية كالأكل والشرب والنوم، أو الاستراحة لملل، أو أداء حق زوجة، أو زائر، أو تحصيل طعام وغيره، مما يتعذر معه الاشتغال، فإن المؤمن إذا استوى يومه فهو من المغبونين.

وعليه أن يجتهد في الطلب فإنه بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا فعليه سهر الليالي، ولا يظن أنه سيحصل العلم بمجرد رغبته إليه بل عليه أن يسعى له. فقد قال الله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن يسافر إلى الأماكن البعيدة بتحمل المشقات اتباعاً لقوله ﷺ "اطلبوا العلم ولو بالصين".

وقال الشافعي رحمه الله: "حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من العلم، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في إدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه".^{٢٠}

وقال الربيع: "لم أر الشافعي أكلاً بنهار ولا نائماً بليل لا اشتغاله بالتصنيف، ومع ذلك فلا يحمل نفسه من ذلك فوق طاقتها كيلا تسأم ويمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصداً، وكل إنسان أبصر بنفسه".^{٢١}

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ أَحَدًا لَمْ يُوَلَدْ عَالِمًا أَيُّ مَنْ بَطْنِ أُمَّهِ وَإِنَّمَا

٢٠) آداب العلماء والمتعلمين للحسين ابن المنصور اليميني .
٢١) آداب العلماء والمتعلمين للحسين ابن المنصور اليميني.

الْعُلْمُ بِالتَّعَلُّمِ. أي أنّ جميع العلماء الكرام لم يولد أحد منهم عالما من بطن أمّه، وإنّما صاروا علماء باجتهداهم في طلب العلم واحتمالهم المشقة في تحصيله.

وهذا إمامنا الشافعي رحمه الله ما وصل إلى درجته التي نالها إلا بتحمل مشقات كثيرة لا يعلمها إلا الله، وقد أصابه من الفقر والمصيبة ما يعجز عنه الواصفون ولكن لم يتزلزل، وثبت أمامها ثبوت الجبال الراسيات حتى نال إلى رتبة عالية وكان مصداق قوله ﷺ "عالم قريش يملأ طباق الأرض علما".

وهذا إمام المحدثين صاحب الصحيح أعني البخاري رحمه الله قد قطع المسافات في طلب حديث واحد.

تقليل النوم:

فعلى طالب العلم تقليل نومه ما لم يلحقه ضرر في بدنه وذهنه، ولا يزيد في نومه في اليوم واللييلة على ثمان ساعات، وهو ثلث الزمان، فإن احتمل حاله أقل منها فعل. قال ﷺ لرجل من أصحابه: يا فلان، لا تكثر النّوم بالليل فإنّ كثرة النوم بالليل تدع صاحبه فقيرا يوم القيامة. فما نقول فيمن ينام بالنّهار أيضا؟ نعوذ بالله من ذلك. ثمّ على طالب العلم أن لا ينام إلا إذا غلبه النوم، ولا يستجلب النوم بفرش ناعمة وبيئة ملائمة فإنّ ذلك من عادة أهل اللّهو والطرب. ومما ينبغي التنبّه عليه أنّ المتعلّمين يجب عليهم ترك النوم وقت الصبح لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها وهو وقت قسمة الأرزاق فنومه فيه حرمان من الأرزاق ومع ذلك أنّه وقت مبارك ولعظم شرفه أقسم الله به في قرآنه المجيد فقال "والفجر وليال عشر" و دعا فيه نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم لأمتّه فقال "اللهم بارك لأمتي في بكورها"^{٢٢} وكذا وقت العصر إلى غروب الشمس فلعلّ نومه فيه يكون سببا لاختلاس عقله لقوله صلى الله عليه وسلّم "من نام بعد العصر فاختلست عقله، فلا يلومنّ إلا نفسه" ولكن له أن يريح نفسه وقلبه وذهنه

(٢٢) رواه أبو داود والترمذي رحمهما الله.

وبصره إذا كلَّ شيء من ذلك أو ضعف بتنزهه وتفرج في المستنزهات بحيث يعود إلى حاله ولا يضيع عليه زمانه.

كثرة التواضع والورع في الحياة:

قال الله تعالى "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"^{٢٣} الحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها، ولا ينالها إلا بالتواضع. وهو خلق إنساني عظيم، يجعل الإنسان يعامل الآخرين بلطف، ويتطلع لهم بنظرة احترام وتقدير ومساواة، دون تكبر أو تعالٍ، سواء كان يتفوق عليهم بالمال أو العلم أو الجاه أو غيرها، وذلك ما نستنتجه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم "الناس كلهم بني آدم، وآدم خلق من تراب" إذ يدلّ الحديث الشريف على أنّ أصل الإنسانية هو واحد، ولا يصحّ التعالي بالأنساب أو الألقاب على الآخرين فقد قال الله تعالى "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"^{٢٤} وقال تعالى أيضا "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"^{٢٥} فليكن المتعلم ذا تواضع لأنّ العلم كالماء يسيل إلى مكان منخفض فقط، ولقد أحسن من قال: والعلم حرب للمكان العالي. فيكون المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله، وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه الصمت والتسليم فقال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مرادته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما.

وكذلك يجب على طالب العلم أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله، ليستتير قلبه، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به. ويلزمه التورع في الفتوى، والتأني في

٢٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

٢٤) سورة الفرقان الآية ٦٣.

٢٥) سورة القصص ٨٣.

إطلاقها، ففي زماننا هذا نرى طلاب علم يستعجلون في الفتوى، مع أن الأسلاف رضي الله عنهم كانوا يتدافعون الفتوى، ويشفقون من الإقدام عليها، فما بال طلاب العلم اليوم يتناهبونها، ولا يعبؤون بخطورتها؟!

ومما ينبغي أن يعلم أنه جاء رجل من العراق إلى مالك بن أنس رحمه الله فسأله عن أربعين مسألة، فأفتاه في ثلاث مسائل فقط - في إحدى الروايات - واعتذر عن سبع وثلاثين مسألة، فقال له السائل: نضرب إليك أكباد الإبل، ولا تعرف إلا ثلاث مسائل! فقال له الإمام: اركب راحلتك، وقل لمن أرسلك: إنني وجدت مالك بن أنس لا يعلم في العلم شيئاً. وبهذا التواضع والتورع في الفتوى نال الإمام مالك رحمه الله المنزلة الرفيعة، والمكان المرموق بين العلماء. ومن هذه الواقعة نفهم أن طالب العلم عليه أن يلزم التواضع في جميع الحالات، وعليه أن يقنع من القوت بما تيسر وإن كان يسيراً، ومن اللباس بما يستر مثله وإن كان خُلُقاً، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم، ويجمع شمل القلب على مفترقات الآمال فتفجر فيه ينابيع الحكم. فإن العلم صناعة القلب وشغله، فمن لم يتفرغ لصناعته وشغله لم ينله. فالقلب له وجهة واحدة فإذا وجهت وجهته إلى اللذات والشهوات انصرفت عن العلم. ومن لم يُغَلِّبْ لذة إدراكه للعلم على لذة جسمه وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبداً.

القدوة الصالحة و الجرأة في الحق:

القدوة الصالحة هي مسألة كبرى بالنسبة إلى طالب العلم، فإن الناس ينظرون إلى طالب العلم نظرة خاصة، فعليه أن يجعل من نفسه مثالا رائعا حيث يقتدونه في أفعاله وأقواله، وألا يكون سببا في إضلال الناس، فلئن كانت المعصية في حق غيره واحدة، فهي في حقه عدة معاص، لأن الناس يتأسون به، وكم يسمع الناس من احتجاج العوام لاقتنائهم مثلا أجهزة الفساد كالفديو وغيره بأن طالب العلم الفلاني يقتني في بيته هذا الجهاز، سواء كان ذلك حقا أو باطلا. فليتقطن طلاب العلم لذلك، فإن العلماء أو طلاب العلم هم ورثة الأنبياء فواجب أن تكون فيهم قدوة حسنة يتبعها ويقتدي بها عوام الناس ومن دونهم في العلم والمعرفة.

العمل بمقتضى العلم:

قال الله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"^{٢٦}. والعمل بمقتضى العلم قضية كبرى، ومسألة جوهرية في حياة العلماء وطلاب العلم، فإن العمل هو المقصود الأعظم من العلم، وبدونه لا قيمة للعلم، ولا فائدة من ورائه. ومن هنا جاءت نصوص الكتاب والسنة تؤكد وجوب ربط العلم بالعمل، وتحذر من الفصل بينهما فقد قال تعالى في قرآنه المجيد "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ".

وأما الأحاديث فيها فكثيرة جدًا، وكفانا دليلاً على عظمتها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"^{٢٧}.

وقال عليه الصلاة والسلام "يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيقال: أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقال: كنت آمرم بالمعروف ولا أفعله، وأنهاكم عن المنكر وأتية"^{٢٨}.

٢٦) سورة الصف الآيات : ٢٠٣ .
٢٧) رواه البخاري في كتاب الرقاق .
٢٨) البخاري ٣٠٩٤ ومسلم ٢٩٨٩ .

وعن زيد ابن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها" ^{٢٩}

وقال ﷺ: "مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة التي تضيء للناس وتحرق نفسها" ^{٣٠}.

وأما من أقوال السلف: قال أبو هريرة رضي الله عنه: "مثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله عز وجل".

وقال عمر بن الخطاب: "لا يغرركم من قرأ القرآن، ولكن انظروا من يعمل به".

وقال حبيب بن عبيد الرحبي: "تعلموا العلم، واعقلوه، وانتفعوا به، ولا تتعلموا لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم العمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه".

وقال الفضل بن عياض: "لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً".

وقال مالك بن دينار: "العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الصفا إذا وقع عليه القطر انزلق عنه".

فعلى طالب العلم أن يعمل بعلمه الذي علمه فإنّ العمل هو ثمرة العلم وإنّما يكون العلم نافعا حينما يعمل به .

كتابة العلم:

والكتابة هي من إحدى الوسائل الناجحة في تقييد العلم، فإنّ قوة الذاكرة والحافظة من الإنسان ربّما يعترئها النسيان فيضيع ما حفظه القلب وربّما لا يستطيع على إدراكه البتة، فتقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند

^{٢٩} رواه مسلم .
^{٣٠} رواه البزار وصححه الألباني.

الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، ولذا فاجعل لك مذكرة لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنشورة في غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، فحسن، ثم تنقل ما يجتمع لك بعدُ في مذكرة، مرتباً له على الموضوعات، مقيداً رأس المسألة، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قيده "نقل" حتى لا يختلط بما لم ينقل. وقد قال الشعبي رحمه الله : "إذا سمعت شيئاً فاكتبه، ولو في الحائط".

وفي الكتابة فوائد كثيرة لا تنكرها ذو عقل سليم، فإنه لو لم تكن لما نقل إلينا كثير من العلوم والفنون، فإن العلماء يموتون وإنما تركوا ورائهم تأليفات قيمة فكانت كتبهم مرشدة إلى الطريق السوي نيابة عنهم. ونبينا محمد ﷺ كان يحرض على كتابة شيء مفيد، "قَالَ هِلَالُ بْنُ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَدَلِي مَا قُلْتَ لَهُمْ؟ فَقَالَ لِي: هَلْ مَعَكَ مِحْبَرَةٌ؟ فَقُلْتُ مَا مَعِيَ مِحْبَرَةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا هِلَالُ لِأَتْفَارِقَ الْمِحْبَرَةَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". فعلى طالب العلم أن يكتب ما تعلم منه ليستفيد عند النسيان خصوصاً المسائل الغريبة النافرة عن الذهن في الكتاب.

القناعة بأدنى ملبوس وقوت:

وفي وصية لقمان لابنه "يَا بُنَيَّ، الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ غَرِقَ فِيهَا نَاسٌ كَثِيرٌ فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيهَا الْقَنَاعَةَ". فعلى المتعلمين أن يقنعوا من القوت ومن اللباس بما تيسر، وإن كان موسراً، لقد صحَّ عن الشافعي رحمه الله: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلَّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح"، وقال: "لا يدرك العلم إلا بالصبر على الذل، ومن آثر طلب العلم على الاحتراف فإن الله يعوضه ويأتيه بالرزق من حيث لا يحتسب".

فعن زياد بن حارث الصدائي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: "من طلب العلم تكفل الله برزقه"^{٣١}. وقد قال العلماء إنّ من أعظم الأسباب المعينة على اكتساب العلم وفهمه وحفظه هو، أكل القدر اليسير من الحلال.

وقال إمامنا الشافعي رحمه الله: "ما شبعنا منذ ست عشرة سنة"، وسبب ذلك، إنّ كثرة الأكل تورث كثرة الشرب، وكثرته جالبة للنوم، والنعاس، وكثرة الغفلة والبلادة، وفتور الحواس، وقصور الذهن، وكسل الجسم، وثقل البدن وكلّ هذا مع ما فيه من الكراهة الشرعية، والتعرض لكثير من الأسقام البدنية. والأحسن أن يكون مقدار الطعام من الطعام إذا كثر، ما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "ما ملأ ابن آدم وعاء، شراً من بطن، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"^{٣٢}، فإن زاد على ما ذكر فربما يعدّ من الإسراف. وقد قال الله تبارك وتعالى: "كلوا واشربوا ولا تسرفوا"، حيث قال بعض العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة: "جمع الله الطبّ كلّ بهذه الكلمة".

اجتناب ما يقتل الفهم:

وعلى طالب العلم أن يجتنب الأطعمة التي تورث النسيان، وكذا عليه ترك كلّ شيء يؤدي إلى قلة الفهم وسوء الحفظ. وقد عدّ العلماء أموراً كثيرة تؤدي إلى سرعة النسيان ككثرة أكل الباقلا، والتفاح الحامض، وشرب الخل، وكذلك استعمال ما يكثر البلغم المبعد للذهن، ككثرة الألبان والسمك ونحو ذلك، وقد قالت العلماء: "إنّ ممّا يزيدُ قوّة الحفظِ السيّواك، وقراءةُ القرآنِ نظراً، وأكلُ الخُبزِ اليابسِ على الرّيق".

وقالت الحكماء "إنّ كثرة النسيان من كثرة البلغم وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء وكثرة شرب الماء من كثرة الطّعام" ويجتنب ما يورث النسيان بالخاصة كأكل أثر

(٣١) أخرجه الخطيب في الجامع.
(٣٢) رواه الترمذي رحمه الله.

سُور الفأر، وقراءة ألواح القبور، والدخول بين جملين مقطورين، وإلقاء القمل الحيّ على الأرض بلا قسع، ونحو ذلك من المجربات عند الخواصّ.

وكذا يجب على طالب العلم آداب أخرى لو قمنا بذكر تفاصيلها لطلال الكلام ولذا نشير إليها بمجرد ذكرها دون شرح وتفصيل منها:

* يجب عليه أن لا يسأل أستاذه أسئلة تعنّت وتعجيز، وأن يهدّب أسئلته ويعرضها بشكل مقبول وبأسلوب مهذب.

* أن لا ينتقل من بحث قديم إلى بحث جديد إلا إذا بعد إتقان البحث القديم، وبعد استئذان أستاذه ومشورته بذلك.

* وعليه أن ينظر إلى أستاذه ومربيه نظرة إجلال واحترام وتقدير وأن يبجل أستاذه في حضوره وغيبته، ولا يخاطبه بتاء الخطاب وكافه ولا يناديه من بعيد، بل عليه أن يخاطبه بصفة الجمع .

* أن يسبق أستاذه في الحضور إلى مكان الدرس أو الحلقة أو الندوة وأن يجلس في حضرته بأدب، ويتعاهد تغطية قدميه وإرخاء ثيابه ولا يستند في حضرته إلى نحو جدار أو مخدة ولا يدبر إليه ظهره وغير ذلك مما لا يستحسن في مجالس العلماء.

* وأن لا يأكل ما يفسد عليه ذوقه وفهمه أو يضر بصحته أو ينسيه بعض ما درس. وكان المسلمون الأوائل يوصون طلابهم بتناول بعض الأطعمة وشرب بعض الشراب الذي يعتقدون أنه يقوي الذهن والذاكرة مثل: أكل الزبيب بكثرة، وشرب العسل، واستعمال السيّواك.

* وأن يحافظ على أداء الصلوات المكتوبات في أول وقتها في جماعة يشترك فيها المؤمنون والصالحون.

* أن يفكر دائما في عجائب خلق الله تعالى فإن الله سبحانه يقول للمؤمنين في محكم تنزيله في مواضع عدة "أفلا تتفكرون" "أفلا تتدبرون"، وطالب العلم أولى وأجدر به من غيره.

* وأن يظنّ أنّه قليل العلم وإن وصل إلى أعلى المعالي من العلم، فإنّ الله سبحانه وتعالى أمر نبيّنا محمداً ﷺ بقول ربّ زدني علما وهو الذي أوتي علم الأولين والآخرين.

* وأن يشكر الله في السرّ والعلانية على هذه النعمة الجسيمة التي لا تعدلها الأرض والسموات وما فيهما، وقد حرّمها على كثير من عباده.

* وأن يكثر السّواك وقراءة القرآن فإنّهما يُعينان على زيادة قوّته الحافظة والذاكرة.

* وأن يلازم الوضوء وقلة الأكل وأن يرغب عن اللعاب والملاهي، فإنّ العلم لا يدخل إلى قلب غافل.

* وأن يسأل الله سبحانه أن يزيد من العلم النافع الذي هو نور في الحياة وفي الممات وأنيس ورفيق في القبر والحشر.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله بعض الشروط ينبغي أن يأخذ بها المتعلّمون وهي :
(١) تقديم طهارة النفس على رذائل الأخلاق، إذ لا تصلح عبادة القلب بالعلم إلا بعد تطهيره عن خبائث الأخلاق.

(٢) أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن.

(٣) ألا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية.

(٤) أن يحذر الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس، فإنّ ذلك يدهش عقله، ويحير ذهنه، ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع.

٥) ألاّ يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودّة ولا نوعاً من أنواعه إلاّ وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض.

٦) أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهمّ، فإنّ العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً، فالحزم أن يأخذ من كلّ شيء أحسنه.

٧) ألاّ يخوض في فنّ حتى يستوفي الفن الذي قبله فإنّ العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض.

٨) أن يعرف السبب الذي به يدرك الشرف في العلوم، فإنّ ثمره علم الطب الحياة الدنيوية وثمره الدين الحياة الأخروية، فيكون علم الدين أشرف.

٩) أن يكون قصد المتعلّم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضائل، وفي المال القرب من الله، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران، ولا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم التي هي فرض كفاية.

١٠) أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهمّ على غيره^{٣٣}.

هذه هي بعض أهمّ مبادئ التعاليم الإسلامية الأصيلة التي وردت على لسان العلماء والمربين المسلمين الأوائل لأبنائهم من طلاب العلم في كل زمان ومكان، لتصلح من شأنهم وترفع من قدرهم وتسمو بمستواهم العقلي والخلقي والبدني والاجتماعي، وهي مشاعل تنير لهم طريق الهداية في حياتهم الدراسية، حتى إذا ما خرجوا إلى ميدان الحياة العامة كانوا رجالاً عاملين مؤمنين مشبّعين بروح التربية الإسلامية السمحة البيضاء التي تعصمهم من الزلل وتهدّهم صراطاً مستقيماً في حياتهم الدنيوية والأخروية.

٣٣) التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني.

الفصل الأول:

العوامل المهمة لتنشيط الطلاب ودفعهم إلى التعلّم:

ومن طبيعة الإنسان أن يصيبه الكسل والفتور في بعض الأحيان ولو كان مجداً متقناً مخلصاً في عمله، وإذا كان هذا أمر الإنسان البالغ العاقل، فلا عجب في تكاسل الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حدّ التكليف لا سيما في حالة التعلّم. فينبغي للمعلّم أو المربيّ أخذ بعض الوسائل المفيدة الناجحة لتنشيط الطلاب ودفعهم إلى التعلّم والحفظ مع مراعاة سنّهم وطبيعتهم، ومن تلك العوامل المهمة ما يأتي:

(١) غرس محبة العلم في نفوس الطلاب:

حين يغرس المدرّس في نفوس الطلاب حبّ العلم وفضائله، وفضل أهله وحملته، فإنّهم سيقبلون على العلم، وتحصيله بالبحث والمذاكرة وغيرها من أنواع طلب العلوم. والآيات والأحاديث التي وردت في فضائل العلم لا تكاد تحصى، على المعلّم مطالعة هذه الكتب المشتملة على فضيلة العلم وتلقينها لهم أثناء الدرس بحسب الحاجة إليها بغير إفراط وتفریط في أوقات مناسبة.

ورد في الحديث الشريف عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"^{٣٤}. وعندما يستمع المتعلّم إلى فضيلة العلم وفضيلة حملة العلم يشناق أن يكون واحداً من أهله فيعمل ويجتهد لذلك وهذا يدفعه إلى التعلّم ويحضّه عليه.

(٣٤) رواه أبو داود، والترمذي رحمهما الله.

ويستعين المدرّس ببعض الكتب المفيدة الجيدة المؤلفة في هذا الجانب من كتب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي- خاصة الباب الأوّل من الجزء الأوّل من هذا الكتاب، و"العلم فضله وشرفه" لابن قيم الجوزية، رحمهما الله ففيهما الكفاية إن شاء الله تعالى.

٢) المدح أو التعزيز:

للمدح أثر فعّال في نفوس الأطفال، لأنه يحركّ الشعور النائم ويحيي الأحاسيس الميتة، ويقع في النفوس موقِعاً حسناً جميلاً، وهو مثير للمشاعر كما أنه محبب إلى القلوب والأذهان، وهو يدفع الشخص الممدوح إلى العمل بجدية ونشاط وارتياح في نفس الوقت. والحديث الذي يمدح فيه النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنه خير مثال لذلك، وذلك :

"عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصّها على النبي صلى الله عليه وسلم. قال وكنت غلاماً شاباً عزباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيهما ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، قال فلقيهما ملك فقال لي : لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصّتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي ﷺ "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"^{٣٥} قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.

وهاهو المعلم الأعظم محمد ﷺ يمدح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وينبّهه أمرا غفل عنه بأسلوب رائع بديع محبّب إلى نفسه، فبعثه ذلك إلى العمل على أتم وجه وأكمل صورة وهو راغب مقبل مثابر نشيط .

^{٣٥} (رواه البخاري ومسلم رحمهما الله).

وكذلك المدح في زمنه المناسب، ووقته المناسب، وفي المجلس المناسب، للشخص المناسب، يبعث النشاط والمروّة في النفوس، كما يزيد الحيوية والطمأنينة في القلوب. لكن ينبغي أن يكون المدح بصدق، وإخلاص، من غير مرااء، ولا فخر، وأن يكون موجّهاً إلى هدف مقصود معيّن لا لمجرد المدح والثناء فحسب.

٣) المنافسة:

ومما لا يخفى على أحد أن للمنافسة يد طولى في تنمية قدرات الطالب ومهاراته، فإنّها تحرك طاقات كامنة داخل الشخص لا يعرفها في الأوقات العادية، وتبرز تلك الطاقات لديه عندما يوضع في منافسة حامية مع شخص آخر.

والمعلّم الفطن يفهم ضرورة زرع التنافس بين الطلاب ويعمل ما في وسعه لذلك ليكون تعليمه ناجحاً، ثم مكافأة الفائز وتقديره والثناء عليه -لا شك- يدفعه لاستخراج الطاقات الكامنة في نفسه، ومن ثم يتحقق المطلوب ويشعر باللذة والسعادة والطرب.

والمنافسة تنشط النفوس الفاترة وترفع مستوى الهمم، وتثير النشاط، وتنمي المواهب والقدرات، كما أنها تغرس في الأطفال روح الجماعة والابتعاد عن الفردية، وتدريبهم على فهم الحياة، وأنها بين إقبال وإدبار حسب ما يبذلون لها من جهد.

والمنافسة أسلوب مهمّ لترغيب الناس في الخيرات وقد استخدمه النبيّ صلى الله عليه وسلم بين أصحابه الطيبين الطاهرين. ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "إن من شجر البوادي شجرة لا يسقط ورقها، وإنها المسلم فحدثوني ما هي؟" فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: وقع في نفسي أنها النخلة.. ثم حدثنا رسول الله ﷺ قال "هي النخلة". فهذا الأسلوب يثير انتباه الطفل ويجعله يفكر مع الغير وينافسهم لمعرفة الجواب الصحيح.

فاستغلال هذا الأسلوب بين الطلاب في الحلقات يؤدي إلى بث روح النشاط بينهم ويبعد عنهم الفتور والكسل، لكن ينبغي استخدامه بشكل صحيح مناسب للوقت

والمكان والمجلس لتكون النتائج مرجوة منه، وإلا يؤدي التنافس في بعض الأحيان إلى الشحناء والحسد والضغن وغيرها من المهلكات، فعلى المعلم أن يكون على حذر تام في استخدامه موافقا لطباع الطلاب ومقتضى الحال.

٤) حل المشاكل :

وفي بعض الأحيان نرى بعض الطلاب النشطاء قد اعتراهم فترات كسل وإعراض، وقد يكون ذلك لمشكلة نزلت بهم، ولا بد من حل ما يعترضونه من مشاكل للعودة بهم إلى نشاطهم المعهود.

ولن يعود النشاط أبدا ما دامت العوائق موجودة، والمانع قائماً مستمرا، ربّما يكون المانع مشكلة نفسية أو اجتماعية أو أسرية، وهنا تبرز مهارة المعلم في التوصل إلى المشكلات وإيجاد الحلول لها بالتعاون مع القادرين على الوصول إلى جوهر المشكلة وحلّها وتيسيرها من أسرة وأقارب وموجهين ومتخصصين وغيرهم .

وقد لا يعلم الطالب ماهية مشكلته وحقيقتها، إلا أنه يشعر بوجودها فقط، وهذا أمر يحتاج إلى فهم مسبق من المعلم لنفسيات تلامذته، وبراعته في التعامل مع كلّ بما يلائمه، وفي الحقيقة فإن التغلب على العوائق والمواع التي تعترض حياة الطالب يحقق له نشاطاً مستمراً بإذن الله تبارك وتعالى.

ومن أول ما يجدر بالمعلم معرفته في ذلك: معرفة المراحل التي يمرّ بها الطالب بين طفولة ومراهقة، كما عليه معرفة طبيعة كل مرحلة من هذه المراحل وخصائصها، وعليه أن يخاطب كلاً بما يناسبه، وأن يراعي الفروق الفردية في حل المشاكل. وبعض التلاميذ لعلهم مصابون بضرٍ في أسماعهم أو أبصارهم فلا يستطيعون أن يسمعوا ما يقول الأستاذ في الصف بصوت خافض، ولا أن يروا ما يكتب الأستاذ على السبورة بكتابة صغيرة، فعلى المعلم مراعاتهم ومعرفة أحوالهم. ومن الواضح أن أكثر المشاكل للمتعلّمين لا يُبدونه إلا إذا خاطبهم الأستاذ مواجهة ويلجّ عليهم بالأسئلة.

٥) الاستجابة للميول وتحقيق الرغبات :

ومما لا يخفى على أحد أن في الاستجابة للميول وتحقيق رغبات الطلاب اطمينانا لقلوبهم وإدامة سرور القلب وطلاقة الوجه بزوال القلق من نفوسهم. فبعض الطلاب قد يبذلون مجهوداً كبيراً، ويحققون شيئاً عظيماً في نظرهم، ويشعرون بأنهم قدموا لأسرتهم ولمعلمهم شيئاً قيماً، فينتظرون أن يبادلوهم نفس الشيء بالاستجابة لميولهم وتحقيق رغباتهم. وهذه لا شك تفيدهم في تشجيعهم وتنشيطهم وتقديرهم، خاصة مع الصغار فلا بد من إرضائهم وتنفيذ مطالبهم، وحين تتم الاستجابة لهم تنشرح نفوسهم ويزداد نشاطهم وينطلقون من جديد ويواصلون تفوقهم وتألقهم، وقد يكون منعهم مما يريدون - خاصة بعد أدائهم جهداً كبيراً - قد يكون ذلك إحباطاً معنوياً كبيراً وإعاقة لهم عن مواصلة سيرهم .

ومما ينبغي أن يذكر، أنه لا بد أن تكون الاستجابة لميولهم بحدود، فلا تكون في ضرر على الطلاب كالذهاب إلى الأماكن التي يخلع فيها الحياء، أو ترفع أصوات المنكرات، أو تنتهك فيه المحرمات فيمنع، وحينئذ لا بد أن يكون المنع معللاً مع إيجاد بديل ملائم مناسب.

٦) النظرة إليهم بنظرة واثقة :

وهنا جدير بالذكر، أنه لا يدري كثير من الناس أن الطالب واحد من رجال الأمة، إلا أنه مستتر بثياب الصبا، فلو كشف لنا عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفاً في مصاف الرجال القوامين المتقدمين، ولكن جرت سنة الله أن لا يتفتق زوال تلك الأستار إلا بالتربية الحسنة شيئاً فشيئاً، وحين ينظر المعلم إلى طلابه نظرة واثقة بأنهم سيحققون كذا وكذا، وسيحفظون كذا وكذا ، يشعرون بأنهم قادرين على الحفظ وتتبعث الرغبة في نفوسهم وينشطون لتحقيقها.

ومن الخطر العظيم أن ينظر المدرس إلى تلامذته بعين الحقارة والذلة، وربما يكون قوله لهم وقت الغضب "إنكم لا تليق بكم هذه المهنة، واطلبوا عملاً غير هذا" سبباً

لتركهم التعلّم تماماً، فعلى المعلم أن ينظر إليهم بنظرة واثقة، وأن يعرض عن كثير من الهفوات التي تكون منهم حالة التعلّم.

(٧) تنمية ثقة الطلاب بنفوسهم :

الطلاب الواثقون من نفوسهم يقومون على العمل بجدّ لتوقعهم أن سينجحون بخلاف من يفقدون الثقة بنفوسهم، وهم يحملون في طيات نفوسهم الفشل قبل العمل فلا يبذلون أيّ مجهود لأنهم يظنون أنهم لن يقدروا على التفوق وإن أتعبوا أنفسهم بالجدّ والجهد.

وتنمية ثقة الطلاب بنفسهم من أهم عوامل التنشيط وحضّهم على التعلّم، ويمكن ذلك بما يلي :-

(أ) تنمية ثقتهم بالله سبحانه وتعالى: وذلك بأن يلقّنهم أنه تعالى يعينهم إذا استعانوا به، ويقبلهم إذا قبلوا عليه، وأن كل جهد يبذلونه يجزيهم عليه ولا يضيع أجر المحسنين. ويلزمهم التمسك بكتاب الله وسنة حبيبهِ ﷺ وتذكّر مراقبة الله دوماً، ومراعاة حدوده، والإقبال على الآخرة، والتجافي عن دار الغرور كل ذلك ينمي الثقة بالله عز وجلّ.

(ب) تنمية ثقتهم بجدوى ما يتعلمون، فالذي لا يعلم قيمة ما يسعى إليه وفائدة ما يتعلّم، لا يبذل في سبيله أيّ جدّ وجهد، وذلك ممكن ببيان فضل القرآن وشرف حملته وفضل تعلم العلوم الشرعيّة وغيرها من العلوم التي يتعلّمها.

(ج) بيان الجوانب التي ينجح فيها الطلاب بسهولة ويتميزون فيها على أقرانهم مع إرشادات قيّمة مناسبة للأحوال، فإنّ ذلك -لا شكّ- ينمي ثقة الطلاب بنفسهم.

(د) قياس نجاح الطلاب بقدراتهم، وليس بقدرات زملائهم وأصدقائهم، فمن لا يقدر حفظ أكثر من صفحة في يوم واحد يقال له : أنت ناجح لأنك أتيت بكل ما تقدر عليه، ولا يقال: أنت فاشل لأنّ فلاناً حفظ صفحتين أو ثلاث صفحات.

هـ) أخذهم إلى مجالس الأساتذة الكبار وحلقاتهم ومخالطتهم لهم مع التوجيه المستمر، ومشاركتهم في بعض الأنشطة الإذاعية ونحوها، فحينئذ ينشط الطلاب ويزيدهم ذلك معرفة وخبرة ومهارة، ويقبلون على القرآن واثقين من معونة الله لهم.

و)- توليد الحماسة :

توليد الحماسة في نفوس الإنسان لهدف ما في حياته يعينه كثيراً على عدم نسيان العناصر المرتبطة بهذا الموقف، وإذا كانت الخطب الحماسية لها دور كبير في نصر الجيوش أو هزيمتها، فكيف بالطالب الصغير، وهاهو نبينا محمد ﷺ يحمس أصحابه فيقول "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض" فيقوم عمير بن الحمام إلى الجهاد مسرعاً حتى إنه لا يجد وقتاً متسعاً لأكل تمراته التي في يده.

٨) بعث الفرح والسرور في نفوس الطلاب :

ومما لا شك فيه أنّ إدخال الفرح والسرور في نفوس الطلاب يؤثر فيهم تأثيراً كبيراً، وأكثر الأعمال التي يقومون بها وخدمهم، يكون هدفها إدخال السرور إلى نفوسهم، فإذا كان المدرّس ذابضة وبصيرة ووجههم نحو أهدافهم فإنه يثير نشاط الطلاب ويورث فيهم الحيوية والرغبة، ويكون الطلاب على أهبة الاستعداد لتلقي الأوامر وتنفيذ ما يطلبه منهم. وقد كان الرسول ﷺ يمازح أصحابه، ويقبل الصغار، ويمسح رؤوسهم، ويطعمهم، ويحملهم، ويأكل معهم، ويناديهم بكنائهم التي يحبونها.

وقد ظهر أمامنا في العصر الراهن هذا الاتجاه فيما يسمى (التعليم بالترفيه)، وسلكت الدول الغربية هذا المسلك في تعليمها للأطفال، ولا حاجة لنا أن نسلك هذا المسلك وننقض ما نحن فيه بل يكفي أن نبعث الفرح والسرور في نفوس الطلاب حتى يسارعوا إلى الطاعة والتزام ما يطلبون منهم.

٩) القصص:

القصة من أهمّ المنشطات التي تبعد السامة والملل وتغرس القيم في نفوس الرجال عامة وفي الصغار خاصّة، وتُعدّ من مبادئ التربية الإسلامية وقد استخدمها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وحين يشعر المعلّم بملل طلابه وعدم موافقتهم له فإن بعض القصص المختارة المناسبة - لا شكّ- تعيد إليهم نشاطهم وحيويتهم التي كانت فيهم .

فإذا كانت القصة التي تلقى إليهم جذابة غريبة لم يسمعوها قبل، فإنّهم يتأثرون بها سلوكياً، وتُغيّر القصة في أخلاقهم ومعاملاتهم تغييراً إيجابياً.

والقرآن الكريم والسنة النبويّة مليئان بالقصص الجميلة المؤثّرة، التي تربي عليها الجيل الأول ومن بعدهم، وينبغي للمعلّم أن يلحظ عند اختيار القصص للطلاب أن تكون القصة مشوقة للطلاب، مناسبة لعمرهم، مصوغة بالقلب الذي ينفذ إلى حسّهم بسهولة، دافعة إلى الخير والصلاح والقيم الدينيّة.

١٠) التنوع في أساليب التعليم :

التنوع في أساليب التعليم يدفع الملل ويذهب الكسل والسامة، ويجدّد النشاط والحيويّة، فالأسلوب الواحد المستمرّ للتعليم في وقت كثير -لا غرو- يملّه جميع الطلبة، فعلى المدرّس أن يأتي أثناء الدرس بالأساليب المتنوعة لتقريب الفكرة للدارسين وليكون مضمون الدرس أدعى للقبول، وأوقع للقلب.

ونرى أن القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة مشتملان على الأساليب المتنوعة لتقريب الفكرة للمخاطبين. وإذا نظرنا في تحريم الزنا من القرآن الكريم فإننا نجده قد سلك مسالك عدة في ذلك، فنهى عنه صريحاً وقال: "ولا تقربوا الزنا"، وفي مكان آخر أثنى على من لا يزنون وقال "والذين لا يدعون مع الله إله آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون". وفي مكان آخر نهى عنه بالتشنيع على

مرتكبه وقال "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشرقة" أي أنه إنما يزني بزانية مثله أو مشرقة.

وذكر في قصة يوسف التي هي أحسن القصص شرف العفة وفضلها في أسلوب رائع، وكل ذلك من شأنه أن يقرر الفكرة في ذهن المخاطب ويثبتها في قلبه.

وكذلك الطلاب ينبغي أن تتنوع أساليب التعليم لهم فمرّة بالإلقاء، ومرّة بالبحث، ومرّة بالمناقشة وغيرها.

(١١) المحاورّة في العلم :

فمن ميزات هذا الأسلوب أن يشترك الطالب في الدرس ويكون جزءاً لا يتجزأ منه، ويكون المعلّم هو الذي يشارك الطالب في الإجابة.

وقد كان النبي ﷺ يستخدم هذا الأسلوب مع أصحابه في أحيان كثيرة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه "أرأيت لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء. قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"^{٣٦}. وهذا الأسلوب لا شكّ يثير انتباه المخاطب، ويشوّق نفسه إلى الجواب، ويرسخ العلم في ذهنه، ويحضّه على أعمال الفكر، ومن اليقين أن الطالب حين يكون مجرد مستمع فإن ذلك سيؤدي إلى الملل والإعراض، أما إن شارك في المحاورّة فسيشعر بالحيوية والنشاط.

(٣٦) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله.

الفصل الثاني

تقسيم العلم إلى ماديّ ودينيّ

فمن العلماء الكرام من قسّموا العلوم باعتبار مضمونها إلى أقسام عديدة منها فرض عين وفرض كفاية، ومنها علم الموهب وعلم المكتسب، ومنها العلم الشرعيّ وغير الشرعيّ كما قسّمها بعضهم إلى ماديّ ودينيّ، والحقّ أنّ العلم الذي أشار إليه القرآن يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة. ولا حاجة إلى تفريق العلوم وتقسيمها إلى دينية ومادية كما قسّمها بعض العلماء المتدينين في عصرنا هذا، بل كل علم يكون تعلمه ممدوحا بصدق الإخلاص وحسن النية في تعلمه كما يكون مذموما أيضا بسوء الظن وسوء النية فيه. فالمدار فيه تحسين النية وصدق الإخلاص كما قال ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى". فليس صحيحا ما شاع عند الغربيين ومن دار في فلکهم أن العلم مقصور على ما قام على الملاحظة والتجربة، وليس صحيحا أيضا ما يتصوره بعض المسلمين المتدينين أو يحسبونه أن العلم في القرآن مقصور على العلم الديني ولا شئ غيره.

وأنّ أكثر علمائنا الكبار من المفسرين والمحدثين والشرايح وغيرهم كانوا متبحرين في جميع أنواع العلوم من علوم الطب والهندسة والصناعة وغيرها ولم يفرّقوا من علومهم ما كان منها ماديّا وما كان منها دينيّا بل نظروا إليها بعين واحد غير أنهم فضّلوا بعضها على بعض لشدة الحاجة إليه في أمر دينهم ودنياهم، ولا غرو في هذا التفضيل فإنّ الله تبارك وتعالى أيضا فضّل بعض رسله على بعض كما في قوله تعالى "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض". ومن هنا ذهب الإمام أبو حامد الغزالي وغيره من علماء الأمة، إلى أن كل علم به قوام الدين أو الدنيا، فإن تعلمه وإتقانه فرض كفاية على الأمة مثل الطب والهندسة وغيرهما. فإذا قام في الأمة عدد

كاف يسد حاجتها، فقد سقط الإثم والحرَج عن سائر الأمة، وإن لم يقم هذا العدد الكافي في كل اختصاص تحتاج إليه، فالأمة كلها آثمة، لتضييعها هذه الفريضة الجماعية، الواجبة عليها بالتضامن على تفاوت في مستوى المسؤولية، فمسؤولية الجاهل ليست كمسؤولية العالم، ومسؤولية ذوي الشأن وأولي الأمر، ليست كمسؤولية غيرهم من المغمورين، بل ذهب الغزالي رحمه الله وغيره إلى أن تعلم أصول الصناعات المختلفة فرض على الأمة، من الحدادة والصناعة والنجارة والنسيج والخياطة... وغيرها من كل ما لا يستغنى عنه المجتمع المدني.

وهذه اطلاع إلى معرفة ما قد يلتبس على بعض الباحثين في هذا الميدان، ولو بحثنا في كلمة "العلم" التي استخدمت في القرآن الكريم نصل إلى هذه الحقيقة بسهولة.

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة أثنت على العلم وأهله، من حيث هو "علم" أي معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، دون النظر إلى كونه علما دينيا أو دنيويا. مثل قوله تعالى: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون^{٣٧} فهنا لم يذكر القرآن مفعول (يعلمون). أي لم يقل: الذين يعلمون علم الدين أو الشريعة أو الطبيعة أو غيرها. بل نزل الفعل المتعدي وهو: يعلم منزلة الفعل اللازم، فكأن المعنى: هل يستوي العالم والجاهل؟ والاستفهام إنكاري، على معنى أنهما لا يستويان.

ومثل ذلك قوله تعالى "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"^{٣٨}. فالمفهوم من هذه الآية: أن أولي العلم الذين عطفهم الله تعالى على الملائكة في الشهادة لله بالوحدانية، هم الذين استنارت بصائرهم بالعلم والمعرفة، سواء كان علمهم دينيا أم طبيعيا، وكم رأينا في علماء الكون من شهد الله تعالى بالوحدانية والتفرد بالقدرة والجلال والكمال. كما في كتاب. ا. كريسي موديسون - رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك - الذي ترجم إلى العربية بعنوان (العلم

٣٧) سورة الزمر، رقم الآية: ٩
٣٨) سورة آل عمران رقم الآية: ١٨

يدعو إلى الإيمان). ومثله كتاب (الله ينجلي في عصر العلم) بأقلام ثلاثين عالما متخصصا في العلوم الكونية أو الإنسانية.

ولكن من العجب، أن بعض علماء الدين في العصر الراهن قد جنحوا إلى هذا الرأي الغريب، وذهبوا إلى أن كل النصوص التي وردت في آيات القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم، في فضل العلم والعلماء، إنما يقصد بها العلم الديني وحده، وعلماء الدين دون غيرهم. وقد يكون هذا صحيحا في قليل من النصوص الواردة في الأصلين العظيمين في الإسلام: القرآن والسنة، ولكن أغلب نصوصهما وردت عامة ومطلقة، تشمل كل علم ديني أو دنيوي، وبعضها لا يمكن أن يفهم منه إلا أنه العلم الدنيوي: العلم بالكون والحياة والإنسان، وما يجري عليها من سنن.

نموذجاً :

تعليم آدم عليه السلام الأسماء كلها :

فأولاً يُبدأ بالإنسان الأول، أبينا أبي البشر آدم عليه السلام، الذي قصّ علينا القرآن قصته في أكثر من سورة، ومنها سورة البقرة التي انفردت بهذا الموقف العجيب، وهو مشاورة الله عزوجلّ لملائكته في استخلاف آدم في الأرض وإذ قال ربك للملائكة "إني جاعل في الأرض خليفة: قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون"^{٣٩}.

وأراد الله تعالى أن يظهر للملائكة فضل آدم وما خصّه الله به من قدرات ومواهب ترشحه للخلافة في الأرض، فعقد ما يشبه - المسابقة - أو -الامتحان- بينه وبينهم، فظهر تفوق آدم على الملائكة في العلم، قال تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم

(٣٩) سورة البقرة، رقم الآية: ٣٠

بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون"٤٠.

وإذا فكّر الناس أو بحثوا في أيّ نوع من العلم كان عند آدم؟ أهو علم ديني أم علم دنيوي؟ يمكنهم أن يصلوا إلى أنّه لا يمكن أن يكون علما دينيا، لأن آدم لم يكن قد أنزل عليه وحي، حتى يتكون من ورائه علم ديني، إنما هو علم بأسماء الأشياء التي أودعها الله في الأرض، والتي سيحتاج آدم إلى التعامل معها، والعلم بأسمائها والله أعلم. يعني العلم بخصائصها وفوائدها، وما يتصل بذلك من مهماتها في الحياة. وهذا بالقطع ليس علما دينيا ولعله لو كان علما دينيا، لكان الملائكة أولى بالعلم به من آدم، لأن الملائكة هم الذين ينزلون بالوحي على رسل الله عليهم ألف ألف سلام.

علم يوسف عليه السلام بتأويل الأحاديث :

هو تأويل الأحاديث، ويعني بها المنامات، هو كذلك ليس بعلم ديني.

فقد قال يعقوب لابنه يوسف: "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب"٤١.

وقال تعالى بعد أن ذكر أن الذي اشتراه من مصر - وهو العزيز - قال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث"٤٢.

وقال يوسف بعد أن جمع الله شمله بأبيه وإخوته ودخلوا مصر بمشيئة الله آمنين "ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين"٤٣.

٤٠ (سورة البقرة رقم الآية : ٣١-٣٣)
٤١ (سورة يوسف، رقم الآية: ٦)
٤٢ (سورة يوسف، رقم الآية: ٢١)
٤٣ (سورة يوسف، رقم الآية: ١٠١)

ومن البيّن أن علم تأويل الأحاديث الذي علمه الله ليوسف، ليس علما دينيا، بل هو علم يقوم على الفطنة والفراسة والحدس، فهو أقرب إلى علوم الدنيا منه إلى علوم الدين. ولذا عبر القرآن عنه بالظن في قوله عن أحد السجينين اللذين دخلا معه السجن، وأول رؤياه بأنه سينجو ويخرج من السجن، ويسقي سيده خمرا، كما كان يفعل، قال تعالى: وقال للذي ظن أنه ناج منهما: "اذكرني عند ربك"^{٤٤}، وقال تعالى في قصة يوسف: "ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلما، وكذلك نجزي المحسنين"^{٤٥} وهذا العلم آتاه الله ليوسف مع الحكم - أي الحكمة - ليس هو علم النبوة، فلم يكن قد أوتيتها بعد، ولا علم الدين، فلم يكن في مصر في ذلك الوقت علم للدين يحصله أو يطلبه. إنما هو المعرفة البصيرة بالأمر، والاعتماد على العقل في الاستنتاج واختيار البدائل ونحوها. وهذا العلم هو الذي اعتبره يوسف عليه السلام مرشحا أساسيا له لمنصب الولاية على خزائن أرض مصر، حين قال له ملكها: إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم^{٤٦}.

فذكر يوسف عليه السلام سببين يؤهلانه للمنصب، وهما الحفظ والعلم. والمراد بالحفظ: الأمانة التي تجعله يحفظ ما انتمن عليه من أموال وأعمال. والمراد بالعلم: المعرفة والخبرة بما يحتاج إليه هذا المنصب المالي الاقتصادي الإداري من خبرة بالأموال المالية والاقتصاد والإدارة والتخطيط، وخصوصا في زمن الأزمة الاقتصادية الكبيرة التي تتوقعها مصر بعد سبع سنوات، وكيف يدخر من سنوات الخصب لسنوات القحط. ولا يمكن أن يراد من صفة (عليم) التي ذكرها يوسف أنها تتعلق بعلم الدين، إذ لا دخل له في الترشيح للولاية على خزائن الأرض.

٤٤) سورة يوسف، رقم الآية: ٤٢.

٤٥) سورة يوسف، رقم الآية: ٢٢.

٤٦) سورة يوسف، رقم الآية: ٥٥.

علم داود وسليمان عليهما السلام :

ومما ذكره القرآن في شأن العلم: ما آتاه الله داود وسليمان عليهما السلام، فقد قال تعالى: "ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين"^{٤٧}.

فإذا نظرنا في أيّ علم آتاه الله داود وابنه سليمان عليهما السلام؟ هل هو العلم الديني المحض؟ أو هو علم آخر؟ تبيّن لنا الآيات التالية طبيعة هذا العلم، كما قال تعالى: "وورث سليمان داود وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين"^{٤٨}. بين سليمان عليه السلام أن العلم الذي فضل به على كثير من عباد الله المؤمنين، هو علم منطق الطير، أي لغة الطير والحشرات، وقد ذكر لنا القرآن نموذجا منها في القصة حيث قال: "وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون. حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها وقال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"^{٤٩}.

وكذلك ما ذكره القرآن عن قصته مع الهدد، وكيف أنبأه بقصة سبأ وملكتهم ... فهذا هو العلم الذي علّمه الله سليمان، ولم يكن علم الدين.

علم طالوت :

ومما قاله القرآن الكريم عن العلم: ما آتاه الله طالوت، الذي ذكر القرآن قصته في سورة البقرة، فقد قال تعالى في قصة الملاء من بني إسرائيل الذين أخرجوا من ديارهم وأبنائهم، وكتب عليهم القتال ليحرروا أرضهم. وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا، قالوا: أنى يكون له الملك علينا، ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت

(٤٧) سورة النمل، رقم الآية: ١٥.

(٤٨) سورة النمل، رقم الآية: ١٦.

(٤٩) النمل: ١٧-١٩.

سعة من المال؟ قال: إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم"^{٥٠}. ولو بحثنا في نوع العلم الذي زاد الله طالوت بسطة فيه نجد أنه لا يمكن أن يكون علم الدين، لأن علم الدين عند نبيهم الذي قال لهم: "إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا، ولكن العلم هنا يحدده السياق والمقام، وهو العلم بشؤون الحرب والفنون العسكرية، وإدارة المعارك، ونحوها مما تتطلبه القيادة الحربية.

وبهذا يتضح لنا تمام الوضوح أن "العلم" حينما يذكر في القرآن ليس هو العلم الديني وحده، كما يتصور كثير من أهل العلم الشرعي. ومما يدل على بطلان هذا التصور: استخدام لفظة "العلم" ومشتقاتها في غير العلم الديني كما تدل على ذلك آيات القرآن. ننظر إلى قوله تعالى "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون"^{٥١}.

فالعلم الذي وصف الله به هؤلاء القوم الذين فصل لهم الآيات والذي جاء ذكره بعد قوله: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها... لا يمكن إلا أن يكون هو العلم الكوني، الذي يدخل فيه علم الفلك وما يتعلق به.

ومثل ذلك قوله تعالى: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين"^{٥٢}.

والمراد بالعلم هنا: هو الذي به يتعرف على آيات الله في الكون، و سر اختلاف الألسنة والألوان، فهو يشمل علوم الكون، وعلوم الإنسان. واختلاف الألسنة والألوان قد يراد به اختلاف الأمم والشعوب في لغتها وألوانها بعضها عن بعض، وهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. وقد يراد به اختلاف الأفراد في أصواتهم حتى إن لكل فرد منهم تميزا في صوته يجعل له "بصمة" خاصة به لا يشاركه فيها غيره.

(٥٠) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧

(٥١) سورة الأنعام: الآية: ٩٧

(٥٢) سورة الروم: الآية: ٢٢

ومثله الاختلاف في الصورة فكل واحد له صورته المستقلة المتميزة، مهما يكن شبيهه بغيره.

ومثل ذلك قوله تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون"^{٥٣}. وفي القرآن بضعة وأربعون مثلاً. وكان بعض السلف يبكي على نفسه إذا مرّ بمثل من القرآن ولم يفهم مغزاه، ويقول: قال تعالى: وما يعقلها إلا العالمون فأنا لست من العالمين. فالعالمون هنا هم الذين يعقلون الحكمة من وراء ضرب الأمثال للناس، فهم الذين يغوصون في الأعماق ولا يقفون عند السطوح.

ويقول تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء"^{٥٤}. فالعلماء هنا كما يبدو من السياق ليسوا هم علماء الدين، وفقهاء الشريعة، على فضلهم ومكانتهم، وإنما هم الذين يعرفون آيات الله، ويكتشفون سنته في خلقه، فيما ذكر من السماء، والنبات والجبال، والناس، والدواب، والأنعام، أي الذين يعرفون عظمة الله من خلال معرفتهم بعلوم الإنسان، وعلوم الحياة من نبات وحيوان، ومن خلال هذه المعرفة الحقيقية يخشون الله، إذ لا يخشى الله ولا يخاف مقامه حقا إلا من عرفه سبحانه.

وقال تعالى: "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون"^{٥٥}. فتفصيل الآيات هنا إنما ينتفع به الذين يعلمون أسرار الله في الظواهر الكونية من جعل الشمس ضياء فيها النور والحرارة، والقمر نورا لأنه يستمد نوره من الشمس، ومن تقدير القمر منازل لمعرفة عدد السنين والحساب.

٥٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٣

٥٤) سورة الفاطر: رقم الآيات : ٢٧، ٢٨.

٥٥) سورة يونس: الآية: ٥.

وقال تعالى في قصة الرهط التسعة من ثمود: "ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون"^{٥٦}.

فالذين يعلمون هنا هم الذين يعرفون سنن الله تبارك وتعالى في التعامل مع المكذبين والظالمين، وأن مكره تعالى أعظم من مكرهم، وكيده أقوى من كيدهم وأنه يمهّل ولا يمهّل، وأنه يأخذهم وهم لا يشعرون، وما ربك بغافل عما يعملون.

وفي كثير من الآيات يأتي العلم فيها بمعنى المعرفة الواعية، والإدراك الراشد للأمر، فهو ضد الجهل والغباء بصفة عامة، لابعنى تحصيل علم معين من علوم الدين أو الدنيا، وهذا في الحقيقة أكثر ما جاء في القرآن بصيغة "يعلمون" أو تعلمون" مثبتة أو منفية.

مثلا: قوله تعالى: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون"^{٥٧}.

فالذين يعلمون تفصيل الآيات هنا هم أولوا المعرفة الراشدة، الذين يميزون بين ما يعلم بطريق الحس، وما يعلم بطريق العقل، وما يعلم بطريق الشرع، فيأخذون كل علم من طريقه المخصوص به، وهم هنا يعلمون أن ما حرمه الله على عباده لا يعرف إلا من طريق الوحي، فلا يفترون على الله الكذب ولا يقولون هذا حلال وهذا حرام بغير برهان من الله.

وقد جاءت هذه الآية في سياق نعي القرآن على أهل الجاهلية دعاوهم على الله بغير الحق أنه أمر بكذا أو حرم كذا من غير سلطان أتاها، فقبل ذلك بآيات قال تعالى:

^{٥٦} سورة النمل : الآيات : ٥٠-٥٢
^{٥٧} سورة الأعراف: الآية : ٣٢

"وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء، أتقولون على الله ما لا تعلمون"^{٥٨}.

وفي سورة الأنعام مناقشة تفصيلية للذين حرّموا أنواعا من الأنعام بغير برهان من الله، ومن ذلك قوله تعالى "ثمانية أزواج، من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، قل ءالذكريّن حرّم أم الأنتيين أما اشتملت عليه أرحام الأنتيين، نبئوني بعلم إن كنتم صادقين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين، قل ءالذكريّن حرّم أم الأنتيين أما اشتملت عليه أرحام الأنتيين، أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين"^{٥٩}.

ومثل ذلك قوله بعد ذكر بعض أحكام الأسرة: "وتلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون"^{٦٠}.

فالمراد هنا: أنهم يعلمون بما لديهم من فقه ورشد: أن الله لا يشرع إلا ما فيه الخير والصالح لهم، فهم أهل علم ووعي لا أهل جهاد.

ومثل قوله تعالى: "وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون"^{٦١}. فليس المراد هنا أنهم يعلمون علما معينا من علوم النقل أو العقل، بل المراد أنهم ليسوا من أهل الجهل والغباء.

وهذا ما يوجد أيضا في حالات نفي العلم، كما في قوله تعالى "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون"^{٦٢}. فليس المقصود نفي علم معين عنهم من علوم الشرع أو الكون، بل المقصود نفي العلم من حيث هو، أي أنهم ليسوا بأهل علم ومعرفة.

٥٨) سورة الأعراف: الآية: ٢٨
٥٩) سورة الأنعام: الآيات: ١٤٣، ١٤٤
٦٠) سورة البقرة: الآية: ٢٣٠
٦١) سورة الأنعام: الآية: ١٠٥
٦٢) سورة التوبة: الآية: ٦

ونحوه قوله تعالى: "رضوا بأن يكونوا مع الخوالم وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون" ^{٦٣}.

ومثله في سورة أخرى: "كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون" ^{٦٤}.

وقوله: "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون" ^{٦٥}.

فالنظر في هذه الآيات وما شابهها يفهم أنها لا تنفي علما معيناً من علوم الدين أو الدنيا، إنما تنفي العلم من حيث هو، فهؤلاء ليسوا من أهل العلم الذين يقام لهم وزن أو يحسب لهم حساب، بل هم من أهل الجهل الذين لا يعلمون.

وخلصا القول:

أنّ العلم الذي أشار إليه القرآن الكريم ليس مقصوراً على ما قام على الملاحظة والتجربة ولا على العلم الديني فقط، بل يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل، ثم التفضيل بعضها على بعض بقدر الحاجة إليه فلا حاجة إلى البيان وقد فضل الله بعض رسله على بعض والله أعلم.

٦٣) سورة التوبة: الآية: ٩٣
٦٤) سورة الروم: الآية: ٥٩
٦٥) سورة الجاثية: الآية: ١٨

الباب الثالث

شخصية المعلم وأثرها في عملية التعلم

الباب الثالث

شخصية المعلم وأثرها في عملية التعلم

ومما لا يختلف فيه اثنان أن شخصية المعلم لها أثر بالغ في قلوب التلاميذ ونفوسهم وأفعالهم وتزكيتهم وعمليتهم التعلّميّة، إذ يتأثرون وهم في سنّ الحداثة، بشكله ومظهره وإيماءاته وإشاراته وألفاظه التي تصدر عنه وكلماته التي تخرج من فيه وسلوكه الذي يبدو منه، لأنه هو المركز في الصفّ، وجميع العيون ينظر إليه بعين الرجاء والدهشة، وهو يلعب دورا كبيرا في بناء الحضارات كأحد العوامل المؤثرة في العملية التربوية، إذ يتفاعل معه المتعلم و يكتسب عن طريق هذا التفاعل الخبرات و المعارف والاتجاهات والقيم وغيرها. ولذا رأى بدر الدين بن جماعة "أن المعلم هو العامل الأساسي في نجاح العملية التعليمية و أنه من أهم عناصر التعليم، حيث يرى أن التعليم لا يتغير بغير المعلم و أن عناصر التعليم تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح الذي ينفث فيها من روحه فتصبح ذات أثر و قيمة". و يستشهد على أهمية المعلم قول أبي حنيفة رحمه الله لمّا رأى في المسجد حلقة ينظرون في الفقه "ألهم رأس" ؟ فقالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء أبدا. وليس الأمر كما يتوهمه بعض الناس من أن المعلم خازن للعلم يغترف منه الطلبة المعارف و المعلومات، ولكنه قدوة وأمين على ما يحمل من علم وحكمة، وعليه محافظة كرامته ووقاره وهيبته ومكانته بين الناس خاصة أمام تلامذته، فينبغي أن يكون ممثلا للأولاد وعليه أن يستلزم بعض الإرشادات لتكون عمليته فعالة مؤثرة منها ما يأتي :

أ) دخوله إلى الصف متبسّما لا غضبان أسفا:

ومما لا ينكره ذو عقل سليم أنّ التبسم هو الطريق السهل لنشر المودّة والرحمة بين الناس، وأنّ الوجه العبوس لا يحبّ الناس صاحبه ولا يقبلون عليه، ولو كان ذا خلق حسن في أمور أخرى، لأن وجه الإنسان هو الذي يواجه به الناس في أوّل وهلة، فإذا

رأى الناس امرأً عابس الوجه، اشمأزت نفوسهم منه لأوّل وهلة، واتهموه بأنه سيئ الخلق، وقد يتهمونه بالكبر، وإن كان حليماً كريماً وفيماً بالعهد صادقاً عادلاً. روى أبو ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلّم "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ"^١ أي: بوجه طليق، ومعناه وجه منبسطٍ باسمٍ مشرقٍ. فالمعلّم أحقّ وأجدر من غيره لنيل ثواب هذه الصدقة لأنّه هو القدوة في ذلك، فإذا كان في الصف عشرون طالباً مثلاً فبمجرد إبدائه البشاشة لهم عند الدخول إلى الصف يحصل له ثواب عشرين صدقة. وكما سمعنا من العلماء العباقرة كانوا ماهرين في شتى الفنون والعلوم ولكن لمجرد كونهم غضبان في الصفوف اضطروا إلى ترك هذه الوظيفة المحبوبة لهم وأكروها على طلب المعيشة بطريق غير مرضيٍّ لهم. فلذا ينبغي للمعلّم أن لا يظهر غضبه السابق له في البيت أو الطريق أو في الحصّة السابقة أمام التلاميذ كما لا ينبغي له إظهار حزنه وغمّه وهمّه داخل الصف فإنّ ذلك يذهب منهم النشاط في التعلّم والتفهم.

(ب) دخوله إلى الصفّ رفيقاً ليتنا لا فظاً غليظاً :

قد بالغ الرسول صلى الله عليه وسلّم في الرفق فقال "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"^٢ وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي قال "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه". وهذا يدل على أهمية هذا الخلق، وحاجة الناس إليه في سائر شؤونهم. ولا شك أن استعمال الرفق في الأمور يؤدي إلى أحسن النتائج وأطيب العواقب. أما استعمال العنف والغلظة والشدة فتفسد الأمور وتضعبها على أصحابها، وتجعل النتائج عكسية، ويحرم الخير من ترك الرفق، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"^٣. وقال صلى الله عليه وسلّم "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"^٤.

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء .

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم رحمه الله.

(٤) رواه مسلم رحمه الله.

كما أن الرفق له أثر حسن في التأليف بين القلوب والإصلاح بين المتخاصمين، وهداية الكفار واستياقهم إلى حظيرة الإسلام والبركة في الرزق والأجل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار"^٥.

وقد أخطئ بعض المعلمين في ظنهم أنّ الرجولة والمروءة في ترك الرفق واستعمال العنف والشدّة في سائر الأحوال وأن استعمال الرفق ينقص من قدرهم، أو يكون علامة على ضعفهم وخورهم في طلب الحقوق، فإن هذا الفهم لا شكّ خاطئ من موروثات الجاهلية، لأن سلوك الرفق لا يقتضي ترك المطالبة بالحق أو السكوت عن الباطل أو المداهنة فيه أو التنازل عن الحقوق، وإنما هو استعمال اللطف في الأسلوب والطريقة فقط دون المضمون، فالرفيق يطالب بحقه ويأمر بالمعروف ويؤدب من تحت يده ويعامل الناس، ولكن كل ذلك يفعله بسلوك اللطف والرفق واللين. قال الله تعالى "أذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ"^٦. وقال سفيان الثوري: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى". لقد كان رسول الله يعامل مع الرفق ويتمثل به في سائر أحواله وشؤون حياته، كما قالت زوجته الصّديقة عائشة رضي الله عنها: "ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه"^٧.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم المثالي لجميع الناس لا لعصر من العصور أو لجيل من الأجيال خاص ولا لأرض خاصّة وإنما هو للبشريّة جمعاء، وقد قاله تعالى في قرآنه الكريم "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

(٥) رواه أحمد رحمه الله.
(٦) سورة طه: الأيتان ٤٣، ٤٤.
(٧) متفق عليه.

لأنفضوا من حَوْلِكَ"^٨ ويؤخذ من هذه الآية أن اللطف واللين في الدعوة سبب لنجاحها وفلاحها كاملاً، لأن الناس يميلون طبعاً إلى لِين الجانب، ويتعدون عن قاسي القلب، فهم لا يصبرون عليه وإن كثرت فضائله وحسنت شمائله، بل تراهم أرغب عن معاشرته أميل إلى منافرتة، وإن فاتهم من منافع الإقبال عليه ما تطمئن إليه نفوسهم. يقول القرطبي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^٩ "ينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطة طلقاً، مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا". فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه."^{١٠}

والحاصل أن المعلم ينبغي أن يكون لِين الجانب ويتكلم بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في نفوس التلاميذ وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"^{١١}

ج) أن يقصد بمهنته وجه الله لا إكمال منهج الدراسة ولا كون نتيجة الامتحان محمودة:

وهذا من أهم الأوصاف التي لا بدّ للمعلمين والأساتذة والمرّبين وغيرهم من أن يتصفوا بها. وعلى المعلم أن يذكر دائماً أنّ مهنته هذه مهمة الأنبياء والمرسلين، وأنه راع ومسؤول عن رعيته، وأنّ هذه المهمة يجب فيها الإخلاص من أوله إلى آخره، وينبغي أن يتفكر في هذا الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَى بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ: قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قَبِلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهَهُ حَتَّى

٨) سورة آل عمران الآية: ١٥٩

٩) سورة البقرة الآية: ٨٣

١٠) رواه مسلم رحمه الله.

١١) سورة النحل الآية: ١٢٥

أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ^{١٢}. وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه لما يحدث بهذا الحديث يخرمغشياً عليه. واليحدث إلى قلبه هذا الحديث أيضاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" يَعْنِي: رِيحَهَا^{١٣}. ومن الجدير بالذكر ههنا، أنه لا ينافي الإخلاص ما يتقاضاه بعض المعلمين لكتاب الله من رواتب شهرية من بيت مال المسلمين وغيره لتفرغهم لتعليم كتاب الله للنشئ الجديد، لما جاء في قصة اللديغ، فإن فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرَّ الصحابة على أخذ الأجرة على القراءة، فقال ﷺ "إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ"^{١٤}. ولا ينافي الإخلاص كذلك المدح والثناء مع عدم محبة الممدوح لذلك، فتعليمه لكتاب الله من غير أجل أن يمدح أو يثنى عليه فلا بأس به، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ"^{١٥}.

والمعلم إن لم يكن في عمله مخلصاً - وإن كانت النتيجة محمودة- لا يؤثر العلم في الطلاب أي تأثير، بل تكون الثمرة من التعليم، خلاف المقصود، وتضييع الأوقات والأعمار فقط، نعوذ بالله من ذلك.

١٢) رواه مسلم رحمه الله.
 ١٣) رواه أبو داود وابن ماجه.
 ١٤) رواه البخاري رحمه الله.
 ١٥) رواه مسلم رحمه الله.

(د) أن يكون عاملا في نفسه قبل قوله لغيره:

فعلى المعلم أن يكون متعظا فيما يعظه لتلاميذه في جميع الأمور، فالأستاذ الذي يشرب الدخان إذا نصح طلابه بتركه لا يؤثر قوله فيهم أي تأثير، والأستاذ الذي يحلق اللحية إذا نصح طلابه بتسريح اللحية - لا محالة- لا يقبلون قوله ولا يعجبون به، فلذا أكد القرآن الكريم على عظم هذا الأمر في مواضع متعددة منها قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" ^{١٦}. ومنها قوله تعالى " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ^{١٧}. ومنها " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" ^{١٨}.

فعلى المعلم أن يكون متعظا فيما يعظه، لأنه إن لم يكن عاملا في نفسه قبل قوله للغير فهو كراقم الماء لا فائدة فيه.

(هـ) احترامه لشخصية المتعلم :

فعلى المعلم الصادق احترام تلامذتهم وتقديرهم والتواضع لهم، قال عمر رضي الله عنه "تواضعوا لمن علمكم، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا من جباري العلماء"، ومن احترامه أن يحب المعلم لتلامذته ما يحب لنفسه، كما ورد في الحديث الشريف، ويكره لهم ما يكره لنفسه. وينبغي أن يعتني بمصالح الطالبين ويعاملهم بما يعامل به أعزّ أولاده من الحنو، والإحسان إليهم، والشفقة عليهم، والصبر على جفاء ونقص وتقصير وقعت منهم، وسوء أدب في بعض الأحيان. ويقبل عذرهم بحسب الإمكان، بنصح وتلطف، لا بتعنيف وشدة، قاصداً بذلك حسن تربيتهم، وتحسين أخلاقهم، وإصلاح شؤونهم فإن عرفوا ذلك لذكائهم بالإشارة، فلا حاجة إلى تصريح

(١٦) سورة الصف الآيات: ٢،٣ .

(١٧) سورة البقرة الآية : ٤٤

(١٨) سورة المائدة الآيات : ٧٨ ، ٧٩

العبارة، وإن لم يفهموا ذلك إلا بالتصريح أتى به و راعى التدرج في التلطف، ويؤديهم بالأداب السنية ويحرضهم على الأخلاق المرضية، ويوصيهم بالأمر العرفية الموافقة للأوضاع الشرعية ولا يمنعهم من الصف الأول لصغرهم. وقد قال عمرو بن العاص رحمه الله لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه جلس إليهم، وقد نحوا الفتيان عن مجلسهم، فقال: "لا تفعلوا، أوسعوا لهم، وأدنوهم، وألهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين، قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين"، وهذا لا شك صحيح، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة، لا سيما الطلاب الأذكياء الحريصين على أخذ العلم.

وعن الفضل رحمه الله: "أن الله يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار، ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة". ويخاطب المعلم كلا من تلامذته بكنيته ونحوها، من أحب الأسماء إليه وما فيه توقيير وتعظيم له. وعن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يكني أصحابه إكراماً لهم. وينبغي للمعلم أن يرحب بالطلبة إذا لقيهم وعند إقبالهم عليه، ويكرمهم إذا جلسوا إليه ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم، ويعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر، وحسن المودة، ويزيد في ذلك لمن يرجى فلاحه ويظهر صلاحه ويضع الحكمة في موضعها.

ومن الممكن أن يكون ذلك في داخل الصف باقترابه من الطلاب، واحترامهم، وإكرامهم، وإعزازهم، وتقديرهم، ومراعاة مشاعرهم، وسئل ابن عباس: من أكرم الناس عليك؟ قال "جليسي حتى يفارقني" أما في خارج الصف يسأل المعلم عن أحوالهم، ويتفقد شؤونهم، ويواسيهم في مصائبهم، ويقف إلى جانبهم إذا احتاجوا إليه، ومن ذلك: أن يسألهم عن مريضهم وغائبهم، ويخاطبهم بأسمائهم الخاصة، فعلى الأستاذ أن يتذكر أسماء طلابه الذين يحضرون في مجالس درسه فيناديهم بأسمائهم، وهذا ما ينبغي على المسلم تجاه إخوانه المسلمين، وهو أيضاً مما ينبغي على المعلم تجاه تلاميذه.

و) العدل والمساواة بين الطلاب:

ومن الواجب أن يكون المعلم موصوفا بالعدل والمساواة بين التلامذة، فالأستاذ الذي يعلم ويدرس عن العدل إذا لم يعدل بين تلامذته فمن الذي يعدل بينهم؟ ولعظم شأنه يقول الله تبارك وتعالى "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" ^{١٩}، وقال تعالى "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" ^{٢٠}، ورسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلغ الذروة في تحقيق العدالة ويبين ذلك حديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: "إِنَّ قَرِيْشَ أَهْمَهُمْ شَأْنَ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟"، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا".

والمعلم بالنسبة إلى غيره في أكثر الحالات يتعرّض لمواقف كثيرة من قِبَل طلابه، سواء في توزيع المهام والواجبات - إن كانت هناك أعمال تحتاج إلى مشاركات جماعية - أو تفضيل بعضهم دون بعض ونحو ذلك، ويتأكد العدل عند وَضْع العلامات ورصد الدرجات، فلا مجال لمحاباة أحد، أو تفضيل أحد على أحد، سواء لقرابته أو معرفته، أو لأي أمر كان، فإن هذا من الظلم الذي لا يرضاه الله، وصاحبه مُتَوَعَّدٌ بالعقوبة.

وقد روي عن مجاهد قال "المعلم إذا لم يعدل، كُتِبَ مِنَ الظَّالِمَةِ"، فلذا يجب أن يكون المعلمون على حذر تام في هذا الأمر العظيم.

(١٩) سورة النحل، رقم الآية: ٩٠
(٢٠) سورة المائدة، رقم الآية: ٨

ز) الصدق في القول:

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم هو الصدق في القول والفعل، وإذا فقدته فقدت ثقة التلاميذ بعلمه، وبما يُمليه ويقرؤه عليهم من معلومات صادقة، لأن التلميذ يتقبل من معلمه كل ما يقوله ويملي عليه، فإذا بان له كذب معلمه ولو مرة واحدة فإن ذلك يؤدي إلى سقوطه من أعين طلابه.

والصدق نجاة للعبد في الدنيا والآخرة، وقد أثنى الله على المتّصّفين به، وأمر المؤمنين أن يكونوا من أهله بقوله: جلّ وعلا "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"^{٢١}

ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذاباً"^{٢٢}

وأما صدق المعلم يدعو المتعلّم إلى الثقة به وبما يقول، ويُكسبه احترام جميع المعلمين، فإن لم يكن المعلم متحلياً بالصدق، فإنه سينقل لهم علماً ناقصاً غير صحيح، وحقائق ومعلومات مغايرة للصورة التي يجب أن ينقلها، وإذا تعود التلميذ على قبول هذا السلوك السيئ من المعلم، فإنه رُبّما يستحسن هذا العمل وينشره أمام المجتمع وهو لاشكّ أمرٌ خطير على المجتمع.

ح) مزاح المعلم أثناء الدرس:

ومن المعترف لدى الجميع أن المزاح القليل يذهب الملل والسآمة أثناء الدرس لا سيّما إذا كان الدرس يطول إلى وقت كثير، ومن طبائع الناس أنهم إذا جلسوا وقتاً طويلاً في مكان واحد، أو استمعوا إلى خطبة أو وعظ وقتاً كثيراً لا شكّ فيما يصيبهم من

(٢١) سورة التوبة، رقم الآية: ١١٩
(٢٢) رواه البخاري في الصحيح.

النوم والنعاس أو الكسل والفتور فلا حاجة إلى بيانه، والمزاح خير وسيلة لإبعاد النوم والفتور عنهم لكن بشرط أن لا يكون فيه إفراط ولا تفريط. ومن فوائد المزاح أنه يطرد السامة والملل، وأنه يريح الذهن من عناء المسألة الدقيقة، وأنه يفيد المعلم في أخذ قسطٍ من الراحة، ومع ذلك أنه يشحذ الذهن، ويعطيه جرعة جديدة لمواصلة استقبال المعلومات، ويغيّر جوّ الفصل الذي خيم عليه الجفاف والبؤس إلى غير ذلك.

والمزاح هو الانبساط مع الغير من غير تنقيص أو تحقير له، يقول النووي رحمه الله "اعلم أنّ المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويُدأوم عليه، فإنه يُورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمّات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويُسقط المهابة والوقار، فأما ما سلّم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يفعلُه على النُدرة، لمصلحة تطيب نفس المخاطب ومُؤانسته، وهو سنة مستحبّة، فاعلم هذا، فإنه مما يعظم الاحتياج إليه".

وقال الغزالي في الإحياء "إنّ قدرت على ما قدر عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهو أن تمزح ولا تقول إلّا حقّاً، ولا تؤذي قلباً، ولا تُفرض فيه، وتقتصر عليه أحياناً على النُدور - فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليها، ويفرض فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وقد وردت أخبار كثيرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مُداعبته لأهله، ومزاحه مع أصحابه، منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه "أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هديّة من البادية، فيُجهّزه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إنّ زاهراً باديئتنا ونحن حاضرؤه".

ومنها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا أن رجلاً استحمّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "إني حاملك على ولد ناقة"، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال صلى الله عليه وسلم "وهل تلد الإبل إلا التوق". وبالجملة أن المزاح للمعلم خير وسيلة لإزالة الكسل والسامة من التلامذة وإيراد النشاط والطمأنينة إليهم أثناء الدرس.

ط) الصبر واحتمال الغضب:

ومن الصفات الواجبة للمعلمين الصبر واحتمال الغضب وهي منزلة رفيعة لا يدركها إلا ذوو الهِمَمِ العالية والنفوس التقيّة الزكيّة، وهي حصلة محمودة، إلا ما كان منها غضباً لله، وهو ما كان يتّصف به نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن يغضب لنفسه، ولم ينتصر لها قط، إنما كان يغضب إذا انّهكت محارم الله تبارك وتعالى.

ومن الجدير بالذكر هنا، أنّ المعلم يتعامل مع أفراد يختلفون في الطباع والأفكار، فمنهم الجيد، ومنهم الضعيف، ومنهم رقيق القلب ومنهم غليظ القلب ومنهم القاسي ومنهم اللين وهذه الطباع المختلفة تستلزم من المعلم صبراً وتحملاً، وهذا الصبر ليس سهلاً المنال، بل إنه يحتاج إلى طول ممارسة من المعلم حتى يعتاد ذلك ويألفه. ومن المعلوم أنّ فقدان الصبر في بعض الأحوال يوقع المعلم في حرج شديد، خصوصاً إذا كان ذلك أثناء ممارسته للتعليم، فإن المعلم يواجه عقليات متفاوتة في الإدراك والتصور والاستجابة، إلى غير ذلك من الصعوبات .

فقد يصبح المعلم يُلقي درسه لمدة ساعة متواصلة، ثم يفاجأ بقول أحد تلامذته إنه لم يفهم هذا الدرس كلّهُ، أو قد يتعرّض المعلم إلى أسئلة تافهة، أو في غير محلّها، أو قد يفاجأ المعلم أثناء إلقائه بأن أحد طلابه نائم أو يبتسم أو يلعب مع زميله، ففي هذه الأحوال يجب على المعلم أن يحتمل الغضب ويعامل مع التلاميذ مع الرفق واللين، ويحسن له أن يذكر حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ، قال: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ"^{٢٣}. وما روي أَنَّ الحسين بن علي رضي الله عنهما كان له عبدٌ يقوم بخدمته ويقرب إليه طهره، فقرب إليه طهره ذات يوم في كُوز، فلما فرغ الحسين من طهوره رفع العبدُ الكوز من بين يديه، فأصاب فم الكوز رباعية الحسين فكسرها، فنظر إليه الحسين، فقال العبد: "وَالْكَاطِمِينَ الْعَيْظُ" قال: قد كظمتُ غيظي. فقال: "وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ". قال: قد عفوت عنك. قال: "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" قال: اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى ومن هذا نفهم أهمية الصبر واحتمال الأذى لاسيما عند المعلمين المخلصين. يقول صاحب الإحياء: "ومن آثار هذا الغضب في الظاهر، تغَيُّرُ اللونِ وشِدَّةُ الرَّعْدَةِ في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، حتى يَظْهَرُ الزَّبْدُ على الأشداق، وتحمُّرُ الأهداق، وتَنَقُّبُ المناخر، وتستحيل الخِلقَةُ، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه فُجِحَ صورته، لسكن غضبه حياءً من فُجِحَ صورته، واستحالة خِلقته، وأما أثره في اللسان، فانطلاقه بالشَّتْمِ والفُحْشِ من الكلام الذي يَسْتَحْيِي منه ذو العقل ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبُّطِ النظم واضطراب اللفظ، وأما أثره على الأعضاء، فالضرب والتهجُّم، والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن، من غير مبالاة، وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه، فالحقد والحسد، وإضرار السوء والشَّماتة بالمُساءات".

(ي) مراقبة أحوال التلامذة:

ومن الصفات اللازمة للمعلمين مراقبة أحوال المتعلمين في أخلاقهم ظاهراً وباطناً وآدابهم سرّاً وعلناً وهديتهم غيبية وحضوراً، فمن صدر منهم من ذلك ما لا يليق بهم من ارتكاب محرم أو مكروه، أو ترك اشتغال، أو ما يؤدي إلى فساد حال، أو إساءة أدب في حق المعلم أو غيره، أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة، أو معاشرة من لا تليق معاشرته، أو نحو ذلك، عرض الأستاذ بالنهي عن ذلك بحضور من صدر منه ذلك، غير معرض به، ولا معين له، فإن لم ينته عنه نهاه عن ذلك سرّاً، ويكتفي

(٢٣) رواه أبو داود والترمذي رحمهما الله .

بالإشارة مع من يكتفي بها، فإن لم ينته بعد ذلك نهاه جهراً، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال، ليزجر هو وغيره، ويتأدب به كل سامع، فإن لم ينته فلا بأس بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، وكذا يهتمّ بما يعامل به بعضهم بعضاً من إفشاء السلام، والتحابب، وحسن التخاطب في الكلام، والتعاون على البر والتقوى وغيرها.

ك) ترك ما لا يعنيه في الصّف:

وكلام الفحش، والسبّاب، والسخرية -لاشكّ- خصال ممقوتة، تكرهها النفوس، وتشمئزُّ منها الطباع السليمة، وتناهى عنها النفوس الكريمة، والمعلّم يجب أن يكون قدوة أمام تلامذته وأن يترك ما لا يعنيه حيث يُفتنى أثره، ويُسلك سبيله، يقول ابن سينا رحمه الله: "يجب أن يكون المدرّس وقوراً، رزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف، ذا مروءة ونظافة ونزاهة، عاقلاً، ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، كما يجب أن يكون قدوة حسنة لمن يعلمهم"، فإن اتّصف المعلّم ببعض هذه الخصال المذمومة الآتية فهي نقیصة في قدره وشخصيته، فعليه أن يطهّر ظاهره وباطنه من الأخلاق الرديئة، ويعمره بالأخلاق المرضية الفاضلة، فمن الأخلاق الرديئة: الحسد، والغضب لغير الله تعالى، والبغي، والعجب، والرياء، والكبر، والسمعة، والبخل، والجبن والفخر، والتنافس في الدنيا، والخيلاء، والمداهنة، والتزين للناس والمباهاة فيها، وحب المدح بما لم يفعل، والعصبية لغير الله، والغيبة، والبهتان، والكذب، والنميمة، والفحش في القول، واحتقار الناس ولو كانوا دونه، فالحذر الحذر، من هذه الصفات الرذيلة الخبيثة، فإنها باب كل شر. ومن الأخلاق الفاضلة شكر النعمة، ودوام التوبة، والتقوى، والإخلاص، واليقين، والصبر، والرضى، والتفويض، وسلامة الباطن، وحسن الظن، والتجاوز، والقناعة، والزهد، والتوكل، وحسن الخلق، ورؤية الإحسان، والحياء من الله ومن الناس والشفقة على خلق الله. ومحبة الله تعالى هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات كلّها. وإنما يتحقق ذلك بمتابعة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته قال الله تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم".

ل) إقبال المعلم على جميع التلامذة:

ومن حسن شخصية الأستاذ في الصف أن يقبل بنظراته وإرشاداته على التلامذة جميعاً، حيث يشعر كل فرد منهم أنه يخصّه ويريده. "وعن عمرو بن العاص قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك، وكان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت أني خير القوم. فقلت: يا رسول الله، أنا خير أم أبو بكر؟ قال: أبو بكر، قلت: يا رسول الله، أنا خير أم عمر؟ قال: عمر، قلت: يا رسول الله، أنا خير أم عثمان؟ قال: عثمان، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم صد عني، فوددت أني لم أكن سألته. فإذا خصّ الأستاذ بعض التلامذة بالكلام والمشاورة ولو كانت في أمور الدرس لا شك في أنها تورث الضغائن في قلوب الأولاد وتزيد في الحسد والحقد وتحضّهم على الشحناء والهجر.

م) مباسطة التلامذة أثناء الدرس.

ومما ينبغي للمعلم في الصف، مباسطة تلامذته أثناء الدرس حتى لا يشعروا بالسامة والملل من طول الدرس. "وعن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم، فقلت: إني أخاف أن يمحكك الناس. فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدث بحديث إلا تبسم"^{٢٤}. ثم كان أبو الدرداء إذا حدث حديثاً تبسم اتباعاً لرسول الله ﷺ في ذلك، "وفي حديث عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ فقال جابر رضي الله عنه: نعم كثير، كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي فيه يصلي الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون – والرسول جالس – فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويتبسم النبي صلى الله عليه وسلم"^{٢٥}.

ن) طرح السؤال أولاً إلى مجموع التلاميذ لا إلى تلميذ خاص أو معين: وطرح الأسئلة أمام التلامذة يعدّ من أهم الوسائل الناجحة لاختبار مستواهم العلمي

^{٢٤} أخرجه أحمد رحمه الله في المسند.
^{٢٥} رواه مسلم رحمه الله.

والعقليّ والفهميّ، لكن على المعلم أن يأتي بأسلوب سهل مرضي غير مملّ ولا مطيل للاختبار، وأن يترك الشدّة والغلظة والتوعّد عند المسألة حيث لا يصير جوّ الفصل الساكن الهادي مملوء بالرعب والخوف والفرع والجزع. فيترك الأستاذ أسلوب طرح السؤال إلى تلميذ معيّن مباشراً، بل يطرحها أولاً أمام التلامذة عامّة، ثمّ يعيّن أحد التلامذة للإجابة، وهذا يذهب خوف التلامذة وفرعهم وتحيرهم عند إجابتهم أمام زملائهم الأحباء. فبعض المعلمين الجاهلين ينادون باسم الطالب أولاً ثمّ يلقي إليهم السؤال، فهذا الطالب لا شكّ يتحير ويضطرب عند الإجابة وربما يخطئ وينسى وإن كان محكم الإجابة ومتقنها.

س) حضّهم على السلام والمصافحة عند أول اللقاء:

ومما لا ينبغي أن يتغافل عنه المعلمون، حضّ التلامذة على إفشاء السلام والمصافحة داخل الصفّ وخارجه، فإنّ هذا أمر عظيم لا يهتمّه كثير من المعلمين الكرام، وكم نسمع من المخالفات والمشاجرات والمناقضات حتى المقاتلات وقعت بين التلامذة وبينهم ومعلميهم؟ وإذا بحثنا عن ذلك نصل أخيراً إلى هذه النتيجة الظاهرة وهي عدم الألفة والمحبة بين التلامذة والمعلمين. وقد علّمنا النبيّ صلى الله عليه وسلّم على أمر إذا فعلنا ذلك نكون من المتحابين بيننا ثمّ قال صلى الله عليه وسلّم "أفشوا السلام بينكم". وقد صحّ في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم".^{٢٦} وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما "أنّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أيّ الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".^{٢٧}، وعن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: "البادئ بالسلام بريئ من الكبر".^{٢٨} فعلى المعلمين المخلصين أن ينبّهوا تلامذتهم على أهمية السلام في حداثة سنّهم، ويذكروهم على فضائل المصافحة عند السلام. فقد صحّ في الحديث الشريف عن

^{٢٦} رواه مسلم رحمه الله.
^{٢٧} رواه البخاري ومسلم رحمهما الله.
^{٢٨} رواه البيهقي في شعب الإيمان.

البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا"^{٢٩}. وعن عطاء الخراساني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تصافحوا يذهب الغلّ، وتهادوا تحابّوا وتذهب الشحناء"^{٣٠}.

ع) أخذ أسهل الطرق وأيسرها من طرق التدريس.

ومن الواضح أنّ هناك كثير من طرق التدريس بعضها أيسر و أوضح، وبعضها أكمل وأجمل بالنسبة إلى طبائع الطلاب وأحوالهم، وأذواقهم. وطرق التدريس هي الوسائل التي يتوسط بها المدرّس للوصول إلى الهدف المنشود في أقلّ وقت وأيسر جهد مع تمام الفائدة المقصودة بالتعليم. وعند اختيار طريقة التدريس يعتمد المعلم على النقاط التالية: ماذا يعلم؟ ولم يعلم؟ وكيف يعلم؟.

فالمدرس ينظر أولا طبيعة مادة التدريس، هل هي نثر أم نظم؟ وإن كان نثرا هل هي مقالة أو حوار أو غير ذلك؟ وهو ينظر أيضا إلى أغراض التدريس: هل هو يدرس لإيجاد مكلة الاستماع أو التحدث أو القراءة أو الكتابة أو تعليم القاعدة أو هذه كلها؟. وهكذا يختار الأدوات التدريسية حسب المادة والأغراض كما يختار وسائل التقويم. فالمعلم العاقل يفطن لذلك ويأخذ منها لائقا مناسباً للمقام، ومقتضى الأحوال. ومن الطرق الحديثة المشهورة المتداولة الآن بعض ما يأتي:

حصائل الطرق الحسنة:

- ❖ إيجاد جوّ طبيعي في الفصل.
- ❖ مشاركة الطلاب في عملية التدريس والتدريس.
- ❖ التدريب الكافي في استعمال اللغة شفويا وتحريريا.
- ❖ تزويد الفرص للتفكر وإثارة العواطف.
- ❖ الانتقال من اللغة المفهومة إلى اللغة المنطوقة.

^{٢٩} رواه أبو داود رحمه الله.
^{٣٠} رواه مالك مرسلا.

- ❖ غرس القيم الأخلاقية في الطلاب.
- ❖ إثارة الحيوية والنشاط داخل الفصل.
- ❖ توثيق الصلة بين المدرس والدارس.

وهناك طرق متعددة لا نستطيع أن نقول أن واحدة منها أحسن من غيرها. ولكن لكل طريقة قيمتها بالنسبة إلى الموضوع والأغراض. ولكل منها نواحيها الإيجابية والسلبية.

طرق التدريس المختلفة

• الطريقة التقليدية/القديمية (Traditional Method)

في هذه الطريقة يبدأ التلميذ تعلم اللغة بأسماء الحروف ثم قراءتها مع الأشكال الأربعة ثم الشّد والمدّ. وبعد ذلك ينتقل إلى الحروف المركّبة. ولهذه الطريقة بعض نواحيها الإيجابية كما يُرى فيها بعض نواحيها السلبية أيضا.

فمن نواحيها الإيجابية :

١. الطالب يقف على أسماء الحروف وأشكالها مع ضبط تام.
٢. يتلفظ من المخارج الصحيحة.
٣. يحفظ القواعد.

ومن نواحيها السلبية :

١. إنها معارضة للاتجاهات المعاصرة في التعلم.
٢. لا يعتني بالتحدث والمكالمة.
٣. يحتاج الطالب إلى سنوات طويلة.
٤. لا يعتني بعلم النفس التربوي.

• طريقة الترجمة (Trnaslation Method)

في هذه الطريقة لا يعتني المدرّس باختلاق بيئة مناسبة لتقديم الألفاظ والتراكيب وللتدريب على استعمالها، بل يعلم اللغة بطريقة الترجمة لفظاً وتركيباً.

فمن نواحيها الإيجابية :

١. يفهم التلميذ معنى التركيب والقواعد في أيسر جهد وأقلّ وقت.

٢. لا يحتاج المعلم إلى استعداد جادّ لإلقاء الدرس.

ومن نواحيها السلبية :

١. لا يتدرب الطالب في اللغة على ترتيبها الطبيعي.

٢. لا يجد الطالب فرصة الاستماع والتكلم.

٣. لا يقف التلميذ على هيئة التراكيب والاستعمالات الخاصة.

٤. يهتم الطالب بالمعنى أكثر من التعبير.

٥. ليس للطالب مشاركة فعالة في عمليّة التدريس.

٦. لا تفيد هذه الطريقة لاكتساب المقدرات.

٧. لا يقدر أحد أن يترجم لغة إلى لغة أخرى.

• طريقة المحاضرة (Lecture Method)

في هذه الطريقة يلقي الأستاذ مضمون الدرس شفويًا والطلاب يستمعون إلى محاضرة المعلم. ثمّ يطالعون الكتب المتعلقة بالموضوع.

فمن نواحيها الإيجابية :

١. يقدر المعلم إلقاء كثيرًا من المعلومات في مدة يسيرة.

٢. لها دور هام في تعليم تاريخ اللغة وبيان حياة الأدباء.

ومن نواحيها السلبية :

١. لا تعتنى بالتدريب الشفوي والرسومي.

٢. ليس للطالب مشاركة في عملية التعلّم.

• الطريقة المباشرة (Direct Method)

ويراد بهذه الطريقة تعليم اللغة في جوّ طبيعيّ وباختلاق بيئة موافقة بغير أن يتوسل إلى الترجمة إلا عند الضرورة. وهي تتضمن على العناصر التالية:

- التركيز على تقديم الكلمات والجمل في بيئة لغويّة.
- يربط المعلّم الألفاظ بالأشياء المرادة بها مباشرة بغير واسطة المعنى.
- إمكانية التفكير في اللغة وقلة تدخّل اللغة المحليّة.
- شروع التعلّم بالجمل المفيدة.

تعلّم القواعد وظيفياً بالتدريب على الجمل الصحيحة

فمن نواحيها الإيجابية :

١. يتعلّم الطالب اللغة من البيئة الطبيعيّة.
٢. يتييسر التعلّم بالوسائل التربويّة.
٣. يجد الطالب فرصاً كثيرة للاستماع والتكلم.
٤. يستمر التحرض داخل الفصل لأن الطالب يشارك في أعمال التعلّم والتعليم.
٥. يتركز نشاط التعلّم على الطالب.
٦. يجد الطالب فرصة للتفكير والتفاعل.

ومن نواحيها السلبية :

١. قلة الإمكانيات داخل الفصل لاختلاق بيئة مناسبة.
٢. عدم المدرسين الماهرين في فن التدريس.
٣. قلة الأوقات الموجودة لتعليم اللغة.
٤. تزيد مجهودات الطلاب لاسيما الطلاب المتخلفين.

٥. تنحصر معلومات الطالب في القواعد السطحية.

• طريقة المشروع (Project Method)

هذه الطريقة تعقت من المذهب العملي الذي جهر به جون ديوي (JohnDewey). وفي هذه الطريقة يختار المدرّس والطلاب مشكلة أو مشروعاً، ثم يبحث معهم عن جوانب حل المشكلة ويوكل المدرّس كل تلميذ مسؤولية، ثم يرشدهم إلى كيفية تنفيذ المشروع في أحسن صورة. وبعدها فرغوا من تنفيذه يقوم جميع جوانب المشروع.

فمن نواحيها الإيجابية :

١. التعلم متعلق بالحياة اليومية والتجربة النفسية.

٢. يجد الطالب فرصة للمشاركة الفعالة والنشاط الدائم.

٣. يمكن الطالب أن يفكر في الموضوع بنفسه.

ومن نواحيها السلبية :

١. لا تعتنى بالتدرب الشفهي والنطقي، لذا لا تليق هذه الطريقة بالفصول اللغوية إلا نادراً.

٢. طبيعة اللغة مختلفة تماماً عن هذه الطريقة لأن اللغة تحتاج إلى التدرب المتكرر في المقدرات الأربعة.

• خطة دالتون (Dalton Plan)

أعدت هذه الطريقة هالان بارك هارست سنة ١٩٢٠م بمدرسة دالتون. في هذه الطريقة يبين المعلم الطلبة جميع ما ينبغي أن يتعلموا على الطلبة أن يتعلموها بأي وجه كان بمساعدة الكتب والمعلم وغيرها. إذا أتم الطالب الدروس يقومها المعلم. إذا فاز يأذن له المعلم الدروس المقررة للسنة التالية. بهذه الطريقة يقدر الطالب على التقدم حسب قدرته وهمته واجتهاده ولا يضره بطء الآخرين.

فمن نواحيها الإيجابية :

١ . تهتم بالمقدرات النفسية للطالب.

٢ . تتركز على الطالب.

ومن نواحيها السلبية:

١ . لا تهتم بالمقدرات اللغوية.

٢ . لا تليق بتعليم اللغة لأن تعليم اللغة مدارها التقليد والتكرار.

• طريقة الاختراع (Heuristic Method)

صاحب هذه الطريقة الأستاذ أمسترونج، وأنه رأى بأن التعلم لا يتم إلا بالتجارب النفسية كما في طريقة دالتون. وفي هذه الطريقة يقوم الطالب بالبحث والمطالعة والتعلم النفسي حتى يصل إلى نظرة علمية. وهذه الطريقة لا تليق بالفصول اللغوية لأنها لا تعني بالاستماع والتقليد والتكرار.

• طريقة اللعب (Play Way Method)

في هذه الطريقة يشتغل المدرّس مع الأولاد بألعاب تبلغ بها الأولاد إلى الوقوف على بعض العلوم الذي يراد التعليم. بهذا الطريق يكتسب الأطفال معرفة مفيدة بينما يلعبون ويتمتعون. هنا يخلق المدرّس جوًا جيّدًا يليق بالدراسة. وتكون هذه الطريقة مفيدة جدًا إذا كان الأولاد كسالى في التعلّم، أو غير راغبين فيه، فتدفعهم إلى النشاط والجدّ، فيقبلون على التعلّم في جوّ مرضي.

فمن نواحيها الإيجابية :

١ . هذه الطريقة ملائمة في رياض الأطفال والفصول الابتدائية.

٢ . استمرار الحيوية في الفصل.

٣ . تبعد الطلاب عن الملل.

ومن نواحيها السلبية :

١. قد ينتقل نشاط التعلم إلى مجرد اللعب.
٢. وهي غير كاملة لتعليم كل المواد اللغوية.

• طريقة منتيشوري (Montessori Method)

هذه الطريقة تنسب إلى الطبيب الإيطالية مريا منتيشوري. تهتم هذه الطريقة بالتعلم النفسي، فالطالب مستقل بنفسه وأعماله، ليس هناك دروس ولا جدول لأوقات الدروس وفصول مدرسية. ولكن الطالب يتعلم حسب رغبته واختياره، وهو يجري تعلمه في روضة طبيعية. وتقل الفوائد غالبا من هذه الطريقة لأنه ليست هناك قوة دافعية تدفع الطالب إلى التعلّم، أمّا إذا كانت هناك أيّة قوة دافعية ولو كانت قولا عنيفا، أو النظر بوجه عبوس، لا شكّ تفيد الطالب في تعلّمه وتربيته.

• طريقة الكتاب المقرر (Text book Method)

يراد بها اقتصار نشاطات التعليم على الكتاب المقرر والتدريبات التي فيها. ويعتني بترجمة فقرات الكتاب ولا يعتني بالتدرب على التعبير والتطبيق والموازنة من خارج الكتاب. وبذا لا يقدر الطالب على التعبير في اللغة من عند نفسه.

• الطريقة التركيبية (Structural Method)

أسست هذه الطريقة على أصل أن لكل لغة تركيب خاص، ولا بد للطالب أن يقف على هذا التركيب اللغوي. يراد بهذه الطريقة تركيز التدريس على تراكيب خاصة في اللغة وعلى استعمالها. مراحل هذه الطريقة:

التقديم (Presentation): حين يعلّم المدرس في الفصل تركيباً يختلق بيئة مناسبة له ثم يقدم إلى الطلاب جملة أو أكثر نموذجاً لهذا التركيب، وبهذه الأمثلة يبين للطلاب طريقة استعمال التركيب.

التدريب على الاستعمال (Practice): بعد ما وقف الطالب على استعمال تركيب من الجملة المثالية يختلق بيئات أخرى مناسبة للتدريب على هذا التركيب. فالطلاب يحاولون على أن يأتوا بأمثلة من عندهم مع مساعدة المدرس حتى يتدربوا على هذا التدريب.

التطبيق (Application): الطالب يقدر على استعمال التراكيب في مواقف مختلفة ويأتي جملاً صحيحة شفهيًا وتحريريًا. وهذه الطريقة معترفة مفيدة في تعليم اللغة وخاصة عند تعليم القواعد والمبادئ في اللغة.

فمن نواحيها الإيجابية :

١. هذه الطريقة تعتني على التدريب الشفوي والكتابي وتعتمد على أسلوب اللغة وأداء الكلام.
٢. تهتم بمشاركة الطلاب في عملية التدريس وتكون في الفصل نشاطات دائمة.
٣. يقدر الطالب على التطبيق في إطار تركيب خاص.

ومن نواحيها السلبية :

١. هذه الطريقة إن لم تستخدم مع الطريقة المباشرة لا تفيد شيئاً.
٢. لا يقدر الطالب في حصة واحدة على أن يتعلم إلا تركيباً أو تركيبين فقط، بذلك يحتاج إلى مدة طويلة.
٣. تقل فرصة التحدث في جو طبيعي لأن التعلم في الطريقة التركيبية عمل ميكانيكي.

• الطريقة التواصلية (Communicative Approach)

اللغة أداة للتواصل والتعامل والتفاهم، فليست اللغة قوالب وصيغة وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف اللغوية المختلفة كالطلب والترجي والأمر والنهي والدعاء والوصف والتقرير وغير ذلك من آلاف الوظائف اللغوية. وفي ظل هذه الفكرة ظهرت الطريقة التواصلية. تتركز هذه الطريقة على المعرفة والنواحي الوجدانية الهامة للمتعلم، وتتاح فيها الفرصة للمتعلم كي يمارس دور المشارك والمراقب والملاحظ والمستمع والمساهم، وتستخدم المهارات اللغوية فيها من أجل فهم تمثّل وأداء المعلومات والتجارب والأفكار والمشاعر وكذلك لحل المشاكل والمناقشة والاستشارة وإصدار التعليمات والمجادلة والتنظيم ومثلها. وهذه الطريقة هي التي تتبع الآن لتعليم اللغات العالمية.

• الطريقة التفاعلية (Interactive Method)

هذه طريقة فعالة في الصفوف العالية. وبهذه الطريقة يخلق المدرس بيئة حيوية فعالة داخل الصف وللمدرس والدارس دور مهم في الأعمال الدراسية. يحصل الدارس على كثير من المعلومات بواسطة العلاقات مع زملائه. وهي تساعد الطلبة لاكتساب معلومات شتى مع تمييز مقدرة الدارسين. فالأستاذ يساعدهم حسب الحاجة كمرشد أو شريك.

• طريقة حل المشاكل (Problem solving method)

هي طريقة تحليل المشاكل التي يواجهها الدارس. ويجتهد بها المعلم والطالب في طريقة مخطوطة لحل المشكلات التربوية. يقدم المدرس مشكلة أمام الدارسين ويطلب منهم الوصول إلى حلها بجريانهم على مراحل مخطوطة. وهذه الطريقة تساعد الدارس على تنمية قوة التفكير وتنمية المعلومات، وتدفعه إلى التعليم النشط وتجعله قادراً على تناول البيئة الجديدة.

مراحل الطريقة:

١. إدراك المشكلة
٢. تفسير المشكلة
٣. جمع المعلومات
٤. ترتيب المعلومات وتنظيمها
٥. استنباط الحل
٦. التقويم

• التعليم المصغر (Micro teaching)

هذه طريقة قدمها آلن وريان (Allen and Riyan) وتستخدم كبرنامج فعال في عملية التدريس. في هذه الطريقة يعد المعلم خطة صغيرة لمدة صغيرة ويقدم أمام عدد قليل من التلاميذ. ومن خطواتها:

- ❖ توجيه الأسئلة: يلقي المعلم السؤال في الصف عامة ثم يختار المجيب ويختار الأسئلة المناسبة لإيقاظ أفكارهم وإثارة عواطفهم.
- ❖ تنويع المنبهات (Stimulus variation): يستخدم تكتيكات تدريسية داخل الصف ويراعي النبذة والسحنة حسب الوقت.
- ❖ استخدام السبورة: لاكتساب مهارة الكتابة لازم أن يكتب واضحاً كي يستقر في ذهن السامع.
- ❖ مقدرة التعزيز (Skill of re-inforcement): يعزز المدرس التلاميذ حسب الحاجة مثل الثناء وإعطاء العلامات والجوائز.

• التعليم المبرمج (Programmed Instruction)

هذه طريقة ممتازة تستخدم في المجال التربوي المعاصر نتاجا للخبرات المتوالية في حقل التعلم والتعليم. يراد بهذه الطريقة التعلم الذاتي. فالطالب يتعلم بنفسه حسب مقدراته واستعداده وخصائصه ومستواه. وأول من جاء بهذه الطريقة العالم سدني برسي (Sidney Pressy) في ١٩٢٠م ثم جودها وأضاف إليها بعض الإصلاحات المفيدة العالم ب.ف. سكينر (B.F Skinner) في ١٩٤٣، ثم جاء نورمان أي كرودر (Norman A Crowder) سنة ١٩٥٥م واكتشف لتنفيذ برامجه أداة علمية تسمى ماكينة التعليم (Teaching Machine).

وكان التعليم مُركّزا على المدرس من قبل. فالمعلم يقوم بعمله بغير أي اعتناء بخصائص الطلاب وميولهم ونزعاتهم ولا يهتم كل واحد منهم حسب شخصيته. فلمّا اقتضت الحاجة إلى رفع مستوى الطلاب على ضوء العلم النفسي التربوي، فكر العلماء في إعطاء كل فرد مزيدا من العناية واتجهت الدعوة إلى التعليم الذاتي (Individualized Instruction) حتى تطورت هذه الطريقة الحديثة.

وفي التعليم المبرمج ترتب المادة التعليمية في سلسلة من الخطوات التي تساعد الدارس على التعلم بذاته، وذلك بإعطائه عددا من البنود التي تضم أسئلة توصل الطالب إلى المادة ثم يجيب عنها ويعززه بوسيلة الماكينة بالمعرفة الفورية للنتائج (Immediate feed back) فهذه الطريقة أساسها الترابط بين الوحدات الدقيقة أو البنود وبين الأسئلة. وبهذه الطريقة يقدر كل طالب أن يسير في مهمّته بسرعه الخاصة به ويعتمد التعلم على فاعلية الطالب بدلا من الاعتماد على المدرّس.

الباب الرابع
مبادئ التربية

الباب الرابع

مبادئ التربية

الإسلام منهج رباني، وليس في الكون منهج أشمل وأجمل وأكمل وأجمع وأتقن وأضبط منه لكونه دين الفطرة التي فطر الناس عليها، وللشريعة الإسلامية نظرية خاصة في جميع مراحل الحياة الإنسانية، ولها مناهج ممتازة في جميع نواحي الحياة البشرية، ولم تترك جانبا من جوانب الحياة إلا وقد أرشدت الناس إليه ودلتهم عليه. ومن فضل هذه الشريعة السمحة البيضاء على البشرية أن جاءت بما يحتاجه قوام في تربية النفوس وتزكيتها، وتنشئة الأجيال وتهذيبها، وتجديد الأمم وتثقيفها، وإرساء قواعد المجد والثقافة والمدنية وتحقيقها. وما ذلك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الضلالة والجهالة إلى نور الهداية والعلم، ولا تضعف جدية هذه الشريعة أمام أي حقيقة من الحقائق العلمية الحديثة في أي بلد متمدن أو لدى أي جيل محتضر، لأنها من حكيم حميد لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزِيل من حكيم حميد. ويكفيها فخرا وشرفا أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها، واعترف الأعداء بحويتها وخلودها، واعترف النابهون والمتفوقون حتى من غير المسلمين بشموليتها ووسعتها.

الفصل الأول:

مفهوم التربية ومدلولاتها واصطلاحاتها:

لغة: يعود أصل الاشتقاق اللغوي لكلمة تربية إلى: رَبَّ يَرْبُ: ومنه رَبَّ الولدَ معناه وَلِيَهُ وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه^١، وَرَبَّهُ رَبًّا: أي تولى أمره وملكه، وهي بهذا المعنى صفة ذات في حقه تعالى بصفته المالك والسيد. رَبَّبَ: رَبَّبَهُ تربيئاً بمعنى رباه، ومنه الحديث "لَكَ نِعْمَةٌ تَرَبُّهَا عَلَيَّ"، أي تحفظها وترعاها، وَرَبَّاهُ تربيئاً، وَتَرَبَّاهُ، أي:

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية.

أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولة سواء كان ابناً له أم لم يكن، وتطلق في حقه تعالى بصفته مدبراً لخلقه ومرّبيهم.

رَبًّا: رَبًّا الشيء يربو، بمعنى زاد ونما، وفي التنزيل "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت" أي زادت وانتفخت لما يتداخلها من الماء والنبات^٢، وربّاه تربيّة أي غدّاه، ويطلق هذا على كل ما يُنمّى، كالولد، والزرع ونحوه.

ويقتضي كلمة "التربية" دلالات لغوية متعددة، تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة كما يتضح مما يلي :

(١) الإصلاح : يقال رب الشيء إذا أصلحه، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة، وإنما التعديل والتصحيح .

(٢) النماء والزيادة : ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى قوله تعالى "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج^٣ ورب المعروف والصنعة والنعمة أي نماها وأتمها وأصلحها^٤.

(٣) النشأة والترعرع : من ربي يربي على وزن خفي يخفي أي نشأ وترعرع .

(٤) السياسة: من رباه أي ساسه وتولى أمره، يقال ربيت القوم أي سستهم معناه كنت فوقهم ومنه قول أحدهم "لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني فلان".

(٥) التعليم : قال ابن منظور: الرَّبَّانِيُّ من الرب بمعنى التربية، وقال ابن أعرابي: الرباني هو المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها.

ويتضح من خلاصة هذه التعريفات اللغوية أن التربية تدور حول الإصلاح والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته بما ينمي، وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني.

(٢) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية.

(٣) سورة الحج، رقم الآية ٣٥

(٤) ابن منظور، لسان العرب ١- ٤٠١

واصطلاحاً:

فقد عرّفها العلماء بتعريفات مختلفة، قال البيضاوي : الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً. وقال الراغب الأصفهاني : الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حد التمام. ويعرّف بعض العلماء المعاصرين التربية حديثاً بأنها: مجموعة العمليات والجهود الموجهة بغية إحداث التغيير المرغوب في سلوك الأفراد في أحوال وظروف البيئة المادية والاجتماعية.

يرى "هربرت" أنّ علم التربية هو: "علم يهدف إلى تكوين الفرد من أجل ذاته، وبأن توظف فيه ميوله الكثيرة" أمّا Durkheim فيرى فيها "تكوين الأفراد تكويناً اجتماعياً"، أمّا الفيلسوف النفعي J. Mil فيرى أنّ التربية هي "التي تجعل من الفرد أداة سعادة لنفسه ولغيره".

ويرى John Dewy أنّ التربية "تعني مجموعة العمليات التي يستطيع بها مجتمع أو زمرة اجتماعية، أن ينقل سلطاتهما وأهدافهما المكتسبة بغية تأمين وجودها الخاص ونموهما المستمر، فهي باختصار تنظيم مستمر للخبرة"^٥.

وهذه بعض التعريفات الحديثة لمصطلح التربية:

التربية: "هي عملية التكيف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها".

التربية "هي عملية تضم الأفعال والتأثيرات التي تستهدف نموّ الفرد في جميع جوانب شخصيّته، وتسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيف مع ما يحيط به، ومن حيث ما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوك وقدرات".

والتربية "هي العمل المنسّق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة، وخلق القابليات، وتكوين الإنسان، والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي وعلى مدى الحياة".

^٥) <https://ar.wikibooks.org>

والتربية "هي تنشئة الفرد قويّ البدن، حسن الخلق، صحيح التفكير، محباً لوطنه، معتزاً بقوميّته، مدركاً واجباته، مزوّداً بالمعلومات اللازمة له في حياته"

والتربية "هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كماله الماديّة والروحيّة في إطار المجتمع الذي يعيش فيه".

التربية "هي التي تبني خُلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل، وتنمّي فيه جميع الفضائل التي تصونه من الرذائل، وتمكّنه من مجاوزة ذاته بالتعاون مع أقرانه على فعل الخير"

ومن الملاحظة : أنّ هذه التعريفات كلّها مهما تطوّرت وتعددت فهي جميعها لا شكّ تشير إلى معاني التقدّم والرُقّي والكمال والنمو والتنشئة والتطوّر للأفضل، كما أنها لا تقتصر على فترة زمنية معيّنة من عمر الإنسان، بل هي عملية مستمرة معه، وبالجملة يمكن تعريفها بأنها تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي والله أعلم.

الفصل الثاني

أهمية التربية وأهدافها:

ولاحاجة إلى ذكر أهمية التربية أمام قوم مثقّفين ومهذّبين، حيث إنّ البيئة قد تعرّضت لمخاطر كبيرة من التلوّث البيئيّ الذي قام به الإنسان، لذا أصبحت التربية لازمة وضروريّة للإنسان لتوعيته ضدّ هذه التلوّثات البيئيّة، وتنبيهه على أخذ الوسائل الناجحة للمحافظة على بيئة صحيّة سالمة مطمئنة، وتكوين الإنسان البيئيّ الصالح الأمين. فهي حقاً عاملٌ مهمّ من عوامل التنمية الاقتصاديّة، عن طريق تكوين أفرادٍ مؤهلين صادقين واستثمار القوى البشرية وإعدادها وتأهيلها للعمل في الاقتصاد، وهي حقاً عاملٌ مهمّ من عوامل التنمية الاجتماعيّة، حيث تربي كلّ فرد من أفراد المجتمع على تحمل مسؤولياته الاجتماعيّة، ومعرفة حقوقه ومسؤولياته، وهي حقاً عاملٌ مهمّ في بناء المنطقة العصريّة الحديثة الآمنة التي تتماشى مع الحضارة،

وتواكب التقدم العلمي والثقافي والتكنولوجي، حيث يعيش كل فرد من أفراد المجتمع حياةً كريمةً برفاهيةٍ وعدالةٍ اجتماعيةٍ بين جميع الأفراد وأمن وسكون بينهم، وهي حقًا عاملٌ مهمٌ من عوامل إرساء الديمقراطية الصحيحة، حيث تدلّ الأفراد على حقوقهم المدنية والسياسية وغيرها، وتحرير أفكارهم من الجهل ليؤمنوا بأرائهم الخاصة، وهي حقًا عاملٌ مهمٌ في التماسك الاجتماعي والوحدة القومية والوطنية من خلال توحيد القوى والاتجاهات في المجتمع لخلق وحدةٍ فكريةٍ تؤدي إلى تعاضد المجتمع وتعاون أفرادهِ. وتهدف التربية إلى إعداد الإنسان الصالح الفاضل ذي أخلاق كريمة، وذي عزيمة قوية صادقة، قادر على التلاؤم مع حياة المجتمع الذي ينتمي إليه، وممارسة دوره النافع فيه، وإعداده إيمانياً حتى ينشأ على حبّ الله ورسوله وحب أهل بيته وتلاوة القرآن، وإعداده خلقياً حتى يتحلّى بكلّ صفات محمودة خلقية، ويبعد عن كل مظاهر الفشل والانحلال، وإعداده عقلياً حتى يبقى تفكيره سليماً وذاكرته قوية وأذهانه صافية، وإعداده صحياً ونفسياً حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه ويضطلع بمسؤولياته في حمل الرسالة الإسلامية المقدسة إلى مشارق الأرض ومغاربها كما حملها من قبل جيل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السادة الكرام، ومن أهمّ الهوادم ما يأتي:

(١) إعداد المواطن الصالح القوي الأمين الذي يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة.

(٢) تأهيل الفرد دينياً ودنيوياً حيث ينتفع به المجتمع في جميع الحالات.

(٣) تعليم الفرد وتدريبه على كيفية العمل وكسب الرزق.

(٤) إعداد الفرد العالم المحافظ الذي يهتم بالعادات والتقاليد، ويأخذ بعين الاعتبار حوائج القوم ومتطلباتهم .

(٥) إعداد الفرد المفكر تفكيراً علمياً سليماً يؤهله لحلّ المشكلات ويجعله متكيفاً مع البيئة المحيطة به.

٦) تنشئة قوم يعرفون ما لهم وما عليهم .

٧) إعداد قوم يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر، وغيرها من الأهداف التي إذا تحققت تكون الحياة الإنسانية في أمن واستقرار .

الفصل الثالث

أنواع التربية:

التربية باعتبار مضمونها تنقسم إلى أنواع مختلفة، يحتاج كل فرد إلى التعرف عليها من أجل استخدام الأسلوب الأمثل فالأفضل، بغية تربية الأبناء بالشكل الصحيح. فمن أنواعها: التربية الإيمانية والخلقية، والعملية، والجنسية، والجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والأدبية، وغيرها، إن شاء الله سنعرض كل نوع من أنواع التربية المذكورة على حدة بشي من التفصيل مع الاختصار، والله وليّ التوفيق.

أولاً: التربية الإيمانية:

والمراد بالتربية الإيمانية ربط الأب أطفالهم منذ تعقلهم بأصول الإيمان، وتعويدهم منذ تفهمهم على أركان الإسلام، وتعليمهم من حين تمييزهم مبادئ الشريعة البيضاء. فإنهم يولدون على فطرة التوحيد، وعقيدة الإيمان بالله، وعلى أصالة الطهر والبراءة، فإذا تهيأت لهم التربية المنزلية الواعية، والخلطة الاجتماعية الصالحة، والبيئة التعليمية المؤمنة نشأوا - لاشك - على الإيمان الراسخ والأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة. وهذه الحقيقة من الفطرة الإيمانية قد قررها القرآن الكريم، وأكدها النبي ﷺ وأثبتها علماء التربية والأخلاق. أما القرآن الكريم فقد قررها بقوله تبارك وتعالى "فطرت الله التي فطر الناس عليها" أما الرسول ﷺ فقد أكدها بقوله "كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه"^٦. وأما علماء التربية

^٦ رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والأخلاق فقد أثبتوها بوضوح ومنها ما قرره الإمام الغزالي رحمه الله في تعويد الأولاد خصال الخير أو مبادئ الشر باعتبار قابليته وفطرته يقول "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك... وصيانتته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق".

والتربية الإيمانية تتضمن كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانية، والأمور الغيبية: كالإيمان بالله عزوجل، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالملائكة الكرام، والإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، والإيمان بسؤال الملكين، والبحث، والحشر، والنشر وغيرها من المغيبات.

ولتكون التربية الإيمانية راسخة في قلوب الأطفال حتى إذا ترعرعوا وكبروا لم يتزعزعوا بالدجل الإلحادي، ولم يتأثروا بدعايات أهل الكفر والضلال، على الآباء والمربين أن يحفظوا بعض الوسائل الناجحة لسلامة عقيدة أولادهم من الزيغ والإلحاد والانحراف والفساد من أهمها ما يأتي:

١ - التأكيد على الفطرة في قلوب الأطفال.

وقد وردت كلمة "الفطرة" في القرآن الكريم، وكذا في السنة المطهرة. ففي القرآن الكريم، قوله تبارك وتعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" أما ورودها في الحديث الشريف، فقوله عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة، هل ترى فيها جدهاء". وقد اختلف العلماء الكرام على أقوال في تفسير معنى الفطرة، فمنهم من رأى أنها الإسلام مثل مجاهد، والحسن البصري، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، وغيرهم. ومنهم من قال أنها الإقرار بمعرفة الله عز وجل، كما قال الإمام أحمد بن حنبل، وابن كثير، وابن تيمية، وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

وقد ذهب الزجاج وابن حزم، وغيرهما إلى القول بأنها الإيمان، وأقوال العلماء في الفطرة كثيرة، ولكن مدار مذهبهم وتفسيراتهم يتضمن صلاحها وطهارتها. وعلى

هذا المفهوم يتيقن الوالد أن الإيمان بالله، والإقرار بربوبيته، والعلم بوجوده يعتبر قضية مسلمة في نفس الولد وعقله، فلا تحتاج إلى دليل لإثباتها، أي: إن هذه المسألة مما اطمأنت إليها النفس واستقرت فيها منذ نعومة أظفارها. ولا تقتصر الفطرة على الإقرار والإيمان بالله فحسب، بل تميل بطبعها إلى الخير وتصدق بالحق وتحبه، وتبغض الشر والباطل وتكذب به وترفضه، فإذا كان الأمر على هذا النحو، فإنه من السهل توجيه الأولاد، وتأصيل ذلك المفهوم الحسن في نفوسهم، فيتأكد عندهم بأن الله هو الذي خلقنا، ورزقنا، ووهب لنا هذا الخير والوجود، وغير ذلك من فضائل الرب عز وجل. ولاشك أن الأطفال في كل هذا يكونون قابلين مذعنين مستجيبين- بدافع فطرتهم- إلي هذه المعاني، وما على الوالد إلا أن يعمل جاهدا على تعميقها وتركيزها في نفوسهم. فيستغل الأب الفرص المناسبة وخلوات الأولاد معهم، كما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم مع ابن عباس رضي الله عنهما عند ما كان رديفه على الدابة حيث علمه معاني من الأخلاق مع الله، ومراقبته، وحسن التوكل عليه. فاذا خرج الأب مع أولاده في نزهة على البحر، أو في حديقة، أو في الصحراء، وجّه أولادهم للنظر إلى السماء الجميلة ذات البروج، والنجوم المضيئة اللامعة، وإلى الأرض المزهرة، والماء، ثم يسألهم: يا أبنائي من خلق هذا؟ من أسبغ على هذا الكون ذلك الجمال الباهر؟ من حفظ الكواكب والنجوم في مداراتها دون اختلاط؟ فتثار في نفوس الأولاد رهبة نحو هذا الكون وما وراءه مما لا يرونه. وربما اندفع الأولاد في بعض الأوقات يطرحون الأسئلة على والدهم، فيسألون عن خالق الكون و موجد سبحانه و تعالى، وعن طبيعة الأشياء، ولماذا وجدت على هذا النسق، وعلى هذه الهيئة، ولا يكون لدى الأب من جواب سوى "الله" أي أن الله هو الذي أعطى هذه المخلوقات تلك الصفات والهيئات. فهذه الأوقات التي يكون فيها الأولاد متطلعين لأجوبة والدهم تعدّ أفضل الأوقات وأحسنها لتوجيه الأولاد وتركيز معاني الفطرة في نفوسهم، ولا ينبغي إهمال أسئلة الأولاد خاصّة المتعلقة منها بالعقيدة ظلّا بأنهم صغار لا يعقلون، أو لا يدركون هذه المعاني العليا المجردة، فإن الفطرة تنيقظ لربّها وخالقها في مرحلة مبكرة جدّا من عمر الطفل. "ولا يلتفت الوالد إلى آراء بعض رجال التربية أمثال

"روسو" الذي يُنقل عنه النهي عن تعليم الطفل شيئاً عن الله - سبحانه وتعالى- حتى يبلغ الثامنة عشر، وذلك زعماً منه أن الولد الصغير لا يدرك هذه المعاني، وخشية أن تصبح هذه القضايا والمفاهيم في ذهنه أو هاماً لا يفهمها ولا يعقلها. وهذا رأي مردود لما تقدمت الإشارة إليه من استقرار الفطرة في نفوس الأطفال، وتيقظها المبكر، وأن السنوات الأولى من عمر الطفل تتحدد وتتكون فيها نواة شخصيته الأولى، وله قدرة فائقة على التعلم".

٢. تعريف الأولاد بنعم الله تعالى.

ومن الأمر الضروري في التربية الإيمانية تعريف الأطفال بنعم الله عز وجلّ على الإنسان، وما حباه من الفضائل وأنواع الطيبات، وذلك ليقع في نفوس الأولاد تعظيم الله سبحانه وتعالى من خلال الشعور بالتقصير تجاه شكرهم على هذه النعم الكثيرة. والإنسان بطبعه يحب ويميل إلى من يكرمه ويحسن إليه، فيحس نحوه بواجب الشكر، والاعتراف بالجميل، فإذا كان هذا حاصلًا مع الناس، فكيف بربّ العالمين، الذي سخرهم لنفعه وعونه وإسداء المعروف له؟! ولا شك أن الإنسان إذا عرف هذه النعم، وسابق كرم الله بإيجاده، والصبر على أخطائه وتقصيره، فإنه يحس بالحياء من الله عزّ وجلّ لما يراه في نفسه، وواقعه من التقصير في حقه سبحانه وتعالى. ويستغلّ الوالد هذا الوقت ويبين فضل الله ونعمه على الولد، وما سخره له من الطعام، والشراب، والمسكن، والمركب، وما وهبه من نعمة البصر، والشم، والسمع، والتذوق. ويقرب إلى مخيلة الولد الشقاء والعنت، الذي يمكن أن يحدث إذا فقدت نعمة من هذه النعم الجسيمة، فيلفت الأب نظر الابن إلى فقدان الطعام - مثلاً- وما يحدثه من المجاعات المفزعة، المفضية إلى الهلاك والدمار، أو فقدان البصر، وما يحدثه من جهد وضرر للأعمى، أو فقدان الوالدين وكيف يمكن للولد أن يعيش بغيرهما. وفي كل جانب من جوانب الكون وحياة الإنسان، يجد الوالد مجالاً خصباً للتذكير بنعم الله عز وجلّ. ويلاحظ الأب العاقل أن الطفل لا يدرك الأمور المتعلقة بالدين بمعانيها المجردة، فإنّ أفكاره مرتبطة بالبيئة من حوله، فيحدثه عن آثار نعم الله من خلال مخلوقاته في الكون، كأن يلفت نظره إلى البيئة من حوله فينظر إلى الأشجار

والأزهار، والسهول، والجبال، والسماء، وغيرها مما حوله من أمور البيئة، فيدرك الولد جمال ما حوله من الطبيعة في جميع مظاهرها فيقدرها، ويستمتع بها، ويشعر بالعلاقة بينه وبين هذا الكون، فتتأثر نفسه بآثار طيبة تحثه على مزيد الشكر لخالقها تبارك وتعالى، ويعد الانتفاع، والاستمتاع بهذا الكون وجماله وما بث فيه من عجائب المخلوقات جزءاً أصيلاً في منهج التربية الإسلامية، فقد احتوى القرآن الكريم على آيات كثيرة تشير إلى هذا المعنى التربوي، وتلفت النظر إلى نعم الله على عباده بما سخره لهم من أنواع الطيبات، والملذات، والاستقرار، ليستمتعوا بها، ويشكروا ربهم عليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً"^٧ وقوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"^٨ وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تُلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"^٩، وقوله "وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"^٩ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تتحدث عن نعم الله عز وجل التي خلقها للإنسان و وهبه إياها وسخره لها. فهذا الأسلوب القرآني في التربية من خلال الإشعار بنعم الله وكرمه وفضله، يستغله مع أولاده فيختار أوصق هذه النعم وأهمها عند الولد موضعاً فضل الله عليه فيها، كأن يشعر الولد بنعمة الوالدين، وكيف أنهما يحبانها، ويتألمان لألمه، ويسهران على راحته ويسعدان بسعادته، مبينا الخطر الذي يمكن أن يحدث له إذا ذهب عنه، ثم يشعره بأن الوالدين نعمة من الله سخرها للأبناء حتى يكبروا و يصبحوا قادرين على القيام بأنفسهم.

وتذكير الوالد لأولاده بنعمة الوالدين أمر عظيم لعظم النفع الذي يتلقونه منهما، وعدم استطاعتهم الاستغناء عنهما، فهنا يشعر الأولاد بنعمة الله عز وجل متجسدة أمامهم، فيحسون بشعور يغمر قلوبهم تجاه الله عز وجل كأنهم يريدون أن يخاطبوه ويشكروه

(٧) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٨) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٩) سورة النحل، الآية: ١٤.

على ما أنعم به عليهم. وهنا يجيئ دور الوالد في توجيه الولد إلى الصراط السويّ لأداء الشكر لله تعالى، ويكون من أجله الاجتهاد في الاستقامة على منهجه، و لزوم الصراط المستقيم. وبهذا الأسلوب السهل يمكن للأب أن يشير إلى أيّ نعمة من النعم التي يدركها الولد، ويعرف أبعادها، فيبين فضل الله وكرمه، ثم يوجه الولد لشكرها.

"وعندما يقدم الأب لولده الصغير قبل سن التمييز تفاحة مثلاً، فإنه وقبل أن يعطيه إياها يقول له: "يا بنيّ هذه من عند الله"، ويشير إلى السماء، فإذا لم يسترسل الولد معه في أسئلة حول الموضوع، كأن يقول: "كيف جاءت من عند الله؟"، أو "هل هو أعطاك إياها؟"، فإن الأب يكتفي بما أشار به من أن هذه التفاحة من عند الله، ولا يربح أن حافظه الولد الصغير تسجل هذه المعلومة وتخزنها، ومع التكرار والتعويد تتركز المعاني وتترسخ في نفسه وقلبه. أما الطفل الأكبر سناً، أو الأكثر ذكاءً وفهماً والذي يحاول أن يعرف كيف وصلت هذه التفاحة إليه؟ وعن أي طريق؟ فإن الأب يبين له بعبارة سهلة ميسرة التسلسل المنطقي في مسيرة التفاحة من كونها بذرة صغيرة لاقيمة لها، حتى وصولها إلى الولد ثمرة حلوة لذينة، ويحاول الأب من خلال شرحه وبيانه أن يبرز ويشير إلى قدرة الله عز وجل ولطفه ورحمته من وراء هذه النعمة.

فيبين الأب لولده أن الفلاح وضع البذرة في الأرض الخصبة، ثم سقاها بالماء الذي أنزله الله من السماء، وأشرق عليها الشمس بأمر الله تبارك وتعالى لتدفع فيها الحياة والنشاط، حتى كبرت وأصبحت شجرة بعد أن كانت بذرة صغيرة، ثم بدأت بعد ذلك تثمر تقاحا حلو المذاق، ثم جاء الفلاح واقتطف هذه التفاحات من الشجرة، وغسلها، ثم وضعها في صندوق، وخرج بها إلى السوق ليبيعه للناس، فاشترت التفاحات منه بالمال الذي آتانيه الله، وقدمت بها إلى البيت، وهاهي التفاحة الجميلة بين يديك، ثم يعقب على هذا السرد الطويل بقوله: "أرأيت يا بني كيف أن الله يحبك؟ سخر لك الفلاح، والماء، والشمس، والأرض، وسخرني لك لأجلب هذه الثمرة إليك لتأكلها".

وبهذا الأسلوب يكون الوالد قد بذر في نفس ولده بذرة التأمل والتفكر في نعم الله من حوله، فإن كان هذا حاصلًا في التفاحة، فإنه حاصل أيضًا مع باقي الفواكه

والخضار، فيعمم الولد هذه القضية على باقي الأطعمة خاصة التي تنبت من الأرض لتشابهها بقصة التفاحة"^{١٠}.

ويختلف أسلوب الوالد مع الولد المميز، الذي قد حصل عن طريق المدرسة على شرح عملية الإنبات والتمثيل الضوئي، وهنا يبدأ معه بصورة مباشرة فيسأله مثلاً عن عملية التمثيل الضوئي وكيف تتم؟ فيسترسل الأب ذاكرةً ما تعلمه في المدرسة - وغالباً ما يكون تعليماً جافاً- من التفاعلات الكيميائية المختلفة التي تصاحب عملية الإنبات، من اشتراك الأرض، والماء، والشمس وغيرها في هذه العملية.

وهنا يحاول الأب الفطن أن يبرز جانب الغيب في هذه العملية، ويد الله التي تجلت في كل حركة من حركات هذا الكون، فيقول له: "يابني أرايت لو أن الله قطع عنا المطر أيمن أن يحدث تمثيل ضوئي؟"، فيقول الولد: "لا"، فيقول له: "ألم تعلم أن الله إذا غضب على الناس منعهم القطر، وحرّمهم الماء؟" فما الذي يجب أن يفعله الناس مع ربهم يابني؟"، فيجيبه الولد: "يجب عليهم أن يطيعوه ولايغضبوه"، وهنا حيث وصل الوالد إلى ما يريده من إحساس الولد بأهمية طاعة الله وشكره لتدوم نعمه وفضائله، يعقب على ذلك ببيان سبل إرضاء الله، والحصول على مغفرته ورضوانه من خلال التزام منهجه، وأوامره، واجتناب نواهيه، وما يسخطه. فإن سأله الولد على سبب إغداق النعم على غير المسلمين رغم عصيانهم لله ومخالفتهم لمنهجه، فإنه يبين له أن هذا من سنن الله عز وجل مع الناس الذين لاخلاق لهم في الآخرة، فإن الله يمدّهم بالنعم في الدنيا حتى إذا فرحوا بها جاءهم الهلاك العام والدمار والخسف في الدنيا والآخرة، ويتلو عليه قوله عز وجل "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ"^{١١}.

١٠) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.
١١) سورة الأنعام: الآية ٤٤

وبهذا البيان المستمر يكون الأب قد ركز في نفس ولده معرفة نعم الله تبارك وتعالى، وواجهه تجاه الله بالشكر والحمد والاستقامة، ورد شبهة كانت يمكن أن تشوش عليه يقينه وثقته بربه سبحانه وتعالى.

ويستعين الوالد ببعض الكتب المفيدة الجيدة المؤلفة في هذا الجانب فيقوم بتلخيص بعض موضوعاتها، ثم يعرضها على الأولاد بعبارة سهلة من وقت لآخر، مبينا بأسلوب فريد فضل الله ونعمه على خلقه، وعظيم قدرته^{١٢}.

٣- تذكير المراقبة لله تعالى في نفوس الأطفال:

ومما يعد من أهم جانب من جوانب التربية الإيمانية، وضرورة من ضرورياتها التربوية، هو جانب مراقبة الله، واستشعار معيته، وإحاطته بالإنسان وأعماله، حيث تعتبر هذه المراقبة ثمرة من ثمرات معرفة نعم الله الكثيرة على الإنسان، لما يقع في النفس من الشعور بالتقصير، والانكسار، والعجز عن كمال الشكر والحمد للمنع، مما يولد عند المؤمن الإحساس بالمراقبة لله عز وجل، ومحاولة الاجتهاد في الحمد والشكر بداوم الاستقامة على المنهج القويم. وقد تضمن القرآن كثيرا من الآيات المشيرة إلى هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى حاكيا عن لقمان الذي أرشد ولده إلى هذه المراقبة "يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير"^{١٣} ويقول أيضا "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"^{١٤}، فحتى الخواطر، والخطرات التي ترد على النفس يعلمها الله ويحيطها بها، ويقول سبحانه وتعالى "وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير"^{١٥}، أي: أن الله سبحانه وتعالى مع الإنسان أين ما كان بعلمه وقدرته وكمال إحاطته بخلقه.

١٢) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.
١٣) سورة لقمان رقم الآية: ١٦.
١٤) سورة: ق رقم الآية: ١٦.
١٥) سورة الحديد، الآية: ١٥.٤

وفي الحديث عند ما كان عبدالله بن عباس رضى الله عنه رديف النبي ﷺ على دابة حيث أراد عليه الصلاة والسلام أن يذكر في نفس ابن عمه الصغير هذا الجانب الهام فقال له: يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت: بلى فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه .

فبهذا الأسلوب القرآني والنبوي، يتعلق الولد بالله تبارك وتعالى، ويقطع جميع العلائق دون الله، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يسأل إلا الله، فيحفظ الله في خلواته، وعند قوته بتمام الاستقامة على منهجه، فيكون دائم المراقبة لله في الرخاء والشدة.

والأب يسعى دائماً بإشعار أولاده بمراقبة الله لهم في كل وقت وفي كل مكان، ويوقظ عندهم المسؤولية أمام الله، ويشعرهم بواجبهم تجاهه سبحانه وتعالى. وهذا يمكن تحقيقه خاصة مع الأولاد وهم في سن التمييز، إذ يمكنهم أن يفكروا بصورة مجردة، ويفهموا ويدركوا تلك المعاني.

ويستخدم الأب أسلوب الترغيب والترهيب لينمي في أولاده الرغبة والحب لله من جهة، والخشية والخوف من جهة أخرى، فيعيشوا بين الخوف والرجاء. ويلاحظ الأب عدم الإكثار من تخويف أولاده بعذاب الله بصفة مستمرة، خاصة إن لم يكن هناك مبرر لذلك، أو مناسبة للتذكير، بل يركز قدر الإمكان على جانب الترغيب ويعلق قلوب أولادهم بجانب الرجاء فهم أكثر حاجة إليه ورغبة فيه. وإن احتاج إلى الترهب الذي لا بد منه في بعض الأوقات، فعليه أن يستخدمه بأسلوب غير مباشر، فإذا قام الأولاد بعمل حسن محمود قال لهم: "إن الله سيحبهم من أجل هذا العمل ويدخلهم الجنة، وإنهم ليسوا كالأولاد الآخرين الذين يعملون السيئات، والذين

سيعذبهم الله بالنار"، وبهذا الأسلوب يكون الأب قد أثاب أولادهم على الفعل المحمود، وفي نفس الوقت حذرهم بصورة غير مباشرة من الفعل القبيح المذموم.

وفي مجال الترغيب والترهيب يمكن للوالد أن يعرض على أولاده الآيات والأحاديث في وصف الجنة والنار ففيها العبرة كلها، والموعظة البالغة التي تنمي في النفس الخشية من الله عز وجل، والرغبة فيما عنده، فيختار الأب الفطن من كتب الأحاديث الصحيحة أحاديث متنوعة في صفة الجنة وأثمارها وأثمارها وأهلها، سهلة العبارة ومفهومة المعنى، فيقرأها على أولاده في أوقات مختلفة ومتفاوتة، مراعيًا أن لا يكون ذهنهم منشغلاً عنه بشاغل، بل يتحين الفرص المناسبة التي يكون فيها الأولاد مقبلين عليه، فارغي الذهن من الملهيّات واللعب، فيعرض عليهم هذه الآيات والأحاديث موضعاً وشارحاً لها بأسلوب حسن سهل، مقتدياً في ذلك بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام في توجيهه لابن عباس في الحديث المتقدم.

وينهج الوالد مع أولاده أسلوب التذكير الدائم برقابة الله لهم، وعلمه سبحانه وتعالى بجميع أفعالهم وأقوالهم مستخدماً في ذلك طرقاً متنوعة، فإذا ترك الوالد ولده الصغير في غرفته منفرداً، أو في أيّ مكان بعيداً عن مراقبة الوالد وأهله، ذكره بمراقبة الله له، كأن يقول له: "يا بني أتعرف أن الله يراك؟"، فيجيبه الولد: "نعم يا أبي"، فيقول له الأب: "إذاً فماذا عليك أن تفعل؟"، فيرد عليه ابنه: "لا أفعل شيئاً يغضبه". وهنا يحتضنه الوالد، ويقبله مشعراً له برضاه عن إجابته الحسنة.

وبهذه الطريقة من التذكير الدائم بالأساليب المتنوعة تحصل لنفوس الأطفال شفافية وحساسية مرهفة، تنصدع خشية الله عندما تسمع ذكره، كما قال تعالى واصفاً هذا الصنف من الناس: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"^{١٦}

(١٦) سورة الأنفال الآية : ٢

أما الأولاد الكبار الذين قاربوا البلوغ، وأصبحت قدرتهم أكبر على فهم الأمور المجردة، وإدراك القضايا الغيبية بصورة أعمق، فإن الأب ينتهج معهم منهجاً آخر، فيسلك معهم الأسلوب المباشر فيخاطبهم بالآيات المباركات التي تركز على جانب مراقبة الله تبارك وتعالى فيتلوها عليهم مختاراً الأوقات المناسبة، خاصة بعد صلاة الفجر، حيث صفاء الذهن، ورقة الإحساس، وقلة الملهيّات والشواغل، فيتلو بعضاً من آيات الذكر الحكيم كأن يختار آيات من سورة "الأعراف"، أو خاتمة سورة "المؤمنون"، أو سورة "ق"، أو يختار بعض السور من الجزئين التاسع والعشرين والثلاثين من المصحف الشريف، مراعيّاً في تلاوته الخشوع والبكاء، فإن أثر التلاوة الخاشعة المصاحبة للبكاء أعظم في نفوس الأولاد، وأكبر وقعاً من مجرد التلاوة الجافة، فلا بأس أن يحسن الأب صوته بالتلاوة في خشوع، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن هذا القرآن نزل بحزن. فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تيبكوا فتابكوا". والمقصود هو إظهار الخشوع والحزن والبكاء عند التلاوة ليكون وقعها على النفس أشد فتأثر وتنصدع.

والأولاد الذين يشاهدون هذا التأثير على أبيهم لا شك يتأثرون، وكأن لسان حالهم يقول: "إن هذا الأمر الذي يبكي والدنا له أمر عظيم". وسوف يبقى في نفوسهم أثر هذا الخشوع، ويرتسم في مخيلتهم، حتى يكبروا وينضجوا، فيندوون حلاوة الإيمان، ولذة الخشوع، فيكون ذلك مدعاة لدوام استقامتهم، وتمام توفيقهم وسدادهم.

ويضيف الأب إلى آيات القرآن الكريم بعضاً من الأحاديث النبوية التي تركز على هذا الجانب، وتقويه في نفس المؤمن، ومن هذه الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام: لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان). أي إن علامة الطاعة، أو المعصية التي عملت في الخفاء بعيداً عن رقابة الناس يظهرها الله على صاحبها في سلوكه وتصرفاته بين الناس، فإن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وفي حديث آخر يكشف رسول الله ﷺ للناس حقيقة من حقائق عالم الغيب التي يهتز لها الوجدان، وينخلع لها القلب، عند تخيل حقيقتها وطبيعتها حيث

يقول: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً"^{١٧}.

ومن هنا نفهم: أنّ هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لا شك أنّ لها أثرها على نفوس الأولاد، حتى وإن لم يظهر ذلك في بادئ الأمر، فإنه يختزن في ذاكرتهم، ويُنقش في قلوبهم، ويظهر أثره عند مقاربة البلوغ وبعده على صورة رغبة وميل نحو التدين والتزام الإسلام. وقد كان بعض السلف من الصالحين يعلمون أولادهم كيف يستحضرون رقابة الله عليهم عن طريق ذكر الله بالقلب، فيعلمون أولادهم أن يقولوا: "الله معنا، الله يرانا، الله ناظرنا"، ويكررون ذلك مراراً دون تلفظ. وهذا الأسلوب إن استمر عليه الأولاد مكّنهم ذلك من استحضار مشاهدة الله لهم، ومراقبته لهم".

٤- تعريف الأطفال بعالم الملائكة:

ومن الواجب تعريفهم بخلق خاص لله تعالى خلقوا من نور وهم الملائكة ، وأوكل إليهم أعمالاً يقومون بها في هذا الكون، فالتسبيح والتمجيد لله عز وجل من أعظم أعمالهم، فهم العابدون لله دون كسل أو ملل كما وصفهم الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله بقوله تعالى: "وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ"^{١٨}، فهم دائمون على التسبيح لله عز وجل لا يملون من ذلك ولا يستكفون، فالتسبيح عندهم كالتنفس عند البشر، في أنه لا ينقطع أبداً.

ومسؤولية الوالد في هذا الجانب هي تعميق حقيقة وجود الملائكة في نفوس الأولاد، وإكسابهم يقيناً بوجود هذه المخلوقات العظيمة. ويكون نهج الوالد في تعميق هذه الحقيقة هو الاعتماد على القرآن الكريم، والآثار الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا

(١٧) رواه الترمذي رحمه الله .^{١٧}
(١٨) سورة الأنبياء الآيات ١٩، ٢٠.

الجانب الغيبي، فليس هناك طريق آخر لمعرفة هذه القضايا الغيبية سوى طريق الوحي المبارك من عند الله تبارك وتعالى.

فيبدأ الأب الحكيم ببيان حب الملائكة للمؤمنين، وأنها تستغفر لهم، كما أخبر بذلك الله عز وجل حيث قال: "وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ" ^{١٩}، فيشعر ابنه بحب الملائكة له، وأنهم يدعون له، ويطلبون له النجاة والفوز بالجنة، كما يخبره أنهم يحمونه مما يؤذيه، ومن كل ما يمكن أن يضره، فقد قال الله تعالى: "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" ^{٢٠}، فالمعقبات هم الملائكة الذين يتعاقبون على الناس بالليل والنهار، يحفظونهم بأمر الله عز وجل مما لم يكتب عليهم.

ويبين الأب لأولاده أن الملائكة هم الذين ينزلون بالوحي الذي تحيا به القلوب، ويهتدي به الناس، فكل أعمالهم لخير الناس وصلاحهم، وبهذا البيان يقع في نفوسهم حب الملائكة وموالاتهم، لما لهم من فضل وإحسان ومكرمة .

ويشير الأب معلماً أولاده أعمال الملائكة، خاصة المتعلقة بأحوال الناس، فيبين لهم أن الملائكة لا تفارق الناس إلا في أحوال خاصة، بل تلازمهم طول حياتهم منذ كونهم نطفة في رحم أمهاتهم حتى دخول الجنة أو النار، ويكتبون جميع أعمال العباد من خير أو شر، ويحثونهم على فعل الخيرات بما يوقعون في نفوسهم من عمل الفضيلة ونبذ الرذيلة واجتنابها.

"وإذا علم الولد أن كل حركاته وسكناته مسجلة عليه محصاة بصحائف الملائكة، وأنهم يرونه ويشاهدونه ويعاشرونه، فإنه إذا استشعر هذا الموقف شعر بضرورة الأدب مع هؤلاء الملائكة، والخجل من اقتراف المعصية أو الخطيئة، فيكون إيمانه بالملائكة حافزاً له لعمل الخير وترك الشر، وحصناً في خلواته من الوقوع في المنكر".

(١٩) سورة الشورى، الآية: ٥
(٢٠) سورة الرعد، الآية: ١١

ولا بأس أن يصف الأب لابنه المميز طبيعة خلق الملائكة، وشدة قوتهم، وعظم أجسامهم، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام"^{٢١}. أما في وصف قوتهم فيقول عليه الصلاة والسلام: "إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات والأرضين السبع بلقمة ل فعل، تسبيحه سبحانه حيث كنت"، وأما وصف عددهم وكثرتهم فيقول عليه الصلاة والسلام "أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"^{٢٢}.

فهذه الحقائق الصادقة عن طبيعة خلق الملائكة وعظم أجسامهم، وشدة قوتهم، وكثرة عددهم، إذا استقرت في نفوس الأولاد وتيقنوا بها، أحدثت في نفوسهم شفافية خاصة، وإحساساً مرهفاً نحو عالم الغيب والشهادة، فيستحضر من وقت لآخر تلك التصورات التي يتلقونها من والديهم عن عالم الملائكة، فيذهب فكرهم من وقت لآخر متخيلين هذه الحقائق الكونية الكبرى، فيسألون أباهم في بعض الأحيان عما يثقل عليهم إدراكه وتصوره، أو يسألونه عن ورود فكرة أو خاطرة ما على ذهنهم عن طبيعة هذه المخلوقات الجبارة، ويمكن للأب أن يجيبهم عن الأسئلة بالاستزادة من المعلومات حول الملائكة، فيمكن الرجوع إلى كتاب "الحبائك في أخبار الملائك" للإمام السيوطي، أو كتاب "عالم الملائكة الأبرار" لعمر الأشقر، ففيها الكفاية إن شاء الله، فقد جُمع فيهما عن أحوال الملائكة وطبيعتهم، وأعمالهم، ما لا تجمععه الكتب الأخرى.

فالأب يشعر أولادهم من وقت لآخر بوجود الملائكة، وإن تركهم في غرفتهم أو في مكان ما وحداناً، ذكّرهم برفقة الملائكة لهم، وأنهم يحصون عليهم أعمالهم، ويدونونها، وإذا شعر الأولاد خوفاً من الظلام، أو الوحدة، ذكّرهم بوجود الملائكة المحبين للمؤمنين يحفظونهم ويحمونهم مما يؤذيهم، فيشعر الأولاد بالأنس والاطمئنان.

(٢١) رواه أبو داود رحمه الله.
(٢٢) رواه الترمذي رحمه الله.

٥- ترغيب الأطفال في محبة الأنبياء:

ومما لا يشوبه شك، أن أحب خلق الله إلى الله هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فهم أولياؤه وخاصته وخيرته من خلقه اصطفاهم واختارهم من بين جميع خلقه، قال الله عز وجل: "اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"^{٢٣}، وقد هدد الله سبحانه وتعالى من يعاديهم، فقال: "مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ"^{٢٤}، فمن عاداهم يوصف بالكفر والجحود، كما أن من أحبهم ووالاهم يوصف بالإيمان والإسلام، بل إن معاداة نبي من الأنبياء هو كفر بالجميع ومعاداة للجميع. يقول ابن كثير رحمه الله: "فمن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، كما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل".

ولما كان حب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أعظم القربات إلى الله عز وجل، فإن مسؤولية الوالد تتجسد في تركيز حبهم وموالاتهم في صدور الأبناء مستغلاً ببيان فضلهم، ومنزلتهم، وكمالهم، فتتعلق قلوب الأولاد بهم حباً وولاءً ورحمة.

يعرف الوالد أولاده بالأنبياء الكرام عليهم السلام، وبمهامهم التي كلفهم الله القيام بها، مبيناً طبيعة شخصياتهم، وأنهم أكمل الناس خُلُقاً وخُلُقاً، فيحدث أبناءهم عن جمالهم، وكمالهم، وحسن صورهم، وطيب ريحهم، وكرمهم، وصبرهم على سوء خلق الناس وأذاهم وملامهم .

فيعرض الأب الفطن على أولادهم بعض قصصهم مع أقوامهم، وكيف لاقوا العنت، والتكذيب، رغم وضوح الأدلة وقيام الحجة، ويعرض الوالد هذه القصص عرضاً جذاباً شيقاً، مراعيّاً سن الولد، فإن كان صغيراً قبل التمييز اختار له الأب القصص القصيرة الموجزة، وإن كان كبيراً مميّزاً بسط له الوالد القصة وأطال سردها، مراعيّاً في كل هذا إبراز شخصيات الأنبياء في أكمل صورة، متجنباً الروايات الإسرائيلية

٢٣) سورة الحج الآية : ٧٥.

٢٤) سورة البقرة الآية: ٩٨.

الغريبة، والمنقولات الكاذبة ، والتي يمكن أن تحمل معاني لا تليق بمقام الأنبياء الكرام، ومراعياً أيضاً إبراز الصراع الدائر في هذه القصص بين الحق والباطل، مبيناً أن الأنبياء إنما أرسلوا لإقرار عقيدة التوحيد الخالص، والخلوص من الشرك بكل صورته، مشيراً إلى انقسام أقوامهم بين مصدق ومكذب، مؤمن وكافر، ثم يقر الحقيقة الكبرى، والسنة الجارية، في نهاية المطاف، بعد طول صبر وعناء، حيث يهلك المكذبون الكافرون، وهم الأكثر، وينجو وينتصر المؤمنون الصادقون وهم الأقل، موضحاً أن الحق لا يعرف بكثرة الناس أو قلتهم، بل يعرف بموافقته للوحي المنزل من الله تبارك وتعالى.

ويمكن للوالد أن يستعين في عرضه لقصص الأنبياء بكتاب "قصص الأنبياء" لابن كثير، وكتابه "البداية والنهاية" وكتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، وكتاب "الرسل والرسالات" لعمر الأشقر وغيرها من الكتب. ويكون أسلوب الوالد في العرض عن طريق تلخيص القصة من هذه الكتب القيّمة أو من أحدها، ثم عرضها على الأبناء . ولا يقرأ الأب مباشرة من المرجع، لصعوبة الأسلوب خاصة الكتب القديمة. ولا بأس بتزويد الابن القادر على القراءة ببعض قصص الأنبياء المؤلفة للصغار ككتاب "قصص النبيين" لأبي الحسن الندوي، وكتاب "أنبياء الله" لأحمد بهجت، وغيرهما، ومن وقت لآخر يناقش الأب ابنه فيما قرأ، ليتأكد أنه فهمه الفهم المطلوب، وتوصل إلى الهدف المنشود، والعبرة المقصودة من القصة.

٦- حثّ الأطفال على محبة نبيّنا محمّد ﷺ:

ويكون من الأحسن سرد بعض سيرة رسول الله ﷺ، وأحداث دعوته بالاهتمام الأكبر أمام الأطفال الصغار، فالحاجة لمعرفتها أعظم من الحاجة لمعرفة غيرها من السير والأحداث، لأن الناس مأمورون بالافتداء به، واتباعه، وهذا لا يتم إلا من خلال دراسة سيرته ومعرفة حياته المملوءة من خوارق العادات.

"وإرسال الرسول محمد ﷺ من أعظم منن الله عز وجل على عباده، فهو أفضل الرسل، وأحبهم إلى الله، وشريعته أكمل الشرائع، يقول الله تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"^{٢٥}، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، فبعثته أعظم رحمة على البشرية، وأكبر منة الله عز وجل على الناس، لهذا كان حبه وطاعته والأدب معه من أهم القضايا والأمور التي يهتم بها المرءون، ويسعون لإيجادها في نفوس أولادهم"^{٢٦}.

ومن المسلم به أنه إذا عُرفت شخصية الرسول ﷺ، وشمائله، وفضائله، فإن القلب يصبح أسير حبه، فيتعلق به تعلقا عظيما، ويفديه بالذات، والأهل والمال، والولد، وهذا هو الذي حدث للصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فقد ملك حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شغاف قلوبهم، فأصبح أحدهم يشفق عليه وهو عنده، وظهر حب الصحابة له في مواقف كثيرة ومن أعظمها في موقعة أحد التي هزم فيها المسلمون، فكان أحدهم يقف درعا واقيا لرسول الله ﷺ من سهام المشركين المكذبين، فيتلقى السهام كلها بصدرة أو ظهره.

وكما أن حبه عليه الصلاة والسلام ملك قلوب الصحابة، فكذلك كانت حال التابعين، فهذا ثابت البناني التابعي الجليل رضي الله عنه يقول لأنس بن مالك رضي الله عنه: "أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله ﷺ حتى أقبلهما".

ولا يكمل إيمان المسلم إلا بحبه عليه الصلاة والسلام، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين".

ومحبته عليه الصلاة والسلام من محبة الله عز وجل، فمن أحبه فقد أحب الله، لأن الله تعالى يحبه وأمر بحبه. وقد أمر الرسول ﷺ الآباء بأن يربوا أولادهم منذ صغرهم

٢٥) سورة آل عمران الآية : ١٦٤
٢٦) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.

على حبه، فقال: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن".

ولما كان الأمر بحبه على هذه الدرجة من الأهمية فإن واجب الوالد أن يوقع في نفوس أولاده حبه وعشقه وتعظيمه وإكرامه، ولعل أفضل الوسائل إلى ذلك سيرته، المتضمنة أوصافه المتوقّرة، وشخصيته المتميّزة، وشمائله المتحبّبة، وفضائله المستحسنة، التي ما يكاد يطلع عليها أحد إلا وتؤثر فيه، وتمتلك قلبه وذنه.

فيحاول الوالد الذكي أن يُعرّف أولاده بسيرته عليه الصلاة والسلام مستعينا بالكتب المؤلفة في هذا الجانب، ككتاب "السيرة النبوية" لابن هشام، وكذلك كتب الحديث، وبعض الكتب الحديثة التأليف، فيحضر الوالد من بعض هذه الكتب موضوعات متعلقة بشخصه عليه السلام، من التي تبرز أخلاقه، وفضائله، وصبره على الناس، وعفوه وصفحه عنهم، ويضاف إلى ذلك جوانب من سيرته في مكة والمدينة، والأحداث التي تخللت حياته، ويكون عرض الوالد ملخصاً دون سرد وتطويل مملّ ودون قراءة مباشرة من المرجع، ويعلق على المواقف الهامة، مبرزاً جوانب شخصيته عليه الصلاة والسلام حتى تتعلق قلوب الأولاد به ويحبه حبا كاملا .

ويشجع الوالد الصالح أولاده على حفظ بعض الأحاديث النبوية القصيرة السهلة والواضحة المعنى، والمتضمنة لبعض الأخلاق، والآداب النافعة للأطفال، وله أن يكافئ من أجاد الحفظ بهدية، أو نقود، فلا حرج في ذلك، فقد كان بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم يعطون أولادهم بعض النقود، ليشجعوهم على سماع الحديث وحفظه.

ويقص الأب على الأبناء بعض الروايات التي تبين حب الرسول ﷺ للأطفال الصغار، وكيف كان يعاملهم؟ خاصة ماورد عنه في حبه للحسن والحسين رضي الله عنهما، فيتعلق قلب الولد بسيرته الطريّة، وما نقل عنه، فيحاول أن يعرف كل شئ عنه، ويسعى ليقنّدي به في سلوكه وأخلاقه عليه الصلاة والسلام مدى حياته.

٧- تأديب الأطفال تجاه الرسول ﷺ :

من واجبات التخلُّق مع رسول الله ﷺ: الأدب بحضرته في حياته، ومع سنته وعند ذكر اسمه بعد وفاته، يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ"^{٢٧}، وقال أيضاً: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً"^{٢٨}، أي: لا يُنادى عليه الصلاة والسلام باسمه، بل يُنادى بأدب النبوة فيقال: يا نبي الله أو يا رسول الله، وهكذا ينادى اسمه مع تمام الاحترام .

فيعود الأب أو لادهم على هذا الأدب القرآني العظيم، فإذا سمع حديث رسول الله ﷺ يقرأ من كتاب، أو في المدياع، أمر الوالد الجميع بالصمت والإنصات لسماع الحديث، فيستشعر الأولاد منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام عند المسلمين.

ويعود أبناءهم على الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه، ويكون الوالد القدوة لهم في ذلك، فإذا سمع اسمه بادر بالصلاة والسلام عليه رافعاً بذلك صوته ليعلم الأولاد، ويتعلموا منه، وعليه أن يلاحظهم بعد ذلك فإذا أهمل أحدهم الصلاة والسلام على الرسول ﷺ نبهه، وبين له أن هذا فعل البخلاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: "البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليّ"، ويوضح له أمر الله عز وجل في هذا، فيذكره بقول الله تبارك وتعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً"^{٢٩}.

ويحث الأب أولاده على الإكثار من الصلاة والسلام عليه خاصة يوم الجمعة، واللييلة التي قبلها، لقوله عليه الصلاة والسلام: "أكثرها الصلاة علي يوم الجمعة ولييلة

٢٧) سورة الحجرات الآية: ٢.

٢٨) سورة النور الآية: ٦٣.

٢٩) سورة الأحزاب الآية: ٥.

الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرًا". ولا بأس أن يكافئ المكثّر من الصلاة والسّلام عليه من الأولاد فيثني عليه ويحمده ، ويعطيه هديةً أو نقوداً.

وبهذا التعظيم والإجلال والتبجيل لشخصية الرسول ﷺ، والتأدب معه، يمكن للأب أن يوقع في نفوس أولاده شعوراً خاصاً نحوه، فيتعودون الأدب مع سنته، ويظهرون تعظيمهم لها واتباعها إذا كبروا.

٨- ترسيخ عقيدة القضاء والقدر في قلوب الأطفال:

من علامات الحب لله، والتأدب معه تبارك وتعالى، الإيمان والتصديق بقضائه وقدره، والرضا بما كتبه على العبد في الأزل، دون اعتراض و تسخط. والناس في موضوع القضاء والقدر بين جاحد ومؤمن، مكذب ومصدق، ، يحاول البعض أن يدركوا بعقولهم القاصرة، وأفهامهم المحدودة كنهه وأبعاده، وهذا ليس من الممكن، فإن "القدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل"، وقد كان الرسول ﷺ ينهى عن الخوض فيه، فقد روي أنه خرج على أصحابه ذات مرة وهم يختصمون في القضاء والقدر، فغضب غضباً شديداً، وقال لهم: "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم"، فالخوض في هذا الموضوع بأسلوب التنازع، والتعارض أمر مذموم لا يحبه الله ورسوله.

أما البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح المبني على توجيهات القرآن الكريم والسنة المطهّرة، من باب البيان والتوضيح والتفهم، وكشف الشبهات، وإظهار الحقائق، فهو جائز غير مذموم، بل يندب إليه ويستحب.

وقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تبين وتوضح هذا الركن العظيم، مشيرة إلى أن ما يحدث في الكون عموماً من حركات، وسكنات، وخطرات، وإرادات، وأعمال، وخلق، وموت، وغيرها كل ذلك يحدث بمشيئة الله تبارك وتعالى، وعلمه السابق،

وتقديره لهذه الحوادث قبل وقوعها. قال تعالى: "وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا"^{٣٠} وقال تعالى: "وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا"^{٣١} وقال عز وجل: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"^{٣٢} ، "أي إنا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بكتابته في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، فهو كما كتب كمية وصورة وزماناً ومكاناً لا يتخلف في شيء من ذلك"، وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكل صغيرة وكبيرة قد دونت، وسجلت، ومحال منع حدوث ما قدر، أو إحداث ما لم يقدر ويكتب، فقد فرغ من ذلك".

"ولا يفهم من سابق التقدير والكتابة أن العباد مجبرون على أعمالهم وأفعالهم، وليس لهم خيار في ذلك، فلو صح هذا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لكان عذاب الله للعصاة ظلماً بغير حق، وبغير جرم اقترفوه، فهم قد سيروا إلى معاصيهم دون إرادة أو قصد، كما أن هذا التصور يستلزم الاعتقاد بأن إرسال الرسل، وإنزال الكتب من العتب، كما أن الوعظ، والتذكير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك من العتب والباطل الذي لا حاجة ولا نفع من ورائه، ولا يمكن أن يقول بهذا عاقل.

والصحيح الذي يجب اعتقاده، والإيمان به: أن الإسلام يثبت قضاء الله وقدره، وسيطرة الله مع علمه السابق على كل شيء، خلقاً وتديراً وتنظيماً، مع إثباته حرية الإنسان، ومسؤوليته التامة عن أفعاله الاختيارية واستحقاقه للثواب، وغير هذا الاعتقاد ضلال وزيف فإما الجبرية، وإما القدرية"^{٣٣}.

يقول الله سبحانه وتعالى مثبتاً مشيئة الإنسان ومسؤوليته عن أعماله وأفعاله: "وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ

٣٠) سورة الفرقان الآية : ٢

٣١) سورة الأحزاب الآية : ٣٨

٣٢) سورة القمر الآية : ٤٩

٣٣) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.

كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا"^{٣٤}، ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر من قرآنه المجيد : "فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"^{٣٥}، ويقول أيضاً: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"^{٣٦}، فالإنسان مخير بين الخير والشر، وبين ما يأتي وما يذر، ولكن اختياره هذا لا يتم فرضاً على الله، أو بعيداً عن إرادته سبحانه وتعالى ومشيبته النافذة في خلقه، بل يفعل الإنسان الخير أو الشر، بعلم الله السابق للحوادث، وتقديره وقضائه في الأزل، يقول الإمام البغوي رحمه الله موضحاً هذه المسألة من جانب آخر ليكمل بيانها: "الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خلق أعمال العباد، خيراً وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم... فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيبته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب".

هذا الاعتقاد بهذا المفهوم والتصور هو الذي يجب أن يعتقده الوالد المسلم في نفسه، ويبنه في روع أبنائه الكبار في مرحلة الطفولة المتأخرة الذين تشغلهم هذه المفاهيم، فيبسطها لهم، ويقربها إلى أفهامهم وأذهانهم .

"ويبين الإمام محمد الغزالي رحمه الله قضية القضاء والقدر، ويقربها إلى الأذهان بضرب مثل المرأة التي تصف ما يقف أمامها من الأشكال والمناظر دون أن يكون لها دخل في ذلك، فالحسن تظهره حسناً، والقبيح تظهره قبيحاً، ثم يقول: "كذلك صفحات العلم الإلهي ومرائيه لا تتصل بالأعمال اتصال تصريف وتحريك، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح، فهي تتبع العمل ولا يتبعها العمل".

ويتجنب الأب الفطن خوض هذه المفاهيم مع صغار الأطفال، أو مع الأولاد الذين لم تشغلهم هذه القضايا، ولم يسألوا عنها، لأن هذه المسألة من المسائل الشائكة، التي حارت فيها أذهان الجهابذة من بعض متقدمي العلماء، وشاروا في فهمها وإدراكها

٣٤) سورة الإسراء الآيات: ١٣، ١٤

٣٥) سورة يس الآية: ٥٤

٣٦) سورة البلد الآية: ١٠

ومعرفتها. ثم إن شغلت هذه المسألة أحد الأبناء، واشتبهت عليه مفاهيمها وسأل عنها، وجب على الوالد أن يوضحها حسب فهمه ، وعلى قدر ما يستوعبه الولد ويدركه.

ومن القضايا التي تؤثر على الأولاد أيضاً، ولها علاقة بالقضاء والقدر: مسألة الموت الذي تحار فيه العقول: ولا يصل إلى كنهه أحد. والأولاد الصغار في العادة يخافون من الموت، لما يرونه على أهليهم من الوحشة والكآبة عند وفاة أحد الأقارب، أو الجيران أو غيرهم. ويمكن تطمينهم في هذا الجانب بإشعارهم أن الموت خير لهم، وأنهم إذا ماتوا كانوا في الجنة مع أبيهم إبراهيم عليه السلام، فقد قال رسول الله ﷺ: "إن ذراري المؤمنين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام".

ويمكن للوالد أن يقرب لهم فكرة الموت بالنوم، فقد قرب لقمان عليه السلام لابنه مفهوم الموت بالنوم، فقال: "يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام كذلك تموت"، فيدرك الأولاد بذلك بعض القضايا المتعلقة بالموت، ولا ينبغي الكذب عليهم في مسائل الموت، ولا إغفال أسئلتهم، بل يجاب عنها بما يمكنهم أن يدركوه بعقلهم الصغير. كما يمكن للأب تبين مفهوم القضاء والقدر أيضاً في تخفيف حدة الشعور بالنقص عند الولد المصاب بعاهة جسدية تعيقه، كالشلل، أو التشوه، أو الكسر، أو غيرها، فيبين الوالد له أن ذلك بقضاء وقدر من الله ليجزيه على صبره أجراً، ويدخله الجنة، ويبين له ما فيه من المميزات الأخرى كالذكاء، والقدرة على الحفظ، وسرعة الفهم، وغيرها.

وهناك مسألة أخرى متعلقة بالقضاء والقدر، وهي الكوارث والحروب، والحوادث الطبيعية، وغيرها. حيث لا بد أن يدرك الولد أنها تحدث بقضاء وقدر من الله تبارك وتعالى، وتقدير سابق لوقوعها، وأنها بعيدة كل البعد عن مجال الصدفة، وإنما أنزلها الله وقدرها وأوقعها عقاباً وجزاء لعباده بسبب ما كسبته أيديهم. ولا بد للوالد أن يشير للولد دائماً إلى تقدير الله عز وجلّ خلف هذه الحوادث كالزلازل، والحرائق، والبراكين، والحروب، وغيرها، فهي تحدث إما عقاباً للعصاة المفرطين المكذّبين، أو ابتلاء للمؤمنين الصادقين لرفع درجاتهم وخطاياهم، فليس كل ما يحدث من

النكبات والكوارث ضاراً بالناس، بل ربما ضرراً بعضهم ونفع آخرين، والله في كل ذلك الحكمة البالغة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها من عباده.

٩- تربية الأطفال على الحب في الله والبغض فيه:

ومما يدل على حقيقة الإيمان بالله وبرسوله والانقياد لهذا الدين تحقيق معاني الولاء والبراء ومتطلباتهما من الحب في الله، والبغض في الله، وقد تضمن القرآن الكريم، والسنة المطهرة توجيهات كثيرة مباركة حول هذا الأصل العظيم من أصول الدين الحنيف، ومن هذه التوجيهات قول الله تبارك وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ" ^{٣٧}، وقول الله تعالى في حق أهل الكتاب: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" ^{٣٨}، فهاتان الآيتان، وغيرهما توجبان على المسلمين معاداة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وتوجبان أيضاً بغضهم ونفرتهم، وتحذران من موالاتهم والركون إليهم، فإن هذا الدين يدور حول هذا المعنى من الحب والبغض، وإلى ذلك أشار عليه الصلاة والسلام حيث قال: "وهل الدين إلا الحب والبغض".

فأصل الولاية: القرب والمحبة وضدّها العداوة، وأما العداوة فأصلها البغض، ولهذا كان تحقيق التوحيد هو: "البراءة من الشرك وأهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم"، ومن جهة أخرى حب المؤمنين وموالاتهم، فمن زعم الإيمان، ومحبة الله تبارك وتعالى، ومحبة رسوله ﷺ، طوبى ببغض الكفار، وحب المسلمين والمؤمنين، فإن من أحب لسبب لا بد أن يبغض لخصه، وفي هذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "إن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله ... ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لخصه، وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر".

٣٧) سورة النساء الآية: ١٤٤
٣٨) سورة المائدة الآية: ٥١

وإذا علم هذا المبدأ العظيم، وعرفت معالمه وحدوده، فإنه لا بد أن تتأصل في النشء الجديد معانيه ومتطلباته، وهذا دور الآباء الذين يدركون أهمية هذه القضية وأبعادها، وخطر التفريط في تحقيق متطلباتها وشروطها.

"وقد تظن أعداء الإسلام الألداء من المنصفين وغيرهم، إلى خطورة هذا المبدأ الإسلامي العظيم، فحاولوا جاهدين إشعار المسلمين أن النصارى ليسوا أعداء لهم، وأنهم يمكن أن يكونوا أصدقاء لهم. وبالغش والخداع يمكن أن يقتنع البسطاء من المسلمين الذين لم يدركوا أهداف أعداء الإسلام، ولم يدركوا مفاهيم دين الإسلام وبديهيته. ولاشك أن هذا يعود سببه إلى انحراف منهج التربية الذي تلقوه منذ الصغر ونشؤوا عليه. ولهذا فإن تعريف الولد بمن يجب عليه حبهم، ومن يجب عليه بغضهم يكون من خلال آيات الله في كتابه الكريم، ومن خلال السنة المطهرة، والواقع الذي يعيشه الكفار يعتبر هو الطريق الوحيد والأمثل لتركيز هذه المعاني في نفس الولد.

ويتحقق هذا من خلال تعريف الولد بأحوالهم، وما هم عليه من الشرك، إذ أنهم يعبدون مع الله غيره، وينسبون إليه الولد والشريك، ويقولون على الله الكذب. وفي بيان هذا الموضوع يحاول الأب أن يعرض على أولاده تلك الآيات وبعض الأحاديث في هذا الجانب ويضيف الأب في هذا الجانب تعريف الولد بمظاهر انحراف الكفار في السلوك، والأخلاق، والآداب العامة، فيبين له ما هم عليه من التفكك الأسري، وكيف أن الأب الكافر لا يحب أولاده، بل يبغضهم ويطردهم، وكيف أن الأب المسلم على عكس ذلك يحب أولاده، ويرعاهم، ويقدمهم على نفسه، ويحافظ عليهم، ويشير أيضاً إلى انحرافاتهم في الجانب السلوكي وانتشار الفواحش بينهم، وشرب الخمر، وتسلب بعضهم على بعض، وكثرة السرقات بينهم، وغير ذلك من أعمالهم ومخازيهم حتى يقع في نفس الولد كرههم وبغضهم وعداوتهم. ومن خلال القصص ينقل الأب إلى ولده صورة حية لطبيعة عداوتهم للمسلمين وانحرافهم، ومن هذه القصص ماورد

في سيرة الرسول ﷺ مع اليهود، وكيف أنهم خانوه وآذوه وتآمروا على قتله، رغم العهود والمواثيق، ففي هذه القصص كفاية لإظهار قبح طبعهم وخسة نفوسهم^{٣٩}.

ولا يغفل الوالد عن تعريف أولاده ببغض الله للكافرين وأنهم أعداؤه، وأن أوليائه هم المتقون، الذين يقومون على حدود الله، يمتثلون ما أمروا به، وينتهون عما نهوا عنه. فهذا الحب لأهل الطاعات، والبغض لأهل للمعاصي لا بد من وجوده في قلب المسلم، فإنه بقدر ما يضعف الحب والبغض في القلب بقدر ما يضعف الإيمان ويضمحل، ويحدد هذا المفهوم ويشرحه ابن تيمية رحمه الله فيقول: "وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي يوجب الله عليه، فإن لم يكن مبغضا لشيء من المحرمات أصلا لم يكن معه إيمان أصلا".

وإذا عرف الوالد الفطن خطورة هذه القضية، وأهمية الحب والبغض في الله، وأنها من أصل الإيمان وجب عليه أن يجاهد في توعيتها لأولاده بهذه المسألة، وأن يركز في نفوسهم وقلوبهم حب الخير وأهله، وبغض الشر وأهله، مستغلا كل الوسائل المشروعة في هذا المجال.

١٠ - تنبيه الأطفال على مكائد الكفرة:

فمن الواجب على الأب المسلم أن يبين أولادهم ما يحكيه أعداء الإسلام ضد المسلمين، ويحاول أن يبسط لهم الأفكار حسب أعمارهم وسعة إدراكهم، مستعينا في ذلك بما ورد عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ في فضحهم وتعريبتهم، فمما ورد عن الله عز وجل قوله تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ"^{٤٠}، وفي بيان شدة عداوتهم للمسلمين يقول الله تبارك وتعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ

^{٣٩} تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.
^{٤٠} سورة البقرة الآية: ١٠٩

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا"^{٤١}، وفي بيان هدفهم من السعي في تهويد المسلمين، أو تنصيرهم، ليكونوا على ملتهم وطريقتهم، يقول سبحانه وتعالى: "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ"^{٤٢}. هذه الآيات وغيرها كثير تفضح في الجملة أهداف الكفرة من أهل الكتاب، وغيرهم من المشركين، وتوضح سعيهم الحثيث ورغبتهم الأكيدة في إضلال المسلمين وإذلالهم، ومن ثم الفتك بهم والتداعي عليهم. أما ما ورد عن رسول الله في بيان أحوالهم، وكيدهم، ففي أحداث السيرة النبوية شواهد ووقائع كثيرة تبيّن وتعري أهدافهم الماكرة وأساليبهم الخبيثة.

ويبين الوالد لأبنائه واقع أكثر المسلمين اليوم، وما هم عليه من الانحراف والبعد عن حقيقة الإسلام، وكيف أن الكفار من اليهود والمجوس والنصارى وغيرهم كانوا وراء هذا الواقع الأليم، ويوضح تسلطهم على رقاب المسلمين الأبرياء في كثير من البلدان، وفي مقدمتها أرض فلسطين المحتلة، وعراق، وأفغانستان، وليبيا، وبرما وغيرها من بلاد المسلمين التي تسلط عليها الأعداء قهرا بالاستعمار أو الغزو الفكري، ويبين لهم ما يعانونه من الآلام، وما يتحملونه من التهديدات، وما يتجرعونه من أصناف العذاب، وكيف أنه تحقق فيهم خبر رسول الله الصادق المصدوق ﷺ إذ قال فيما رواه عنه ثوبان رضي الله تعالى عنه: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت". وهذا الذي وقع بالفعل في قلوب المسلمين فلم يعودوا يرغبون في الآخرة كما كان سلفهم، وأصبح حب الدنيا يعمر صدورهم. فتسلط عليهم الأعداء من كل صوب وحذب، حتى إن أضعف الدول الكافرة أصبح لها نفوذ وسلطة في بعض ديار المسلمين.

وليس ثمة حل لهذه المشكلة التي تعيشها الأمة سوى تربية جيل جيّد صالح متشبع بالإيمان اعتقاداً وعملاً، لا يخاف الموت في سبيل الله، ولا يكرهه، بل يرغب فيه

(٤١) سورة المائدة الآية: ٨٢

(٤٢) سورة البقرة الآية: ١٢٠

ويطلبه، وهذا ما يوقع المخافة في صدور الأعداء ويزلزلهم، وهذا لا يحصل إلا بالتربية الإسلامية، والمتابعة للأبناء، وتوعيتهم بأحوال المسلمين، وإشعال الحماسة في صدورهم، وإظهار الحزن والأسى على أحوال المسلمين، فإن الاهتمام بأمر المسلمين من الواجبات، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

فالأطفال يحكي لهم الوالد الأحداث التي تقع على بعض المسلمين في العالم الإسلامي بصورة سهلة يمكن للصغير إدراكها، كأن يقول: "هل تعرفون يا أولاد ماذا حدث لإخوانكم الصغار وآبائهم في برما وفي فلسطين؟ لقد جاءهم الكفار وهجموا على ديارهم وهدموا البيوت وأخرجوا الأطفال الصغار أمثالكم وضربوهم وقتلوا بعضهم"، فيسأله الأولاد: "لماذا فعلوا هذا"، فيجيبهم: "لأنهم كفار لا يحبون المسلمين ويريدونهم ألا يكونوا مسلمين"، ويلهب حماسهم بهذا الأسلوب ويدفعهم إلى التبرع والدعاء لهم ليكون ذلك أدل على تأثرهم بالأحداث والوقائع.

ولمزيد من التوعية للأبناء الكبار يضع الأب بين أيديهم بعض الكتب الإسلامية التي تتحدث عن الغزو الفكري، ويساعدهم على قراءتها وفهمها، وذلك ليقف الولد على صورة حية متكاملة للواقع الأليم الذي تعيشه الأمة الإسلامية، ومن ثم يعرف واجبه ومسؤولياته تجاه هذا الواقع، وكيفية التغيير إلى الأفضل، والأحسن، والأصلح، ومن هذه الكتب: كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" لثاتليه، وكتاب "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، وكتاب "أفيقوا أيها المسلمون" للدكتور عبد الودود شلبي، وكتاب "وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي" لحسان محمد حسان، وكتاب "حصوننا مهددة من داخلها" للأستاذ محمد حسين، وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا المجال.

ولا يكتفي الوالد ويقتصر في توعية أبنائه على جانب الكتب والرسالات والمجلات والمعلومات التي يخبرهم بها، بل يسارع في اصطحاب أبنائهم الكبار خاصة إلى المحاضرات والندوات العامة التي تقيمها بعض الإدارات والهيئات الإسلامية في

المساجد، أو المدارس أو الأندية الثقافية، أو قاعات المحاضرات الكبرى في المدينة، حيث يسمع بأذنه من العلماء المسلمين العاملين، ويعيش في جو من الألفة مع المحاضرين، ويتزود بزاد العلم، ويقف على أخبار وأحوال المسلمين في العالم، وحضور الأبناء في مثل هذه المنتديات الفكرية يلهب في نفوسهم الحماس، ويشعرهم أنهم ليسوا الوحيديين المهتمين بأمور المسلمين في العالم، بل هناك غيرهم كثير يمكن أن يتكاتفوا معهم ويكونوا يدا واحدة على أعداء الإسلام، فتنبعث في نفوسهم الآمال، وتتلعج بذلك صدورهم، ويعلمون أن في الأمة خيرا يمكن أن ينمو ويغير الواقع المر إلى ما هو خيرا وأحسن وأفضل.

كما يمكن للوالد أن يكون لديه في البيت مكتبة صوتية صغيرة بجانب المكتبة الخاصة بالكتب والجرائد والمجلات الإسلامية، فيضع أمام أبنائه تشكيلة من الأشرطة المسجلة التي تفضح خطط الأعداء، وتعري أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، وبذلك تكمل توعية الأولاد بكيد الكفار وأساليبهم الخبيثة ومكائدهم الغامضة.

ثانيا : التربية الخلقية :

ويراد بالتربية الخلقية : مجموعة المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفا وإلى أن يتدرج شابا وإلى أن يخوض خضم الحياة . فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له، والاعتماد عليه ، والاستعانة به، والتسليم لجناحه فيما ينوب ويروع ...تصبح عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة والاعتقاد على خلق فاضل كريم لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته...كل ذلك بات حائلا بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة. بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه وصفاته. روى الترمذي عن أيوب بن موسى عن

أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال "مانحل والد ولدا من نُحْلِ أفضل من أدب حسن" ويؤخذ من هذا أن على المربين - ولاسيما الآباء والأمهات - مسؤولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق. أما القرآن الكريم فقد وضع دستوراً كبيراً للأخلاق والآداب في جميع نواحي الحياة الإنسانية، ولم يترك جانباً منها إلا وكان له فيه توجيه خاص وإرشاد جيد.

ومن هذه الإرشادات القرآنية المباركة في حقل التربية الخلقية للأولاد قول الله تبارك وتعالى "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"^{٤٣} وقوله عز وجل "يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ* يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ* وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"^{٤٤} فهذه الآيات الكريمة اشتملت على دستور شامل كامل من الأخلاق الرفيعة، حيث بدأت بحق الله تبارك وتعالى، لأنه أعظم الحقوق وأجلها، فأمرت بإخلاص العبادة، والنهي عن الشرك الذي هو أعظم الذنوب وأكبرها، ثم تضع هذه الآيات الابن في مجال المراقبة الصارمة الكاملة على جميع تحركاته ونشاطاته، فتبين أن الله لا يخفى عليه شيء في هذا الكون الفسيح، مما يوحي للولد بتمام وقوعه تحت بصر الله وسمعه ومراقبته الكاملة.

وهكذا القرآن الكريم في آيات قليلة يضع دستوراً متكاملًا من الأخلاق والآداب الاجتماعية والفردية مع الله تبارك وتعالى، ومع كل ذي حق من الناس فيعيش الولد في هذه الحياة وقد تبين له الصواب الصحيح من الخطأ الصريح، فيعرف الهدف من الحياة فلا يكون هماً ضائعاً بلا نظام يقوده ويقوم سلوكه ويوجهه. وقد تضمنت أحاديث نبوية آداباً وأخلاقاً وإرشادات وتوجيهات كثيرة في هذا المجال، يقول عليه

٤٣) سورة لقمان الآية: ١٣.
٤٤) سورة لقمان الآيات: ١٦-١٩.

الصلاة والسلام مبيناً منزلة الأخلاق الحسنة في الإسلام: "إن الرجل ليبدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل وصائم النهار"

ولتكون التربية الخلقية راسخة في قلوب الأطفال لا بدّ من المحافظة على بعض الخصال ومن أهمّها ما يأتي:

(١) تعويد الأطفال على كراهية الكذب:

الكذب من الأخلاق المذمومة، حيث قال الله تعالى في قرآنه المجيد مادحاً عباده الأتقياء بأنهم يجتنبون الكذب "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ"^{٤٥}، والزور هو الكذب كما فسره ابن جريج رحمه الله، وفي الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک قال عليه الصلاة والسلام "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار"^{٤٦}.

ولما كان الكذب من الأخلاق المذمومة المنقّرة، فإن اهتمام الأب المسلم الواعي بتخليص أولاده من شرّه يعتبر أمراً هاماً جداً، والأب المسلم يعوّد أولادهم الصدق من أول حياتهم، ويجنبهم الكذب في جميع الأحوال فإن "الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها"، فلو تعود الأولاد الصدق كان لهم أساساً لباقي الحسنات والأعمال الصالحة، وأعظمها الإخلاص لله تعالى، ولو تعودوا الكذب كان لهم أساساً وقاعدة لجميع السيئات والقبائح، وعلى رأسها النفاق الذي يقوم على الكذب والخيانة.

فالوالد الصالح يعوّد أولاده على الصدق منذ نعومة أظفارهم في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وخطراتهم وضرهم و سفرهم ويلاحظهم في جميع هذه الحالات، لئلا يميلوا شيئاً فشيئاً إلى الكذب، ويحثهم على قول الصدق وإن كان مرّاً، ويذكّرهم قوله تعالى مادحاً نبيه إدريس عليه وعلى نبينا ألف سلام حيث قال تبارك وتعالى " واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً" وينبّههم على قول ابن عباس

(٤٥) سورة الفرقان الآية: ٧٢
(٤٦) رواه البيهقي رحمه الله.

رضي الله عنه "أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر
"ويخبرهم ما جاء في الأحاديث الشريفة من فضائل الصدق وهديه إلى البر وصاحبه
أخيرا إلى جنات النعيم، ففي الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و
سلم أنه قال "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا
يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن
الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى
الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"

ومما لا شك فيه أن هذه القضية مهمة جداً، لا سيما في العائلة الفقيرة التي لا تستطيع
أن تحقق لأبنائها جميع متطلباتهم، فلا يكن الوالد غافلا عن هذا، بل يسعى ما في
وسعه ويجتهد، ثم التوكل على الله عز وجل فإنه هو المستعان.

٢) حماية الأطفال من قبيحة السرقة:

السرقة تعد من الأعمال القبيحة التي نهت عنها الشريعة الإسلامية، وشدّد فيها
الشارع الحد بقطع الأيدي في دار الدنيا، أما في الآخرة فعذابها أشد وأعظم، قال الله
تبارك وتعالى في محكم تنزيله: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا
نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"^{٤٧} ، وذلك لأن في السرقة امتلاكاً لمتاع الغير بغير
حق، وإضراراً بالآخرين، إلى جانب ترويع الناس وإضاعة الأمن والسكون .

فالأولاد الذين يتعودون السرقة صغاراً ربما اقتترفوها كباراً، لهذا وجب على الوالد
أن يتولى تدريب أولاده منذ نعومة أظفارهم على احترام خصوصيات إخوتهم
وأقربائهم والجيران متخذاً في ذلك الأساليب التربوية المختلفة في إفهام الولد حدود
ملكيتهم وأن الأغراض والألعاب الموجودة في غير غرفتهم، أو الموجودة في غير
خزنتهم لا تخصهم ولا يجوز لهم أخذها إلا برضا صاحبها وإذنه، فيدرب الأب
الأولاد على أن يستأذنوا من بعضهم البعض عند رغبة أحدهم في أخذ شيء من

(٤٧) سورة المائدة الآية: ٣٨

خصوصيات الغير وأعباه. فإن أخطأ أحدهم فلم يستأذن نصحه ونبيه وأرشده، وأمره بالاعتذار وعدم العودة.

والسرقة في أمر الأطفال الصغار وإن كانت تُعدّ أمراً حقيراً لكنّ مآلها يكون إلى الندم والظلم ، فعلى الأب الفطن أن يسارع بالمعالجة المناسبة إذا بدا من الأبناء آثارها وأماراتها، فهذه داء عضال لا تكون فيه الشفاء إذا كان العلاج متأخراً، فينبغي للوالد أن يعمل بالحكمة، وينتهج منهج النبي ﷺ في هذا المجال، ويسلك مسلك الشريعة الإسلامية، ولا يضربهم الأب ولا يشتمهم ولا يلومهم ولا يوعدهم في أول مرة بل ينصحهم ويعظهم ويوجههم إلى طريق السويّ بأسلوب حكيم، "فقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه في المسند أن غلاماً كان يرمي النخل ويأكل منها، فشكوه إلى الرسول ﷺ فسأله عن ذلك فاعترف أنه يأكل منها، فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن مسح رأسه ودعا له، ونهاه أن يعود لذلك، وأمره أن يأكل مما يسقط من النخل دون أن يرمي" ففي هذه الواقعة يجمع الرسول ﷺ بين العاطفة على الطفل والحنو عليه فيمسح رأسه، وبين الأمر بترك هذا السلوك القبيح دون زجر شديد أو تقبيح، رغم أن أناساً شكوه عليه، إذ كان المتوقع أن تصدر عقوبة بحقه، وغرامة على ما أتلف من النخل، لكن معالجة النبي ﷺ المناسبة للوقت أدت إلى تركه هذا الفعل القبيح وارتداعه عنه، وهكذا ينبغي للوالد أن يعمل ما يراه من الحكمة في حماية أولاده من السرقة وغيرها من الأخلاق الرذيلة الفضيحة .

٣) التأكيد على خلق الحياء في تربية الأطفال:

وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح الحياء، والتأكيد عليه، والثناء على أهله، فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه "أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله - ﷺ "دعه فإن الحياء من الإيمان"، وفي حديث آخر امتدحه النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فقال: "لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء"، فمدحهُ عليه السلام له دليل على أن الاتصاف بهذا الخلق أمر محبوب، ومندوب إليه، كما أن من تجرد من هذا الخلق ليس معه من الإنسانية إلا صورة اللحم والدم، كما أنه

"ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُوف بالوعد، ولم يُقر الضيف، ولم يؤد الأمانة، ولميستر العورة، ولا يمتنع عن فاحشة"، فالإتصاف بخلق الحياء يدعو صاحبه إلى التحلي بالفضائل والمكارم والمحاسن، وترك الرذائل والقبائح، وذلك لما يشعر به الإنسان في نفسه من الاستحياء من الله، أو من الناس، وكراهة أن يشاهد في حال غير لائقة به. ويعرّف الإمام الجنيد الحياء فيقول: "الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق"، فالذي يرى تقصيره في جنب الله عز وجل ويرى ويشاهد نعمه التي لا تحصى مع وجود هذا التقصير فإن الحياء يحصل هنا بسبب هذا النظر والتفكير، فيمنع صاحبه من مواجهة القبائح والرذائل استحياء من الله المنعم المتفضل.

"ولهذا يستدل مسكويه على نجابة الصبي بكثرة حيائه وأدبه مع الكبار، وعدم التحديق في وجوههم بطرفه، بل تراه مطرقاً نظره إلى الأرض" وفي هذا يقول بعض الحكماء "الحياء في الصبي يدل على العقل"، وهذا الصنف من الصبيان ينفع الكلام معهم والذم عند الإساءة، فسرعان ما يخلجون ويقلعون عن الأمر القبيح، ويندمون على فعله ويقبلون على تركه أما الصنف الآخر من الأطفال الذين جبلوا على الاستخفاف بالكرامة، وقلة الحياء والأدب، فإن تربيتهم تكون صعبة لا محالة يحتاج معها المربي إلى التخويف والتهديد والعقاب بالضرب وغيره عند الإساءة إذا تطلب الأمر.

وينبغي للأب أن يعلم الفرق بين الخجل المذموم الذي يحجب صاحبه عن ملاقة الناس وتكلمهم وخطابتهم والاختلاط بهم ومعاملتهم والمهابة منهم لغير سبب، وبين هذا الحياء المحمود الذي كان من خلق المصطفى عليه الصلاة والسلام ومنسجيته وطبعه حيث كان "أشد حياء من العذراء في خدرها".

ويمكن للوالد أن يبدأ في تنمية جانب الحياء في أولاده منذ طفولتهم، حيث تظهر على الأولاد علامات الحياء منذ الشهر الرابع تقريباً، ويكون واضحاً في طبعهم عند

اكتمال السنة فإن أظهر الأولاد أدباً أمام الكبار، وحياء من التحدث بحضرتهم لغير حاجة أقرهم الوالد على ذلك وحثهم عليه وكافأهم أما إذا ظهر عليهم إحجام عن مجالسة الناس، وخوف منهم لغير سبب، وتهرب من مخالطتهم، فإن هذا السلوك يحتاج إلى علاج، وليس هو من الحياء المحمود بل هو من الخجل المذموم، ويكون دور الوالد في معالجة ذلك من خلال تدريبهم على مخالطة الناس شيئاً فشيئاً دون جبر وقهر، وتوطينهم على التزام الأدب والحياء دائماً حتى عند الإساءة، فإن عابهم أحد أقرانهم، أو شتمهم لم يردوا عليه بالمثل بل يشعروهم بأنهم أولاد مؤدبون لا يمكن أن يتلفظوا بمثل هذا، ويعمل الأب قدر الإمكان أن يجنب أولاده مخالطة الأطفال غير المؤدبين، والذين يمكن أن تصدر منهم أعمال تدل على قلة الحياء، وسوء الأدب، فإن أهمل ذلك تأثروا بهم لا محالة.

٤) تحذير الأطفال من خلق البخل:

ومن التربية الخلقية تحذير الأطفال من خلق البخل، فقد ذم الله سبحانه وتعالى البخل وتوعد عليه بالعذاب، وذلك لما فيه من عدم مبالاة بالمحتاجين وأصحاب الحقوق، وخساسة في طبع صاحبه، وأنانية في نفسه، فقال الله تبارك وتعالى: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^{٤٨}، ويقول أيضاً: "وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"^{٤٩}. وقد جاء في السنة المطهرة بمثل ما جاء في القرآن الكريم من ذم البخل وصاحبه، فقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا"^{٥٠} فنهاية الاسترسال في البخل، وعدم إخراج الحق الذي عليه، يسوق صاحبه إلى الفجور والكذب وغضب الله تبارك وتعالى. ولهذا كانت محاربة الطبع القبيح منذ الطفولة أمراً هاماً خشية أن يتأصل في نفوس الأطفال إذا ظهرت علامته عندهم فيصعب

٤٨) آل عمران الآية: ١٨٠.

٤٩) التغابن الآية: ١٦.

٥٠) أخرجه النسائي رحمه الله.

تخلصهم منه في الكبر، فالمحافظة على الأطفال وحمايتهم من هذه الصفة واجب على الوالد.

ومن الأسباب التي تسوق الأولاد إلى اعتياد هذا الطبع القبيح: التعود على ادخارهم لكل ما يملكون دون أي إنفاق، فالأطفال الذين لا يتعودون العطاء والبذل منذ صغرهم يصعب عليهم تعودهم في كبرهم، ويمكن للوالد تعويد أولادهم الإنفاق عن طريق حثهم للتبرع للهيئات الإسلامية وللجمعيات الخيرية، - مثلاً - فتنمو عندهم روح المسؤولية تجاه المجتمع، ويتدربون على الإنفاق فإن علاج أمراض القلوب إنما يكون بالمداومة على ضدها، فالبخل يعالج بضده من البذل والإنفاق، كما يمكن للوالد إشراك أولادهم في الإنفاق في بعض مشتريات البيت واحتياجاته الصغيرة، فيتدربون على الإنفاق ويتعودون البذل. ويحاول الوالد أن يذم أمامهم البخل والشح، ليتكون عند الأولاد التصور النظري لقبح هذه العادة وأهلها. والأطفال يمكنهم أن يتعلموا الإنفاق عندما يشاهدون والدهم في بعض الأوقات يخرج من جيبه نقوداً فيعطيها فقيراً أو محتاجاً أو مفلساً، فربما قلدوا أباهم في ذلك، ولا بأس أن يعطي الأب أولادهم بعض النقود ويكلفهم بالتصدق بها على بعض المحتاجين في المسجد مثلاً أو السوق أو الطريق، ويحاول الوالد في كل هذا أن يظهر لأولاده أن هذا الإنفاق وإعطاء المحتاجين من الناس واجب وليس فضلاً من المنفق، وذلك يحميهم من الشعور بالزهو والافتخار لإنفاقهم، فإنهم إن خرجوا من صفة البخل بإنفاقهم وقعوا في صفة الكبر الذميمة بزهوهم وافتخارهم.

فإن ظهر من الأطفال شيء من علامات البخل وحب جمع المال، فإن دور الوالد في ذلك التخفيف من حدة هذا الحب شيئاً فشيئاً حتى يستأصله بالكلية من نفوسهم، فيذم عندهم البخلاء، ويمتدح عندهم المنفقين، كما تقدم. ولو فعل ذلك بطريقة غير مباشرة كان أفضل وأحسن، كأن يمدح أمامهم أحدهم الذي أخرج بعض نقوده تبرعاً للمجاهدين في سبيل الله، أو أن يذكر عندهم جارهم الذي أعطى أحد الفقراء بعض مصروفه اليومي، أو يقص عليهم قصة ولد أعطى إخوته بعض ألعابه وهكذا، فهذه

القصص والوقائع إذا ذكرت أمامهم دفعتهم لأن يسلكوا سبلهم ويقتدوا بهم. فإن أظهر أحد أبنائه شيئاً من الجود ولو كان يسيراً فإن الأب يثيبه عليه، ويمدحه عند أقاربه وأصدقائه، فيحس الأولاد كلهم أن هذا العمل حسن، فيتعودونه ويواظبون عليه.

ولتشجيع الأبناء على الإنفاق يمكن للوالد في بعض الأحيان عندما يجلس لأولاده ويحدثهم أن يسألهم: "من تصدق منكم اليوم على فقير أو مسكين؟" ربما في المرة الأولى لن يجيبه أحد منهم، ولكن عندما يعلمون أن والدهم سوف يسألهم ثانية فإنهم عند ذلك يسارعون للبذل والإنفاق، وقد ثبت انتهاج هذا الأسلوب عن الرسول ﷺ مع أصحابه الكرام فقد سألهم يوماً فقال: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟" قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله - ﷺ -: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"، فيمكن للأب استعمال هذا الأسلوب مع أولاده ليس في جانب الإنفاق فقط بل في جميع أعمال الخير ليعودهم فعل الخير.

ويلاحظ الأب في حث أولاده على الإنفاق أن لا يدفعهم ذلك إلى التبذير المنهي عنه، فقد قال الله عزوجل: "إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا"^{٥١}، فكلا الطرفين مذموم بل يؤدبهم بأدب القرآن الكريم في قوله تعالى "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"^{٥٢}.

ولا يقتصر تعويد الأب أولاده على الإنفاق أن يكون فقط على الفقراء والمحتاجين، بل يعودهم السخاء في جميع أحوالهم كأن ينفقوا على نفوسهم بشراء ما يحبونه من الحلوى مثلاً، وإعطاء الإخوة والأخوات مما يملكون من النقود أو الألعاب والحلوى وغيرها، فتعويدهم السخاء في هذا يهذب نفوسهم ويحصل لهم الاعتدال، فلا يكونوا أنانيين لا يفكرون إلا في ملذاتهم ونفوسهم، ولا يكونوا أيضاً مهملين لذاتهم غافلين عنها.

٥١) الإسراء: ٢٧
٥٢) الفرقان: ٦٧

٥) تهذيب خلق الغضب عند الأطفال:

ومن التربية الخلقية، تهذيب خلق الغضب عند الأولاد، وذلك أنّ الإنسان يتصف بطبيعته البشرية الضعيفة بصفة الغضب في بعض الأوقات، فتظهر علامات الغضب على صاحبه من ارتفاع في الأصوات، وحمرة في الوجه والعينين، وانتفاخ للأوداج. والغضب كغيره من الأحوال لا يُذم كَلِّه، ولا يُحمد كَلِّه، فلو أزيل الغضب بالكلية ما استطاع الإنسان أن يدافع عن شرفه، ولا عن نفسه، ولا عن وطنه، فهو في بعض الأحيان يكون محموداً خاصة عند انتهاك حرّامات الله، وظهور المعاصي والمنكرات فإن الغضب لله محمود وغير ممقوت في هذه المواطن الخاصة.

أمّا الغضب المذموم هو الذي يكون لغير الله تعالى، أي لحظ النفس والهوى، فهذا النوع هو الذي ورد في القرآن الكريم والسنة المطهّرة بالنهي عنه، والأمر بكظمه وعدم إظهاره أمام الناس، قال الله تبارك وتعالى: "وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"^{٥٣}، فكظم الغيظ في رضى الله وسبيله أمر مندوب إليه ومستحب يتصف به المحسنون الصادقون .

وقد جاءت السنة المطهّرة بتوضيح هذا النوع من الغضب المذموم فقد روى الإمام أحمد رحمه الله في المسند من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض. ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب، سريع الرضا وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا"، ففي الحديث الشريف إشارة إلى تحول منظر الغضب من الحسن إلى القبح فالأقبح، إلى جانب تلك الحرارة التي يصفها النبي صلى الله عليه وسلّم بالجمرة تشتعل في داخل الإنسان، فتظهر حرارتها على بدنه من حمرة في عينيه، وانتفاخ أوداجه. والغضب موجود عند الأولاد الصغار يبدأ منذ ستة أشهر تقريباً، والذكور من الأطفال أكثر ميلاً إلى الغضب من الإناث، وهو يظهر على

٥٣) سورة آل عمران: ١٣٤

الأطفال بصور مختلفة ومتنوعة حسب سنهم، فالأطفال في الثالثة مثلاً يظهرون غضبهم أحياناً بكثرة البكاء، والضرب على الأرض بالأقدام، وربما قذفوا أغراضهم.. أما الأطفال في التاسعة فيتخذون موقفاً سلبياً عند الغضب فيرفضون الأكل، وينزويون في غرفهم مع إظهار علامات عدم الرضا والتسخط عليه، ولا ينبغي للوالد أن ينجرف وراء العاطفة، فينصاع لرغبات ابنه عند غضبه، فيلبي له كل ما يشاء فلا يعرف الابن سوى الصراخ والعيويل إذا أراد أن يتحقق له أمر ما، فإذا تعود الابن هذا السلوك أصبح من الصعب عليه مستقبلاً أن يحتمل فوات رغباته، وعدم تحقق حاجاته فيصطدم بمشكلات الحياة المتنوعة، وهذا صعب جداً بعد النضج.

ودور الآباء في هذه القضية هام جداً، إذ إن الأولاد يتعلمون من الوالدين وأفراد الأسرة الباقين السلوك الانفعالي، فيقلدونهم في ذلك، والذي يجب على الآباء هو حماية الأبناء من مشاهدة أشخاص في حالة الانفعال الشديد خاصة من هم قذوة لهم مثل الأب والأم والإخوة والأخوات وغيرهم، فسرعان ما يلتقط الأولاد سلوكهم ويقلدونهم، فيعمل الوالد قدر الإمكان على أن يظهر أمام الأبناء بمظهر لائق منضبط الانفعال، وأن يأمر بذلك باقي الأسرة، وأن يعمل قدر المستطاع على تجنب الأبناء ما يثيرهم ويغضبهم مثل الجوع والعطش والمرض، ويحاول أن يكون لهم جو من الهدوء والسكينة فإن حدث شيء مما يبغض الأولاد كان الحل هو تسكين غضبهم بكل هدوء دون أن يثور الأب معهم، فيتخذ تدابير السنة المطهرة في ذلك، فيأمر الأولاد أولاً بالسكوت إذا غضبوا، وعدم الاسترسال، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إذا غضب أحدكم فليسكت"، وبعد أن يسكتوا يأمرهم بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، فقد قال عليه الصلاة والسلام عندما غضب رجل في مجلسه: "إني لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، فيأمرهم بهذه الكلمة المباركة، فإن قالوها ذهب عنهم ما يجدون من الإثارة والانفعال بإذن الله سبحانه وتعالى، ثم يحاول الأب بعد ذلك أن يستأصل من أبنائهم ذلك الغضب في تلك الساعة فيأمرهم بالجلوس، أو الاضطجاع، ليلوذوا بالأرض تضع الحلول المناسبة لكل ما يواجه الإنسان المسلم في حياته من مشكلات نفسية واجتماعية وغيرهما.

ومما يجب أن نفهم جيداً أن "الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه"، فالوالد يعمل جاهداً على تهذيب نفوس الأطفال وتربيتها بالتدرّج، فإن أفضل وقت يمكن فيه تدريبه على ذلك هي مرحلة الطفولة، وذلك لأن هذه الانفعالات لم تتأصل بعد في نفوسهم، بل هي في مرحلة التعود والتبني. وعليه أن يعرف أن الجبلات والطبائع مختلفة ومتنوعة منها ما هو سريع الاستجابة والقبول، ومنها ما هو بطيء، فلا يملّ، بل يصبر. ويعمل الأب ما في وسعه لإبعاد خلق الغضب من الأطفال، فإن الأخلاق مقسمة بين الناس حسب الحكمة الإلهية، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم"، والوالد الفطن يمكن أن يعرف حدود إمكانات أولاده وقدراتهم، فلا يحملهم من الآداب والأخلاق ما لا يطيقون، فإن صدر عنهم بعض الزلات في ساعات غضب وانفعال صبر عليهم ووجههم إلى الصواب لنلا يزيد من سوء الموقف.

٦ حفظ الطفل من خلق الكبر:

وخلق الكبر يُعدّ من الصفات القبيحة التي يتصف بها بعض الناس وذلك لما فيها من الشعور بالتميز والتعالي على غيره، وقد قال الله تبارك وتعالى يذمّ المستكبرين: "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ"^{٥٤}، وفي إبليس الذي عصى الله تعالى مستكبراً عن السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: "قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ"^{٥٥}، فأخرج من جنّة الله ورحمته وأهبط إلى الأرض بسبب الاستعلاء والتكبر، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: "قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار"، ففي هذا الحديث تشبيه للكبرياء والعزّ باللباس، ومن المعروف أن لباس الإنسان إذا ارتداه لا يشاركه أحد. فكذاك العز والكبرياء إزار الله سبحانه وتعالى ورداؤه لا

٥٤) سورة النحل، رقم الآية: ٢٣
٥٥) سورة الأعراف، رقم الآية: ١٣

يشاركه فيهما أحد من خلقه، ومن تجراً كان مصيره مصير إبليس وهو البعد من رحمة الله عز وجل، إلا أن يتوب توبة نصوحاً.

ومن حقيقة خلق الكبر على النَّاس: استعظام النفس، واستحقار الآخرين، والترفع عليهم وعدم الانقياد لهم، واستصغارهم، وتحقيرهم، وعدم الرضا بالمساواة بهم. وهذا لا شك من غفلة الإنسان وجهالته بحقيقة نفسه، وحقارة أصله، وضعفه، وما يحمله في بطنه من العذرة، ونهايته العفنة في التراب.

وللكبر مظاهر بيّنة يعرف بها المتكبرون، وأهمّها ما نعتهم به رسول الله ﷺ عندما سئل عن الرجل يحب أن يظهر في ملبسه بمظهر جميل حسن هل هذا من الكبر؟ فقال: "لا، ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس"، فمن ردّ الحق على أهله، ولم يسمع منهم فهو المتكبر، وغمط الناس استحقارهم وعدم المبالاة بهم.

ويعدّ من مظاهره المذمومة أيضاً: التبختر في المشية والتعالي في المجالس، وذلك لما قد وقع في نفس المتكبر من التميز، والاستعلاء، والاعتقاد بالأفضلية، إما للجاه، أو السلطان، أو المال، أو النسب، أو الجمال، أو العلم، أو غير ذلك.

وهذا المظهر قد ذمه الله عز وجل في كتابه العزيز، فقال: "وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا"^{٥٦}، وقال أيضاً: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"^{٥٧}، أي لا تمل خدك للناس في استعلاء واستكبار عليهم. أما المشي في الأرض مرحاً، فهو: السير في افتخار وقلة مبالاة بالناس، وقد جاء في السنة ذم هذه المشية المختالة حيث قال صلى الله عليه وسلّم: "ما من رجل يتعاطم في نفسه ويختال في مشيته إلا لقي الله وهو عليه غضبان".

٥٦) سورة الإسراء: ٣٧
٥٧) سورة لقمان، ١٨

ولما كانت قضية خلق الكبر على هذا النحو من الذم والكراهة والمقت، فإن تربية الأولاد منذ حداثة سنهم على كرهها، وعدم الاتصاف بها، أمر هام، لأنه إن تعود الأولاد ازدراء الناس، والتكبر على أقرانهم، والتعالي عليهم، في صغرهم فإن هذه الخصلة الممقوتة لن تتركوها عند كبرهم وبلوغهم سن التكليف.

ومسؤولية الوالد في متابعة أولدهم ومراقبتهم ومعرفة أمراض قلوبهم وعلاجها أن لا يقف عند حدود التعريف بالمرض والتوجيه بالعبرة فقط، بل يسلك معهم الأسلوب التربوي العملي الذي يستأصل الداء من داخل النفس حتى لا يبقى لهم أثر يحرّمهم من دخول الجنة فإن الكبر - وإن قل - يحرم صاحبه الجنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر". فإذا كان الولد ممن يميل إلى رأيه دائماً ولا ينصاع للحق إذا جاء على لسان أصدقائه أو إخوته أو أقرانه، بعد أن يكون قد علمه وفهمه، خاصة إن كان الولد قد تعدى سن العاشرة، فإن الأب يحذره ويخوّفه من هذا السلوك مبيناً أن الله يمقته ويغضبه إن فعله، وأنه من الكبر الذي يحرم صاحبه الجنة، ويلزمه بأن ينصاع للحق، وأن يعلن ذلك أمام زملائه أو أصدقائه، وأنه قد أخطأ برده الحق، ويسوقه إلى ذلك سوقاً ويلج عليه، فإن اعتذر أمامهم، وقبل الحق، كان له درسا عملياً جيداً لا يظن بعده فعله لمثله، فإن عاد أعيد معه الدرس ويؤكّد حتى يتدرب فلا يعود لمثله أبداً.

فالولد الذي يظنّ في نفسه دائماً أنه أفضل من زملائه وأصحابه وإخوته وأنه متميز عنهم، فإن الوالد الذي يعلم هذا منه يحاول لاستئصال هذا الاعتقاد الفاسد من قلبه بأن يبين له مميزات إخوته وزملائه، وأنهم متفوقون عليه في كذا وكذا، ويعدد بعض المميزات التي اتصف بها إخوته وزملاؤه مدلاً على ذلك بالوقائع المختلفة، كأن يقول له الوالد: "أتذكر يوم كذا وكذا كيف أن زميلك سبقك في العدو، وكيف أن صديقك فلان بن فلان كان أحفظ منك لسورة كذا وكذا"، فيحاول أن يبين له أنه كغيره من أصدقائه لديه مميزات كثيرة كما لديه نواقص عديدة وأن غيره ربما تفوق عليه في بعض مميزات وصفاته.

ويحذر الوالد عند استخدام هذا الأسلوب أن يتعدى حدود الاعتدال في بيان قدرات وطاقات الغير، واستنقاص قدرات ولده، إذ إن التمادي في استنقاص قدرات ولده، والمبالغة في هذا الأسلوب ربما ساقط الولد إلى الشعور بالنقص، وهذه آفة أخرى تحتاج إلى علاج جديد، بل يعطيه من البيان ما يحتاج إليه لتستقيم نفسه، وتعتدل معاملته.

كما يمكن للوالد أن يوضح للولد المغرور بقوته - مثلاً - أنه ضعيف أمام أصدقائه الأقوياء، فيعمل لهم لقاء للمصارعة وإظهار القوة، فإن صرّح الابن كان له درساً جيداً، يعلم من خلاله أنه يوجد من هو أقوى منه، فلا يغتر ولا يفتخر بقوته على أصدقائه. وفي هذا الدرس ينبغي أن يكون الوالد على يقين تامّ من أن أصدقائه سوف يصرعونه ويتغلبون عليه، فإن حدث العكس ازداد الولد كبيراً إلى كبره وغروراً إلى غروره، ولم ينفعه الدرس، بل يكون وبالاً عليه.

وكثيراً ما نرى الأولاد يخجلون ويترفعون عن الخدمة، خاصة أطفال الأغنياء، فلا نرى أحدهم غالباً حاملاً مشتريات لأهله، وعلاج ذلك يكون أيضاً بضده. فإن كان يتعالى عن نزول السوق والشراء وحمل الحاجيات أمره الوالد بذلك ودرّب عليه. ولابأس في أن يشارك الناس في البيع والشراء فقد أقر النبي صلى الله عليه وسلّم عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أن يبيع في السوق بيع الصبيان ولم ينكر عليه ذلك، بل دعا له. علماً بأن عبد الله بن جعفر أحد الأشراف المشهورين، وأبوه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلّم فلم يمنعهم ذلك من الاشتغال بالبيع والشراء كعامّة الناس، ومع ذلك أنّه ﷺ لم يستح من فعل البيع.

وإذا علم الوالد من ابنه إحساس بالترفع عن الفقراء والمساكين والضعفاء أمره بالجلوس معهم في بعض المجالس ليذهب عنه ما يجده في نفسه من الترفع والتكبر فيصطحبه الوالد في زيارة لأحد أقاربه من الفقراء فيجلس عنده بعض الوقت، ويأمر الأب ابنه بالجلوس والمحادثّة معهم، حتى يعتاد الولد ذلك دون خجل أو إحساس

بالمهانة. وفي بعض الأحيان يدعو الأب بعض فقراء الحي وأولادهم على الطعام، ويأمر جميع أبنائه بالخدمة لهم والجلوس معهم.

وأما الأولاد الذين يفتخرون على أقرانهم بمميزات خلقية كالجمال، أو القوة، أو الطول، أو فكرية كالذكاء وغيرها، فإن دور الأب في علاج هذا هو أن يوضح للأولاد أن هذه الصفات وغيرها من نعم الله التي أكرمهم بها، وليست هي من كسبهم، فالله سبحانه وتعالى قدرها لهم في الأزل، وركبها فيهم، دون أن يكون لهم أدنى فضل فيها، كما أن من أصيب بعاهة في جسده، أو بلاهة في طبعه، أو غير ذلك هي من أمور القضاء والقدر التي ليس للإنسان فيها دخل، فلا يذم بسببها ولا يستنقص، بل الواجب هو الرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى، فإن كان المقسوم محبوباً كالحسن، والقوة، والشجاعة شكر الله عليه بمزيد من الطاعة والاعتراف بمنته وفضله، والتواضع لمن لم يؤت مثل ذلك، وإن كان المقسوم مكروهاً كالفقر أو البلاء أو الضعف وغيرها، فإن الواجب هنا هو الصبر على البلاء واحتمال تبعاته، والرضا بما قسم الله، فإنه هو الحكيم الخبير. ويسلك الأب مع ولده هذا الأسلوب منبهاً ومرشداً ومبيناً نعم الله سبحانه وتعالى المتنوعة، وأن الفضل له وحده دون سواه فإذا تيقن الابن بذلك ذهب عنه ما يجده في نفسه من الكبر والتعالي إن شاء الله تعالى.

٧) دعاء الوالد لإصلاح ولده:

للدعاء أثر عظيم في إصلاح الأولاد، واستقامتهم على الدين، فالله تعالى هو مالك الملك، وأمور الخلق وأقدارهم بين يديه يصرفها كيف يشاء، فكان من الضروري، بل ومن اللازم الطلب منه ودعاؤه، والابتهاال والالتجاء إليه رجاء صلاح الذرية واستقامتها، فإنه لا يوجد شيء في الدنيا أقر وأهنأ لعين المؤمن من صلاح أهله وولده. فالدعاء أكرم شيء على الله، وهو أشرف العبادات، بل هو العبادة نفسها، ومن المعلوم أن دعوة الأب لولده مستجابة، فما أحسن وأفضل أن يستغل الوالد هذه الفرصة الذهبية من الله تبارك وتعالى، بأن يدعو لذريته، ويرجو من الله صلاحها وهدايتها، فيفتدي في ذلك بالأنبياء الكرام عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه، فقد كانوا أكثر الناس دعاء والتجاء إلى الله تعالى، وطلباً منه إصلاح أولادهم.

فقد سجل القرآن الكريم لبعضهم دعوات وتضرعات عظيمة. فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يدعو الله تعالى أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ"^{٥٨}، وبعد أن رزقه الله تعالى الذرية الطيبة الصالحة يحمد الله على ذلك، ويؤكد أن الله سميع الدعاء فيقول كما حكى الله تعالى عنه "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ"^{٥٩}، وهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو طالباً الذرية الطيبة "قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ"^{٦٠}، وهكذا الأنبياء كلهم عليهم السلام يتضرعون إلى الله بالدعاء خائفين، راغبين كما قال الله تعالى عنهم "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ"^{٦١}.

لذا لا ينبغي للأب أبداً أن يترك الدعاء لولده، فإنه مأمور به كما قال الله تعالى "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"^{٦٢}، وقال أيضاً "وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ"^{٦٣}، وقال "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا"^{٦٤}. وعلى الوالد أن يحذر كل الحذر من أن يدعو على أولاده بشرّ، فإن دعوته مستجابة فقد نقل عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً جاءه يشكو إليه عقوق ولده فسأله إن كان دعا عليه أم لا؟ فأجاب بأنه قد دعا عليه، فقال له حينئذ: "أنت أفسدته" فعلى الوالد أن يحذر من ذلك ويستبدل الدعاء عليهم بالدعاء لهم، ولا بأس أن يجمعهم في بعض الأوقات فيدعو لهم، كما كان يفعل أنس بن مالك رحمه الله عند ختم القرآن الكريم.

٨ إظهار الحب والرحمة تجاه الأطفال:

كاد التربويون أن يجمعوا على أن الحب والعطف والحنان من أهم دعائم التربية الأخلاقية، فإن الحب يتمثل في الحنو على الولد، وتقبيله واحتضانه، وإظهار محبته،

٥٨ سورة إبراهيم: ٣٥.

٥٩ سورة إبراهيم: ٣٩.

٦٠ سورة آل عمران: ٣٨.

٦١ الأنبياء: ٩٠.

٦٢ سورة الغافر: ٦٠.

٦٣ الأعراف: ٥٦.

٦٤ الأعراف: ١٨٠.

والعطف عليه، والطفل وإن كان صغيراً ضعيف الإدراك قليل الفهم إلا أنه يعي البسمة الحانية، ويدرك الغضب، فلا يمكن أن يتعلم الطفل الرحمة والحنان والعطف إذا كان والده يقسوعليه ولا يرحمه فإن الآباء لا يمكن أن يربوا أولادهم بأسلوب الرهبة فقط، بل لابد من الحب الفياض الغامر المتدفق من قلوب الآباء إلى أبنائهم، وهم، بالتالي ينقلون هذا الحب إلى غيرهم.

وقد وردت روايات عديدة تظهر أهمية هذا الجانب في التربية والتوجيه، فقد روى الحاكم في المستدرک بسند صحيح، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا" وكان عليه الصلاة والسلام يظهر حبه للأولاد، ولا يخفيه، فيقول عن أسامة بن زيد والحسن: "اللهم إني أحبهما فأحبهما".

وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يقبل أحداً منهم، فما كان من رسول الله إلا أن يعلنها دستوراً للمربين عموماً فيقول "إن من لا يرحم لا يرحم" فاعتبر تقبيل الصبيان من مظاهر الرحمة بهم، وقد كان يكثر من تقبيل الحسين حتى يقبله في فمه محبة ورحمة به، وكان يقول عليه الصلاة والسلام هما يحانتني أي حسن وحسين رضي الله عنهما، وقدم عليه مرة جماعة من الأعراب ينكرون تقبيل الصبيان، فقال لهم: "وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة" ويقول عنه خادمه أنس بن مالك: "ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم". فهذا الفعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإظهاره للحب والحنان للأولاد والعطف عليهم أمام أصحابه وزوّاره يشير إشارة واضحة جلية أنه جانب مهم في التربية، ولا بد للأب المسلم أن ينتهجه مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم فيفيض على أولاده من حبه وحنانه، ولا يبخل عليهم بذلك، خاصة وأن هذه القضية فطرية في قلوب الآباء، فليس في إظهارها تكلف، بل إن التكلف في كبتها وكتمانها، فإن نزعت هذه الرحمة الفطرية من قلب الأب فهو شقي منتكس الفطرة، ولا ينفع أن يكون أباً، ولا ينبغي أن يتولى تربية الأولاد فيحرفهم عن

الجادة بقسوته وغلظته عليهم، فالولد إن أحس بيبغض والده له، بعدم إظهاره الحب والمودة، فإنه ينحرف قاصداً إزعاج والده واتعاسه والانتقام منه، إذ إنه يعرف أن انحرافه يقلق والده ويزعجه.

ومن أعجب ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بالأولاد الحديث الذي ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، عن أبي ليلى قال: "كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صدره، أو بطنه الحسن أو الحسين عليهما السلام فبال فرأيت بوله أساريع (أي طرائق) ففقت إليه، فقال دعوا ابني لا تفزعوه حتى يقضي بوله ثم أتبعه الماء" وفي رواية "لا تستعجلوه" فهذا نموذج تربوي فريد جميل، وقدوة واقعية لمن أراد أن يتمثل المنهج التربوي الصحيح في مجال تربية الأولاد والصبر عليهم ومراعاة حالهم.

ثالثاً : التربية الجسمية:

والمقصود بالتربية الجسمية: مجموعة من المبادئ الجسمية والصحية التي يجب أن يتعلمها الأطفال منذ صغرهم لينشؤوا على خير ما ينشؤون عليه من قوة الجسم، وسلامة البدن، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط . وقد تتابعت الوصايا الإلهية والنبوية إلى حفظ الأجسام والصحة وتنمية القوة الجسدية. ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال " فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد" وما في الصحيحين من حديث أبي هريرة (ر) قال : قال رسول الله ﷺ "لا يوردن ممرض على مُصحّ". وبناء على هذه القاعدة وجب على المربين – ولاسيما - الأمهات – أن يرشدوا أولادهم إلى التقيد بالتعاليم الصحية والوسائل الوقائية في الحفاظ على صحة الولد وتنمية قوته الجسدية وعليهم كذلك أن يستعينوا بالمختصين فيما يجب اتخاذه لوقاية الجسم من الأفات المرضية والأمراض السارية. ولما كانت أهمية الجسم على هذا النحو، فإن اهتمام الوالد برعاية ولده، من الناحية الجسمية، وإعداده لمستقبل الحياة صحيحاً قوياً، يعد خير معين لقيام الولد بواجباته الدينية وعبادة ربه، فالأب ملزم "أن يتفقد الولد في كلامه وعوده بين الناس وحركته ونومه وقيامه ومطعمه ومشربه، ويلزم في جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم حتى صارت أفعالهم

طبيعة من طبائعهم"، فهو ملزم فيما يخص جسم الولد بالتزام منهج الإسلام في التربية الجسمية.

وتهدف التربية الجسمية إلى توفير الصحة عن طريق النمو السوي للفرد، والمحافظة على الطاقات الجسمية، وتوجيهها وتنميتها للقيام بأعباء الخلافة في الأرض، فهي تخدم الغرض الأساسي الذي وجد الإنسان من أجله على الأرض، وهو عبادة الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"^{٦٥}

فالأب يراعي في جانب التربية الجسمية كل ما يؤثر في كيان الولد البدني، فما يضره من أكل، أو شرب، أو نوم، أو لعب، أو غير ذلك حفظه وحماه منه، وألزمه السنّة في كل ذلك، أمّا ما يُفيده ويقيم بدنه وصحته: قرّبه منه، ووجّهه إليه.

فإذا كان أكل الفواكه فجة تؤذي الجسم وتسبب المرض فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا أكل الفواكه ناضجة. وإذا كان أكل الخضار والثمار قبل غسلها يؤدي إلى آفات مرضية فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا أكل الخضار والثمار بعد غسلها. وإذا كان إدخال الطعام على الطعام يسبب أمراضا في المعدة وفي جهاز التنفس وجهاز الهضم فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا الطعام في أوقات مخصوصة. وإذا كان تناول الطعام باليدين قبل غسلهما يؤدي إلى انتشار المرض فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى تطبيق هدي الإسلام في غسل اليدين قبل الطعام وبعده. وإذا كان النفخ في الإناء وفي الملعقة يؤدي إلى أضرار جسمية فعلى المربين أن يمنعوا أولادهم عن هذه العادة المؤذية. وهكذا حينما يأخذ المربون بمثل هذه التعليمات الطبية ويعودوا أولادهم على التقيد بهذه الإرشادات الصحية فلا شك أن الأولاد ينشؤون على الصحة الكاملة ويترعرون على سلامة الجسم وقوة البدن وظاهرة الحيوية والنشاط. وتكون التربية الجسمية راسخة عميقة في قلوب الأطفال لا بدّ من المحافظة على بعض الخصال ومن أهمّها ما يأتي:

١) مراعاة القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم:

٦٥) الذاريات، رقم الآية: ٥٦

ومما لا يجوز أن يتهاون به للوالد مراعاة أمر إطعام الأولاد ومن عليه نفقتهم من حلال طيب، فإنه لا بد من الطعام والشراب لقيام البدن. فهما قوامه مع الهواء. والمسلم مأمور بأكل الطيب الحلال من الطعام والشراب، فإن الله يقول في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} ^{٦٦} ، فلا بد أن يكون الرزق حلالاً، لتمام تحقق الفائدة من المأكل والمشرب في الدنيا والآخرة، فقد قال النبي ﷺ : "لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولى به" ^{٦٧}.

وقد كان السلف الصالحون من العلماء العاملين يحرصون غاية الحرص على الحلال من الطعام، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يدخل يده في حلقه ليتقياً لقمة من طعام حرام أدخلها جوفه دون أن يدري، فعوتب في ذلك، فقال "لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها".

فطلب الحلال من الطعام هو أعظم قضية يهتم بها الأب، ولا يجوز له التساهل في ذلك بل يسعى ما في وسعه لذلك فإنه عنه مسؤول.

والأولاد عادة يقتدون بأبيهم في هيئات الجلوس على الطعام فلذا يجب أن يكون هو قدوة في ذلك، بأن ينتهج الأب في تعويد ابنه طريقة الجلوس الصحيحة للأكل، ويعلمهم هيئة الجلوس على الطعام إن كان الأكل على الأرض، أما إن كان الأكل على المائدة فيجوز الجلوس على الكرسي بالطريقة المعتادة ولا كراهة في ذلك، ويحذرهم من الأكل قائماً أو منبطحاً على وجهه.

ويعود الأب أطفاله على الأكل باليد اليمنى، وينهى عن الأكل بالشمال، لقوله عليه الصلاة والسلام "لاتأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بشماله". ويحثهم على التأدب في الأكل بأن يخبرهم أن البركة تنزل في وسط الطعام فإذا أكل أحدكم فاليأكل من حافظه قال عليه الصلاة والسلام: (البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافظيه، ولا

٦٦ سورة البقرة: ١٧٢
٦٧ مسند أحمد بن حنبل رحمه الله.

تأكلوا من وسطه)، فإذا علم الولد ذلك تأدب بالأدب النبوي، والتزم السنة في أكله لا شك في ذلك.

ويحذر الأب من أن يعيب طعاماً أمام الأطفال، فإنهم يتأثرون بذلك، ويقتدون بالأب في ذلك، ويأمرهم بأن يلعقوا الأصابع قبل أن تغسل، أو تمسح بالمنديل: لقوله عليه الصلاة والسلام: (إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها) كما ينبغي له في نهاية الطعام أن يذكرهم بالدعاء المأثور الذي علمنا النبي ﷺ إذا فرغ من الطعام: (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين).

ولا يكره الأب أهله بصنع طعام معين، والاقتصار عليه، بل يأمرهم بتنويع الطعام من اللحم والخبز والفواكه وغير ذلك، فلا بأس بالحلوى. والسكر والعسل فهما من أفضل الأطعمة، وقد كان عليه الصلاة والسلام يحبهما، ولا ينسى أن يركّز على الأطعمة السريعة الهضم فهي أكثر نفعاً من غيرها. ومما لا شك فيه أن هناك بعض الآداب للشرب كما للأكل، لا بد للأب أن يعرض عنها فينبغي للأب أن يُعوّد أولاده عليها ففيها لا شك الخير والبركة. فمن أهم هذه الآداب ذكر الله عند الشرب، وعدم الشرب قائماً لورود النهي عن ذلك، كما ورد النهي في التنفس في الإناء قال ﷺ "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء"، والشرب بدفعة واحدة، بل يجعل شربه على ثلاث دفعات، وهذه هي بعض الإرشادات النبوية الشريفة المأثورة عنه ﷺ، والأب يكون قدوة لأولاده في هذا المجال.

٢) الإنفاق على الأهل والولد:

ومن المعلوم أن الأب يسأل إذا قصر في إنفاق المال على ولده، وعلى من تلزمه نفقته، كما يسأل في تقصير غيره من المسؤوليات. فعلى الأب مراعاة الحكمة في الإنفاق فلا يُقتَر عليهم ولا يسرف، بل يكون ممن وصفهم الله بقوله "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" فإن الله تعالى إن وسّع على أحد فعليّه أن يوسّع على عياله، والله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ولا يُقتَر

عليهم، كما أن إنفاقه على ولده وخدامه وأهل بيته جميعهم صدقة أي ينال أجر الصدقة إذا صحَّ النية في ذلك. وقال عليه الصلاة والسلام "ليس منا من وسع الله عليه ثم قنَّ على عياله"، ولا خلاف في أفضلية تركه أولاده كلَّهم أغنياء لديهم ما يكفيهم من المال والثروة والمركب والمسكن من أن يتصدق بمالديه كلَّه من المال ويتركهم فقراء يطلبون من الناس ويمشون أمام الناس سائلين متذلين، وربما كان ذلك سبباً في ضلالتهم وحقدهم على المجتمع، فإن الفقر مع قلة الإيمان واليقين بالله يعدّ من أهم أسباب الانحراف.

٣- التداوي إذا مرضوا:

ومن مسؤولية الأب مراعاة صحة الأولاد، وأن يسعى ما في وسعه لتدوم صحتهم، وأن يقوم بالتداوي والعلاج الكافي إذا أصابهم المرض، وقد سئل النبي ﷺ عن التداوي، فقال "نعم تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء". وكثيراً ما يكون التداوي وطلب العلاج بعد الإصابة بالمرض، أما الحماية والوقاية فتكون قبله، لهذا جاء الشرع بالوقاية من المرض أولاً، والحذر من أسبابه، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام "لا يورد ممرض على مصح".

فعلى الآباء حماية أطفالهم من الأمراض المعدية وغيرها، من باب أخذ الحيطة والأسباب، دون إفراط أو تفريط. ومراعاتهم نظافة الأولاد في أبدانهم، وملابسهم، ونظافتهم فيما يأكلونه ويشربونه، وصحة المسكن، ودخول أشعة الشمس إلى البيت، ونقاوة الهواء، واختيار الأماكن الصالحة للسكن، قليلة الازدحام، والأصوات فإن اتخذ الآباء هذه الأسباب وراعوها حق رعايتها فبعد توفيق الله يكون لهم دور فعّال في حماية أطفالهم من الأمراض، ويكونون غير ملومين.

ومما ينبغي أن يذكر، أنه ليس من الضروري الإسراع في أخذ الولد إلى الطبيب عند حدوث أعراض مرض ما، بل إن استعمال الآباء للأدوية المفردة دون المركبة لمعالجة أولادهم هو السنة التي كان عليها النبي ﷺ، وهذا إذا كان لهم خبرة سابقة في

هذا المجال، "وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل إلى المركب. قالوا: وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية".

وقد جاءت نصوص كثيرة تحت على المعالجة بالعسل، وتدلّ على عظم نفعه وفائدته، يقول الله تبارك وتعالى في قرآنه المجيد: "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" ^{٦٨}.

فعلى الأب المسلم تأمين العسل في بيته بصورة مستمرة، خاصة الأنواع الجيدة الخالصة منها، ليستعمل منها عند الحاجة إليها، واستعماله بطريقة اللعق ثلاث مرات في الشهر، فبذلك - بإذن الله - يحصل المقصود، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال "من لعق العسل ثلاث غدوات، كل شهر، لم يصبه عظيم من البلاء"، وكالعسل أن هناك بعض المأكولات والحبوب يجب للأب المسلم اقتنائها في بيته لما فيه شفاء وفوائد للجسم، فمنها الحبة السوداء التي قال عنها النبي ﷺ "الحبة السوداء شفاء من كل داء"، والعجوة وقد ذكر النبي ﷺ فضلها، وقال "من اصطحب كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل".

فيكون الأب محرصا على استخدامها بالطرق الصحيحة مع سؤال أهل الخبرة والمعرفة في ذلك كلّها، ولا يُكره الولد على الدواء، ولا يدخله في فمه بالقوة، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال عليه الصلاة والسلام "لا تکرهوا مرضاکم على الطعام والشراب. فإن الله يطعمهم ويسقيهم". وسبب النهي عن الإكراه على الأكل والشرب وذلك أن صحة البدن لا تحصل في الحقيقة من الأكل والشرب، بل الصحة، والقوة، والعافية، من عند الله عز وجل، فهو الذي يحفظ للمرضى قوتهم، ويعطيهم بما يماثل فائدة الأطعمة والأشربة.

٦٨) سورة النحل، الآية: ٦٩

٤- تعليمهم آداب النوم:

ومما لا ينكره ذو عقل سليم ما للنوم من دور مهم في حفظ صحة الأبدان، وتنشئة النشاط، والقوة، وفي الأجسام. فيكون الأب مطلعاً على آدابه ليربي أولادهم في جو صحي ملائم، فإن فيه راحة للجسم والقلب معاً.

فالأب الفطن يأمرهم بالتبكير إلى النوم، وترك السهر إلا لضرورة. وقد ثبت علمياً أن النوم في الليل له فوائد كثيرة، والجسم يستفيد منه أكثر مما يستفيدة من نوم نهار.

ومن أهم القضايا التي تساعد الأولاد على النوم المبكر، أن يمنعهم الأب من النوم في النهار بالكلية، وذلك لأنه يورث الكسل والسهر في الليل، يقول الإمام الغزالي رحمه الله "وينبغي أن يمنع من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل". خاصة النوم بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، فإن بعض السلف الصالحين كانوا لا يتركون أحداً من أهلهم وأولادهم ينامون بعد الفجر حتى تطلع الشمس. وذلك لحصول بركة دعوة النبي ﷺ التي قال فيها "اللهم بارك لأمتي في بكورها". وقد ثبت علمياً أن غاز (الأوزون) المنشط للخلايا، والذي يقضي على كثير من الأمراض، لا ينتشر إلا في الفجر، فهذا من بركات الاستيقاظ المبكر، وترك النوم نهاراً، خاصة بعد صلاة الفجر مباشرة". وهذه الفترة القليلة أي فترة بين صلاة الفجر وطلوع الشمس لا تزيد في العادة عن ساعة، فلو اغتنمها الأب مع الأولاد في بعض الأعمال الخيرية، والنشاطات الدينية، تكون الفائدة كثيرة مضعفة.

والوالد العالم الذي يريد الخير والصلاح لأبنائه، يأمرهم ليشتغلوا في هذا الوقت بالتسبيح، وقراءة القرآن حتى تطلع الشمس، لقوله ﷺ فيما رواه عنه أنس بن مالك "من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين: كانت له كأجر حجة وعمره، قال: قال رسول الله ﷺ: تامة تامة تامة".

ومن أهم القضايا المتعلقة بآداب النوم التي لا ينبغي للأب أن يتغافل عنها هي مسألة التفريق بين أولاده عند أخذ المضجع خاصة الذكور والإناث، وذلك لقوله عليه

الصلاة والسلام "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع". وذلك للاحتياط في القضايا المتعلقة بالجنس، وتعويد هم النوم على جنبهم الأيمن، اقتداء بالرسول ﷺ، مع وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن. ونهيه عن النوم على البطن، لكرهية الرسول ﷺ لهذه النوم. وقال "إن هذه ضجعة لا يحبها الله". والأب المخلص يقوم بإرشادات قيّمة مناسبة كافية وقتاً فوقتاً لتوجيه أولاده إلى الخير في جميع الشؤون ولا يهمل في ذلك، خاصة في المسائل التي جاءت الشريعة الإسلامية بأدلتها وأحكامها وبيانها .

ويحسن للوالد أن يعلمهم ذكر أخذ المضجع وكذلك ما يقال عند الاستيقاظ، ويأمرهم بالوضوء، والنوم على طهارة لقوله ﷺ "إذا أخذت مضجعت فتوضأ وضوءك للصلاة" وينبّههم على مقصد النوم من أن المسلم ينام في الليل ليتقوى في النهار على عبادة خالقه، والجد في حصول مرضاته،

ويحثهم على تعويد قراءة بعض الآيات المأثور قراءتها قبل النوم كآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، ويجهر الأب بهذه الأذكار أمام أولاده، ليعلمهم حتى يحفظوا ويتعودوا عليها، والأب يتابع أولاده في هذه السنن والآداب، وإلا تكون النتيجة في هذه المذكورة كلها مخالفة لما يتوقع.

٥ - تعليمهم آداب اللباس.

اللباس نعمة جسيمة من نعم الله تعالى على بني آدم. فقد امتن الله عليهم بها فقال "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ..."^{٦٩} فاللباس نعمة من نعم الله، يتزين به الإنسان ويستتر به، ويتنعم بما خلقه الله له من أنواع اللباس، فمنها المخصص للبرد، ومنها للحر، ومنها للربيع. وكل ذلك من تمام فضل الله ومنته على خلقه تعالى.

وقد استحب الرسول صلى الله عليه وسلم من ألوان اللباس: الأبيض، وحث على لبسه فقال "البسوا البياض فإنها أظهر وأطيب". كما جاءت الرخصة في لبس الأحمر،

٦٩ الأعراف: ٢٦

والأسود، والأخضر، من الثياب. على أن لا تكون ألواناً داكنة ليس معها لون آخر، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يلبس الأحمر، أو الأسود، أو المُصَيِّغ. وإذا لبس الحلة اليمانية رُئيت فيها ألوان أخرى مثل البياض والسواد.

ويحسن للأب تعويد ولده لبس الأبيض من الثياب، وذلك اتباعاً للسنة أولاً، ثم لحسنها ونقائها، وذلك يكون عند خروج الولد للزيارة، أو الصلاة أو لمقابلة الناس. أما الملابس الملونة - غير المنقوشة - فتكون للبيت واللعب، على أن لا تكون لوناً واحداً داكناً، علماً بأن أكثر ملابس اللعب الخاصة بالأولاد ملونة بغير الأبيض، وذلك لأن الملابس الملونة بطيئة الاتساخ، وأكثر تحملاً لما يعلق بها من جراء لعب الأطفال.

أما الملابس الملونة المنقوشة فهذه تخص النساء، يقول مسكويه رحمه الله منفراً الولد منها "وليعلم أن أولى الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاتي يتزين للرجال ثم العبيد والخول، وأن الأحسن بأهل النبل والشرف من اللباس البياض وما أشبهه". ويتعود الولد لبس الأبيض من الثياب بالقُدوة، فيحرص الوالد الذكيّ على لبس الثوب الأبيض، ويحرص على شرائه لولده ولا يطاوعه في غير الأبيض، إلا في ملابس اللعب واللهو، لما تقدم.

ويعلم الأب ولده آداب لبس الثوب ونزعه، فعند لبس الثوب الجديد يُعَلِّم قول الرسول صلى الله عليه وسلّم "الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة"، وعندما ينزع ثيابه يقول البسمة، وذلك ليستر عورته عن أعين الجنّ. ولا بأس بلبس ما يسمى "بالبنطلون" لأنه أنفع لكثرة حركة الأولاد، وأطول بقاء، مع مراعاة أن يكون فضفاضاً غير ضيق واصف لهيئة الجسم، ويُراعى أيضاً أن لا يكون شفافاً، فإذا رُوعي ذلك كان جائزاً.

ويعود الأب ولده على لبس النعال، لقوله عليه الصلاة والسلام "استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل". ويُحث على لبس حذائه خاصة أثناء اللعب خارج البيت، لاحتمال وطئه شيئاً حاداً يجرحه ويؤذيه.

ولا بأس بأن يؤخذ الأولاد بشيء من الخشونة في بعض الأحيان في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم وأن يسيروا على الأرض بغير حذاء، فلا بأس بذلك في بعض الأحيان

لتعويدهم على الخشونة. فإذا خرجوا جميعاً للنزهة في بعض الأوقات، أمرهم والدهم بخلع نعالهم والسير على الأرض أو الصخر بالقدمين حافيتين، مع مراعاة عدم التكلف في ذلك بما يعود عليهم بالضرر والأذى.

ويلاحظ الأب المخلص ولده عند لبس النعال، فيأمره بأن يبدأ باليمين ثم الشمال، لأنه السنة. وكثير من الأولاد يبدؤون بالشمال. والأفضل توجيه الولد قبل أن يقوم باللبس، فيشار إلى قدمه اليمنى ليبدأ بها إن كان الولد لا يميز بينهما. وبذلك يتعود تقديم قدمه اليمنى دون شعور، لأنه لم يتعود - أصلاً - تقديم قدمه الشمال. ومن الخطأ البين تركه يبدأ بأيّ قدم شاء ثم تصويب خطئه بعد ذلك، وأقل ما في ذلك من الخطأ التربوي أن تتعود قدمه الشمال التقدم في بعض الأحيان، إلى جانب أنه يتضايق من كثرة الأوامر خاصة إن أمر بالنزع ثم اللبس من جديد، وتزيد المسألة كراهة عند الولد إذا كانت أمام الناس.

٦ - تعويد الأطفال على نظافة البدن والملابس.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة للمسلمين في كمال هيئته ونظافة بدنه، وملبسه، فهو أكمل بشر خلقه الله عز وجل، يقول ابن الجوزي رحمه الله "كان النبي صلى الله عليه وسلم أنظف الناس وأطيب الناس، في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يرفع يديه، حتى تبين عفرة إبطيه، وكانت ساقه ربما انكشفت فكأنها جمارة (باطن الجذع)، كان لا يفارقه السواك، وكان يكره أن تشم منه ريح ليست طيبة". وفي وصف آخر لنظافته عليه الصلاة والسلام، واهتمامه البالغ بذلك، يقول الحكيم الترمذي رحمه الله "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربط الحجر على بطنه من الجوع، ولا يترك الطيب، ويعاهد أحوال نفسه، وكان لا يفارقه المرأة والسواك والمقراض في السفر والحضر، وكان إذا أراد أن يخرج إلى الناس نظر في ركوة فيها ماء فيسوي من لحيته وشعر رأسه ويقول: إن الله جميل يحب الجمال". فكان عليه الصلاة والسلام لا ينشغل عن النظافة حتى بالجوع الذي في العادة ينسي الإنسان كل شيء إلا الطعام. وفي هذا توجيه عملي منه عليه الصلاة والسلام للاهتمام بهذا الجانب، ولم يكتف بذلك، بل كان ينكر على من أهمل نظافة

بدنه وملبسه، فقد روي أنه رأى رجلاً تائر الرأس فقال: "لم يشوه أحدكم نفسه". ورأى رجلاً وسخ الثياب فقال "أما يملك هذا أن يغسل ثيابه". وجعل غسل الجمعة واجباً فقال "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم". ووقت عليه الصلاة والسلام أطول مدة يقيم فيها الرجل دون غسل أن لا تزيد عن أسبوع واحد، فقال: "الله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً". وإن كانت هذه النصوص لا تعم الأطفال إلا أنه يستحب الغسل لمن أتى الجمعة من الصبيان وغيرهم ممن لا تجب عليهم، فعلى الأب أن يعود أولاده غسل يوم الجمعة، ولبس أحسن الثياب، لمشروعية ذلك، ولتكون النظافة والطهارة شعار المسلم، خاصة في العبادات وبشكل أخص في يوم الجمعة فهو عيد للمسلمين.

ولا يقتصر على غسل الجمعة، فإن الاقتصار عليه أدنى الكمال، بل يعود أولاده كثرة الاغتسال، وحب التطهر والنظافة من غير إسراف أو وسوسة، فإنه لا ينبغي التشدد في موضوع النظافة مع الولد إلى أن يصل إلى حد الاشمزاز منه إذا اتسخ، فإن هذا ربما أدى إلى مبالغة الولد بالنظافة مستقبلاً، وربما ساقه إلى غسل يده بعد مصافحة الناس، بل يكون سلوك الأب في ذلك وسطاً بين النقيضين، محافظاً على ولده من الإفراط أو التفريط، خشية أن يقع في الوسوسة الممقوتة.

ومن الوسائل المشجعة للولد الصغير على حب الاغتسال، إدخال السرور عليه أثناء الاستحمام، كأن يؤمن له بعض الألعاب البلاستيكية التي لا تتأثر بالماء، فتوضع له في مكان اغتساله ليلهو بها، ريثما ينتهي الأهل من تنظيفه وتطهيره، مع مراعاة حسن اختيار الصابون، حيث يفضل النوع الذي لا يضر بالعين عند فتحها أثناء الغسل، ولا بأس بالتوجيه المباشر للولد في حثه على النظافة، مع امتداح الأطفال النظيفين، ودم الأطفال القذرين أمامه، وعلى مسمع منه. فإن في هذا تنفيراً له من القذارة.

أما الولد الكبير فيكون توجيهه من خلال تعريفه بأهمية النظافة في البدن والملبس، وأن الدين اهتم بها، والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة في ذلك فهو أنظف الناس وأحسنهم ريحاً، مع ضرب المثل له بالنظيف كيف يميل الناس إليه وإلى القرب

منه، والوسخ كيف ينفّر الناس منه ومن ريحه. ويحاول الأب أن يصله بعالم الغيب، عالم الملائكة الأطهار، الذين يحبون الريح الطيب، ويكرهون الريح الخبيث، ففي حديث النهي عن إتيان المسجد بريح الثوم والبصل قال عليه الصلاة والسلام "فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس". فكل ريح، ومنظر، يتأذى منه الناس، فإن الملائكة تكرهه وتتأذى أيضا منه، فلا بأس أن يشير الأب إلى هذه القضية الغيبية، ويعرف ولده بهذا الحديث، فيحفزه إلى النظافة والتزام الطهارة.

ويعوّد الأب الفطن ولده على الاهتمام بنظافة ثوبه، وملبسه، فيكون في البيت، وعند الأقارب، وفي الأماكن العامة، حسن المنظر، نظيف الثياب. ولا يمنع من أن تكون له ملابس أخرى ثخينة، داكنة الألوان، يمارس بها لعبه ورياضته، وهذه الملابس لا ينبغي معاقبته على توسيقها، أو تفتق بعض أجزائه من جراء اللعب. أما ملابس الخروج والجلوس في البيت فينبغي متابعة الولد وتوجيهه للمحافظة على نظافتها وطهارتها، مع معاقبته عند الإهمال، ولا بأس بتكليفه تنظيف الجزء الذي أتلفه، أو وسخه، ليتحمل مسؤولية خطئه إن كان قد أخطأ.

ويعوّد الأب ولده حمل المنديل في جيبه، ليتنظف به عند الحاجة، خاصة عند الامتخاط، فلا يلوّث ثيابه بمخاطه كما يفعل بعض الصبيان. ويعلمه السنة في استعمال اليد اليسرى للامتخاط دون اليد اليمنى، فإن اليد اليمنى تستعمل للأمور الشريفة الطاهرة. وليس من العيب أو الحرج أن يتولى الأب بنفسه تنظيف ولده، وتطهير أنفه من المخاط، أو إزالة الأذى عنه في بعض الأحيان، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها واصفة حال النبي صلى الله عليه وسلّم اهتمامه بشأن أسامة بن زيد عندما كان صغيرا، قالت: "أراد النبي صلى الله عليه وسلّم أن ينحي مخاط أسامة. قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل. قال: يا عائشة أحبيه، فإني أحبه". فهذا الاهتمام بالأولاد ورعايتهم من قبل الرسول صلى الله عليه وسلّم فيه دليل واضح على أن من سواه من الرجال أولى أن لا يترفعوا عن القيام بمثل هذا الأمر، وقد روت السيدة عائشة أيضا قصة أخرى لأسامة بن زيد، ولكنها كانت أبلغ من هذه، وأعمق بيانا وتوضيحا، فقالت رضي الله عنها "إن أسامة عثر بعتبة الباب

فدمي قالت: فجعل النبي يمصه ويقول لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها". فهذه الرواية البليغة توضح - وبجلاء - أن قيام الأب بمهام رعاية بعض شؤون الأولاد - خاصة في جانب نظافتهم ورعايتهم الصحية - أمر مشروع بل مستحب لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقيامه بذلك على جلالته قدره ومكانته. ومن الجوانب التي ينبغي أن يهتم بها الوالد أيضا في موضوع النظافة: الاهتمام بالأسنان، فقد ابتلي كثير من الأطفال بتلف الأسنان المبكر، الذي يؤثر على الهضم، إلى جانب الآلام التي يحدثها تسوس الأسنان خاصة بالنسبة للأطفال الصغار. وتعود معظم أسباب ذلك إلى إهمال العناية بها ونظافتها، إلى جانب كثرة أكل الحلوى والسكريات خاصة عند الأولاد الصغار.

والحل الأمثل لا يكون بمنع الأطفال من تناول الحلوى، فهذا لا طائل وراءه، فالأطفال مشغوفون بحبها والميل إليها. ولعل الحل الصحيح والأمثل لهذه القضية هو تعويد الأولاد على استعمال الفرشاة، خاصة قبل النوم، فإن بقاء بعض الأطعمة، والحلوى على الأسنان أثناء النوم تسبب تعفنها السريع، وبالتالي يوجد التسوس الذي يفتك بالأسنان. والإصرار على الأولاد في استعمال الفرشاة أمر مهم، فلا ينبغي مجاملتهم في ذلك أبدا، بل يعودون استعمالها بعد كل أكل، بل وحتى بعد كل شيء يتناولونه من الأطعمة - إن أمكنوا - فلا يبقى على أسنانهم شيء من الطعام طول الوقت.

ويحفظ الولد من تناول المشروب البارد بعد المشروب الحار، أو العكس، فإن هذا أيضا من أعظم أسباب تلف الأسنان، كما يجنب استعمال أسنانه في كسر الأشياء الجافة القاسية، ويحفظ من أكل العلك الحلوى. ويعود قدر الإمكان على استعمال السواك، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حث عليه، وبين أنه طيب للفم، وطاعة للرب، فقال "السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب". وقد كاد عليه الصلاة والسلام أن يأمر به، ويوجبه على المسلمين، لعظم فائدته ومنفعته، فقال عليه الصلاة والسلام "لولا أن أشق على أمتي أو على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة". وقد ثبت مؤخرا (أن في المسواك أملاحا معدنية، ومواد عضوية، ومضادات حيوية تطهر الأسنان، ومواد تقوي جدار اللثة). وهذا البيان العلمي الحديث لفوائد المسواك لا

يزيد الأب المسلم إلا يقينا بصدق كل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، وإن كان المفترض في المسلم أنه لا يحتاج إلى دليل علمي تجريبي، لإثبات صحة ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن مثل هذه الحقائق العلمية، تقوي اليقين خاصة عند ضعاف الإيمان.

ويمكن الأب تعويد أولاده على استعمال المسواك، من خلال القدوة أولاً، ثم عن طريق التوجيه المباشر، وتقديم قطع من أغصان شجر الأراك الرقيقة إليهم. ويحاول من وقت لآخر جلب مجموعة منها إلى البيت وتوزيعها باهتمام عليهم، أما إن كان في بلد لا يتوفر فيه هذا النوع من الشجر، ولا يجلب إليه، أو أن بيته بعيد عن موقع بيعه، فيمكن تأمين كمية منه، وحفظها في الثلاجة داخل كيس من الورق وآخر من البلاستيك، فإن التجربة أثبتت إمكانية بقاءه بهذه الاحتياطات في حالة جيدة. وليس من الضروري أن يعرف الأولاد الطريقة الصحيحة في استعمال السواك بادئ الأمر، فإن هذا يحصل لهم بالمران والتعود، وإن لم يكن في استعمال السواك سوى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يكفي ذلك دافعاً ومحركاً للاهتمام به، والمجاهدة في جلبه، وحفظه، وتعويد الأولاد على استعماله.

ومما يلاحظ على بعض الأطفال في مسألة النظافة: إهمال تنظيف اليد والفم بعد الأكل، وخاصة قبل النوم، ووجود شيء من الدسم أو الدهن على يد الولد أو ملابسه أثناء النوم، يؤدي في بعض الأحيان إلى جلب بعض القوارض والدواب إلى فراش الولد، وربما لدغ من بعضها، وقد كان يكفي توجيه الولد إلى غسل يده وفمه بالصابون قبل النوم، وإزالة الأوساخ وبقايا الطعام، وقد جاءت السنة المطهرة بهذا التحذير والتنبيه، فقد قال عليه الصلاة والسلام "إذا نام أحدكم وفي يده ريح غمر، فلم يغسل يده فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه".

ويحسن للأب أن يمر على أولاده كل ليلة في غرفهم قبل أن يناموا، ويتابع نظافتهم واهتمامهم بذلك، ولا بأس أن يشم أيديهم، فمن وجد في يده رائحة بقايا الطعام أمره بغسلها، ومن لم يستك، أو يستعمل الفرشاة، أمره بالمسارعة بتنظيف أسنانه قبل النوم، وهذا العمل لا يكلف الأب أكثر من بضع دقائق يقضيها في هذه المتابعة

الشيقة، خاصة وأن الأولاد يتنافسون في كون كل واحد منهم أنظف من أخيه، وأن رائحة يده أطيب من غيره، ويضيف الأب على هذه المتابعة جوا من الملاطفة والمداعبة، متجنباً السخرية والتعنيف.

والأب يحبب إلى أولاده الطيب، كالعود، والورد، والعنبر، والمسك، وغيرها مع تجنب العطور المصنعة والممتزجة بالكحول، لأن أكثر أهل العلم يقولون بنجاستها، والأب يحتاط لأولاده في جميع القضايا، ومن تعود استعمال هذه العطور الطبيعية في صغره، فإنه في العادة لا يميل إلى غيرها في كبره. وهذه العطور التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يحبها ويقول "حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة".

وقد وُقت رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة أربعين ليلة كحد أقصى لتقليم الأظفار والأخذ منها، والأب يحرص على تعهد ولده، وأمر الأهل بتنظيف أظفار الولد، والأخذ منها خاصة بالنسبة للرضيع، فإنه في العادة يخدش وجهه بأظفاره. أما الولد الكبير إذا أهملت أظفاره حشيت تحتها الأوساخ، والقاذورات حتى تتعفن، فتضره، وتؤذيه.

(٧)- تعويد الأولاد على ممارسة الرياضة والألعاب:

ومما لا يختلف فيه أحد، أن الألعاب الرياضية، لها دور عظيم في حفظ صحة الأولاد، وزيادة قوتهم العقلية، والفهمية، والجسمية وغيرها. فهذا من مسؤوليات الأب فينظر في الألعاب والرياضات المباحة اللائقة لأولاده ثم يعلمهم ويدربهم على ذلك. وقد ذكرت في الحديث الشريف أنواع من الألعاب الجائزة التي كانت تمارس على عهد الرسول ﷺ. فمنها ما قام بممارسته مباشراً، ومنها ما أقره، وأذن له، ولم ينكره.

فمن الألعاب والرياضات المباحة: السباق على الأقدام، فهو جائز بالقرآن والسنة، وأجمع عليه الأمة، فقد ثبت أن النبي ﷺ مارسه شخصياً أكثر من مرة، مع زوجته عائشة رضي الله عنها في بعض أسفاره. ويمكن للأب وضع جوائز تشجيعية له لإثارة النشاط، وبث روح التنافس الشريف بين أولاده.

ومن الرياضة المباحة: الرماية، والسباحة، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الرمي، منها ما رواه البخاري في صحيحه: عندما شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا من أسلم ينتضلون فقال لهم "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا". وفي هذا تحريض، وحث على تعلم الرماية، والتدرب عليها.

ويمكن للأب ممارسة هذه الرياضة المباحة الإسلامية مع أولاده عن طريق استخدام القوس والسهم، كما كان الحال على عهد النبي ﷺ، فقد أصبحت هذه الرياضة اليوم معروفة ومشهورة، ولها هواتها ومحبوها. وكذا يمكنه استعمال بندقية الصيد التي تعمل بضغط الهواء. ويستحسن ممارسة هذا النوع من النشاط في الأماكن الخالية بعيدة عن المارة، أو على سطح المنزل مع اتخاذ أسباب السلامة اللازمة.

أما السباحة فهي مفيدة جدًا للبدن، ومع ذلك أنها نشاط رياضي حيوي، فمن حق الوالد أن يعلمها أولاده، وأن يدرّبهم عليها، فإنها من السنة النبوية، وقد تعلمها ﷺ في السن السادسة من عمره، ويكون ذلك من خلال أخذهم إلى أحد الشواطئ النقية الآمنة، مع مراعاة جوانب السلامة من الآفات، وطهارة المياه، ونظافتها. أو ببناء الأب حوضا للسباحة في فناء منزله، فعليه مراعاة عمقه وحجمه بأن يكونا مناسبين للأولاد، وأن يأخذ بأسباب السلامة، والنجاة، لأن لا يندم بعد .

ومن النشاطات المحبوبة عند الأطفال، الرسم والتشكيل، حيث يجوز رسم الأشجار، والأحجار، والجبال، وصورة طلوع الشمس، وغروبها، وغيرها دون نوات الأرواح، فإن رسمها وتصويرها ممنوعة في الشريعة الإسلامية. وقد كثرت النشاطات الرياضية اليوم، واتسعت مجالاتها، وزيدت إليها ألعاب كثيرة، ومنها: رياضة حمل الأثقال، وألعاب القوى الأخرى، وكرة القدم، واليد، والسلة، والطائرة، وكرة المضرب، وتنس الطاولة، وغيرها من الألعاب المفيدة للأبدان. ومن الرياضات المفيدة: رياضة ركوب الخيل، وهي رياضة مشهورة على المستوى العالمي، ومفيدة للجسم والقلب معاً، ومن خلال تدريب الأب أولاده على ركوب

الخيال، يمكن تدريبهم على إجراء الدراجة النارية، فإن ضرورة الأولاد إلى تعلم قيادتها في هذا الوقت غير محتاج إلى البيان.

فالأب العاقل يستغل طاقات أولاده، وأوقات فراغهم بما يعود عليهم بالفائدة في تنمية قواهم الجسمية، ويسعى ما في قدره ليكون أولادهم أقوياء، يقومون بالأعمال الخيرية، والدعوية، والنشاطات الإسلامية، بدون تعب وضعف، لا ضعفاء أذلاء يكونون ثقلاً على المجتمع.

رابعاً: التربية العقلية:

المقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية... حتى ينضج الولد فكرياً ويتكون علمياً وثقافياً. ومن الواجب التعليمي الذي يجب أن يحرص عليه المربون والمعلمون والآباء هو التركيز في الدرجة الأولى على تعليم الأولاد - وهم في سن التمييز- تلاوة القرآن المجيد، والسيرة النبوية وكل ما يحتاجون إليه من العلوم الشرعية وبعض القصائد الأدبية وأمثال العرب امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله " فانطلاقاً من هذا الأمر النبوي حرص المسلمون في كل العصور عبر التاريخ على تعليم أبنائهم هذه العلوم الأساسية والمواد الضرورية. ومن ذلك ما ذكره ابن سينا في كتاب السياسة آراء ثمينة في تربية الأولاد ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً للتعليم، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ويدرس قواعد الدين ثم يروي الشعر ويبتدئ بالرجز ثم القصيدة. ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تعليم الولد البدء بتعليمه في مراحل الطفولة الأولى حيث يكون الولد أصفى ذهنًا وأقوى ذاكرة وأنشط تعليمًا. وإلى هذا أشار المعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه بقوله في الحديث الذي رواه البيهقي والطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء مرفوعاً: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر" ومما يدهشنا جميعاً وقد أثبت

علم التربية الحديث هذه الظاهرة وأكدها. ومن المسؤوليات الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في عنق المربين والآباء جميعا توعية الولد فكريا منذ نعومة أظفاره وحادثة سنه إلى أن يصل سن الرشد والنضج. والمقصود بالتوعية الفكرية ارتباط الولد بالإسلام ديناً ودولة وبالقرآن نظاماً ودستوراً وبالتاريخ الإسلامي عزا ومجدا وبالتقافة الإسلامية العامة روحا وفكرا. فعلى المربين أن يهيئوا لأولادهم وهم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تبصرهم حقيقة الإسلام وتعرفهم مبادئه الشاملة وتعاليمه الخالدة وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمل لواءه أبطال كرام وجدود أمجاد فكانوا في حقيقة خير أمة أخرجت للناس.

والإسلام كما يهتم بتربية الأولاد من الناحية الخلقية والجسمية والروحية، كذلك فإنه ينظر بأهمية كبرى إلى تربيتهم من الناحية العقلية. وبالتربية العقلية يهدف الإسلام إلى تنمية ذكاء الأطفال، وقدرتهم على التأمل، والتفكير، والنظر، وتنمية قدرتهم على التصور التخيل، إلى جانب تقوية ذاكرتهم، وإعطائهم القدرة الكاملة على التحليل، وإدراكهم العلاقات الصادقة بفهم عظام التواريخ، وربطها بواقع الحياة اليومية، وربط الأسباب بالنتائج، حتى يصلوا إلى الغاية الكبرى من معرفة الله سبحانه وتعالى وحبه والاجتهاد في عبادته .

ومما لا شك فيه أن التربية العقلية تهتم أيضاً إلى جانب تثبيت العقيدة في نفوس الأطفال: ببناء الفكرة الإسلامية في ذهن الأطفال، وإعطائهم القدرة على تمييز الفكر الإسلامي من بين التيارات الفكرية الدخيلة المناهضة للتصور الإسلامي، كما أنها تبت روح العزة والأصالة بالفكرة الإسلامية عند النشئ الجديد.

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم التوجيهات الكثيرة المباركة في الأمر بالتدبر والتفكير، والتعقل، فمنها قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِثُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْثُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلَيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^{٧٠}. وفي موضع آخر قال الله تعالى: {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^{٧١}. وهكذا تُختم آيات كثيرة بالدعوة إلى التفكير والتدبر. وقد وردت لفظة {تعقلون، يعقلون} في القرآن الكريم ثمانياً وأربعين مرة، كما وردت لفظة {يتفكرون} سبع عشرة مرة، و{يفقهون} ست عشرة مرة. وهذا أدلّ دليل على أهمية استخدام العقل في معرفة الله، والإيمان به، وإيجاد الآثار العجيبة الدالة عليه في الكون.

ولقد فضل الله الكائن البشري بملكات وقدرات عقلية عجيبة عظيمة كالذكاء، والتذكر، والقدرة على الحفظ، والإبداع، والفهم، وغير ذلك. وهذه الملكات والقدرات وإن كانت مكنونة في الأطفال عند ولادتهم، فإنها في حاجة ماسّة إلى استخراجها وتنميتها بحسب الحاجة إليها، وإن لم نهتم بهذه القدرات العقلية ولم ننمّها بالأساليب الصحيحة، فإنها ربما تضيع وتذهب جُفاء، لهذا كان دور الأب في الأسرة مهماً جدّاً، إذ هو المسؤول الأول عن تربية أولاده وتعليمهم وتوجيههم، محافظاً على ما حباهم الله من قدرات وطاقات مختلفة وجاداً في تنميتها، وتوجيهها إلى الخير والصواب. ولتكون التربية العقلية مفيدة للأولاد الصغار لا بدّ من المحافظة على بعض الخصال الرئيسية ومن أهمّها ما يأتي:

(١) تعليم الأطفال القراءة والكتابة وما يحتاجون إليه في أمر دينهم:

ومن أهم أسباب نموّ العقل لدى الأطفال تلقينهم المعرفة الفكرية السهلة إلى فترة طويلة حتى يتمكنوا من القراءة، وأخذهم المعلومات بنفسهم. فإن القراءة لا شك تعد من أعظم وسائل العلم والمعرفة، فقد كان أول ما نزل من السماء إلى الأرض قوله

^{٧٠} سورة النحل: الآيات، ١٠-١٢
^{٧١} سورة الجاثية: الآيات ٣-٥

تبارك وتعالى: "افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"^{٧٢}. وفي هذا إشارة بيّنة إلى أهمية العلم والتعلم، وبيان وسيلتهما ومفتاحهما وهي القراءة.

فالأب مكلف بمهمة التعليم، فهو المسؤول الأول عن تعليم أولاده القراءة، والكتابة، فقد قال عليه الصلاة والسلام : (حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً)^{٧٣}.

ولا يتحقق هذا في جو فشت فيه الأمية بين المسلمين، وقلت الرغبة في القراءة، والمطالعة، وطلب العلم، خاصة عند الأولاد الصغار، فإن "الرغبة في المطالعة لا تولد مع الطفل، فالأطفال لا يتعلمون حب الكتب بدافع ذاتي، فلا بد أن يقودهم أبوهم إلى القراءة والمطالعة"، لأنه القدوة، ولأنه المحبوب من أولاده، وكل ما يصدر عنه في أمرهم يكون جميلاً وحسناً. ويمكن للأب تأصيل حب القراءة والمطالعة عند الأولاد، عن طريق تأسيس مكتبة صغيرة علمية في البيت بمجرد ولادة الأطفال، ثم توسيعها بقدر الاستطاع في المستقبل، فإن إحاطتهم بالكتب من أول الأمر تجعلهم يعتادونها في سن مبكرة من عمرهم ولا يستنكروها إذا كبروا، فيتعلمون كيف يتعاملون معها ويحترمونها.

ومما لا يختلف فيه اثنان، أن هناك صلة قوية بين القراءة والكتابة، فهما لا ينفكان ولا ينفصلان عن بعضهما البعض أبداً، فإن الله تبارك وتعالى بعد أن أمر بالقراءة في أول سورة أنزلها على نبيه محمد ﷺ أشار بعدها في الآية الرابعة من تلك السورة عن فضله ونعمته بأن علم بالقلم، فقال: (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)^{٧٤}. يقول قتادة رحمه الله في تفسير هذه الآية: "القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه سبحانه، بأن علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي

٧٢) سورة العلق الآية : ١
٧٣) أخرجه الترمذي رحمه الله.
٧٤) سورة العلق، الآية : ٤

لا يحيط بها إلا هو". فلهذا إن اهتمام الأب بموضوع الكتابة بجانب القراءة يعد أمراً مهماً.

ولا يجوز للأب أن يسوّف، أو يؤخر مسألة التعليم إلى أن يكبر الولد، أو أن يتغافل في ذلك، فإن هذا أمر عظيم ليس بهزل، فقد جاءت السنة المطهرة بتوجيهات كثيرة للأبَاء بأن يلتفتوا إلى أولادهم، وأن يحسنوا تأديبهم وتعليمهم، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع) وقال أيضاً: (ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن)، لقد حضت الشريعة الإسلامية على العلم والتعلم، ورتبت على ذلك الأجر العظيم، ورفعت منزلة العلماء فقال الله تبارك وتعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ٧٥، وقال: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ٧٦، وقال أيضاً: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ٧٧. فهذه الآيات البينات وغيرها توضح لنا فضل العلم والعلماء، وأن العلم هو مقياس الأفضلية، إذ بالعلم بالله، وبدينه، وتزيد التقوى في القلوب، فتصلح بالتالي العبادات، والأعمال. وقد جاء عن رسول الله ﷺ ما يدل على فضيلة طلب العلم، كقوله عليه الصلاة والسلام (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)، كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة). وجاء التحذير لمن فرطوا في هذه المهمة العظيمة، وأهملوا تربيتهم، فقد قيل: "أول من يتعلق بالرجل زوجته وأولاده فيفقونه بين يدي الله عز وجل فيقولون: يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل، فإنه لم يعلمنا أمور ديننا". لهذا كان واجباً على الأباء أن يكونوا عالمين بأمور الدين محيطين بالحلال والحرام، وأساليب التربية، وقواعد الشريعة، ومبادئ الأخلاق، فإن لم يكونوا عالمين بها وجب عليهم تعلمها أولاً، وذلك ليعبدوا الله على علم ويقين، وأن يعلموا أولادهم أمور دينهم، وما أوجبه الله عليهم من الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، فإن لم يفعلوا ذلك وأهملوا، فإن تربيتهم

٧٥) سورة الزمر: ٩.

٧٦) سورة المجادلة: ١١

٧٧) سورة الفاطر: ٢٨

لأبنائهم سوف تكون منحرفة، وبالتالي ينحرف الأولاد، ويكونون ثقلاً على المجتمع إذا كبروا.

(٢) - تنمية ملكة الذكاء عند الأطفال:

فالذكاء من أهم فضل الله سبحانه وتعالى على عباده، ويفضل بعضهم على بعض في الفطنة والذكاء، كل ذلك بفضل الله وكرمه الواسع الذي لا يوجد له الانتهاء. والذكاء: هو سرعة الفهم عند سماع القول على الفور، فالذكي هو الذي يكون موهوب القدرة على الفهم السريع.

وقد أكد كثير من التربويين بأن ملكة الذكاء تعود إلى الوراثة، وأنها عامل مهمّ تعمل دوراً بارزاً في تحديد ذكاء الذرية، فالعائلة المتفوقة يولد لها أولاد متفوقون، كما أنّ العكس صحيح، فكما أن الولد يرث من والديه سمات جسمية، فإنه يرث أيضاً منهما اتجاهات عقلية.

ويظهر ذكاء الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة بنمو سريع، لهذا يجب على الأب الاهتمام الكافي بالولد في هذه السنوات الأولى من عمره، لتنمية ذكائه، وقوة فطنته، فإنه لا محالة للبيئة المحيطة بالولد تأثيرها على ذكائه، وعقله، إيجاباً، وسلباً.

ويمكن للأب أن ينمي ذكاء الولد بحضه على مزيد من التفكير والتدبير في الأمور، وبإشراكه في حل القضايا والمشكلات المختلفة البسيطة المتعلقة بالبيت. "وقد كان ابن شهاب رحمه الله يشجع الأولاد الصغار ويقول لهم: لا تحتقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم". فإذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يفعل هذا رغم وجود كبار الصحابة عنده، فنحن أحق وأجدر، ولنا في أمير المؤمنين قدوة حسنة في ذلك، فلا نقلل من شأن أولادنا، ولا نستصغروهم.

والأب يتخذ مع أولاده الأساليب الجيدة لتنمية ذكائهم، من تكليفهم بمهام ينمي من خلالها ذكاءهم، مثل أمرهم بشراء بعض مستلزمات البيت البسيطة، أو غير ذلك من المهمات السهلة، وإعطائهم الفرصة لسرد خلاصة القصة المشوقة المفيدة المحكية أمامهم، والإجابة عن أسئلة منها كأن يسألهم عن أبطال القصة، وعن الفكرة التي تدور حولها أحداث القصة، وما هي العظات، والنقاط المستفادة من تلك القصة؟.

٣ - توجيه الأطفال إلى التفكير في الكون:

ومن خلال التربية العقلية يمكن للأب توجيه الأطفال إلى التفكير في الكون، فقد ملأ الله تبارك وتعالى هذا الكون بالآيات الباهرات الدالة عليه سبحانه، ما تعجز العقول البشرية على إحصاء عددها، أو الإحاطة بجمالها. وقد دعا الله تبارك وتعالى عباده إلى التفكير والتدبر في هذه الآيات العظيمة، فقال: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"^{٧٨}، ويقول سبحانه وتعالى أمراً للمؤمنين بالنظر في الكون بعين التفكير والتبصر: "قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"^{٧٩}.

ففي هذه الآيات، وغيرها، يرشد الله عز وجل عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق الله تعالى في السماوات و في الأرض من الآيات الدالة على وحدانيته، قدرته، وسلطانه، مما في السماوات والأرض، من كواكب لامعات، وشمس طالعة، وقمر منير، وليلة مظلمة، ونهار زاهر، فهذه الآيات والآثار هي الطريق الصحيح الثاني بعد القرآن والسنة لمعرفة الله تبارك وتعالى، وإدراك قدرته، وجلالته، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باستعمال العقل والفكر والعلم. فوجود الحكمة في المخلوقات، دليل على أن الذي خلقها حكيم، كما أن وجود الإعجاز فيها دليل على أن الذي أوجدها قادر، وهكذا

٧٨ البقرة: ١٦٤
٧٩ سورة يونس، ١٠١

يجد المتفكر المتبصر، يد الله عز وجل، ولطفه، وعظمته، قد شملت كل شيء، خلقه وأوجده في هذا العالم، من الأجرام السماوية العظيمة، إلى الميكروبات الصغيرة الدقيقة، كل ذلك لله فيه حكمة وإبداع. فإشعار الوالد ولده بهذا الإبداع، وهذا الجمال والزينة في مخلوقات الله، له أثر عظيم في نفسه وقلبه،

ومن الوسائل الناجحة التي يحسن للأب أن يتخذها في هذا المجال، صعود الأب مع الأولاد على سطح البيت، للنظر في السماء، خاصة في الأوقات التي يكثر فيها ظهور النجوم، في الليالي غير المقمرة، فيوجههم الأب إلى بعض تلك الأجرام السماوية البعيدة، ويبين لهم عن أحوالها، وعظمتها، وبعض العجائب التي قررها علماء الفلك، فرصة للنظر والتأمل.

ويحاول الأب من خلال بيانه للأولاد، إظهار قدرة الله سبحانه وتعالى، مشيراً دائماً إلى جميل صنعه، وقدرته العظيمة، وإبداعه في هذا الكون، ويعطيهم فرصة للنظر والتأمل، فعند ذلك يضيف الأب قائلاً لطف الله ورأفته بأنه نظم سير هذه الأجرام مع الدقة، فلا تحيد، ولا تخطئ، ولولا ذلك اللطف والرحمة منه، لاصطدمت بعضها ببعض، ولهلك الناس كلهم.

٤ - دور القصة في التربية العقلية:

القصة تعدّ من أهمّ وسيلة تربوية في منهج التربية الإسلامية، حيث لا يقتصر دورها التربوي، وتأثيرها العاطفي والنفسي على الأطفال الصغار فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل الكبار والشيوخ. فهذا كتاب الله العزيز قد تضمن بين دفتيه المباركتين قصصاً كثيرة تربي عليها الكبار في العهد النبوي فصاروا نماذج بشرية فاقت كل جيل قبلها، وأعجزت كل جيل بعدها أن يماثلها أو يساويها.

ويوجد في القرآن الكريم عدد كثير من القصص، بعضها بتفصيل دقيق، وبعضها مع إيجاز بليغ. وإذا كان الأمر كذلك فإن استخدام الوالد للقصة في مجال تعليم الولد وتربيته، يعدّ أمراً مهماً وموافقاً لمنهج التربية الإسلامية الصحيح، خاصة وأن

التربويين كادوا أن يجمعوا على أهمية استخدام القصة في تربية النشئ، وأن لها أثراً تربوياً جيداً على شخصياتهم، فهي تقوي الخيال عندهم، وتشد انتباههم، وتنمي لغتهم، وتدخل عليهم البهجة والسرور، إلى جانب أنها تعلمهم الفضائل والأخلاق من خلال أحداثها المثيرة.

وعلى الأب مراعاة بعض الأمور عند اختياره للقصة:

أ) أن تكون مستهدفة إلى فوائد خلقية وأدبية وعلمية مع تجنب القصص السخيفة.

ب) أن تضم جانباً من الفكاهة والمرح لجذب انتباه الأولاد، وإدخال الفرح والبهجة والسرور عليهم.

د) الثناء على أصحاب الفضل في القصة، وذم أصحاب الباطل والتقليل من شأنهم.

هـ) تجنب الوقائع التاريخية التي لا يفهمها الأطفال وليس فيها دروس أخلاقية تنفعهم، مثل مقتل عثمان، أو معركة صفين، أو موقعة الجمل أو غيرها من القصص التي لا تناسب الأطفال الصغار.

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأمور بعض القضايا الخاصة بالقصص المقروءة، فيراعي الوالد أن تكون القصة مكتوبة بخط كبير جميل وواضح، وبلغة سهلة ميسرة، مع استخدام الصور الزاهية الملونة المؤثرة.

ويضاف إلى هذا النوع من القصص والروايات التي يتجنبها الوالد تلك القصص المرعبة التي تدور أحداثها حول الجن والشياطين، فإنها تضر الولد، وتوقع في نفسه الفزع والخوف، إلى جانب أنها لا تحمل قيماً، أو فائدة علمية.

والأب يجد وفرة من القصص القرآني والنبوي الذي يتميز بحقيقته وواقعيته وبعده عن الخيال والخرافة، فيقوى عند الولد صلته بالتاريخ الإسلامي المجيد، إلى جانب ما يتضمنه من تقوية العقيدة بالله، وأنه هو المؤيد للمؤمنين، المخزي للكافرين، كما أن هذه القصص يتضمن إبراز الصراع الدائم بين الحق والباطل، وانتصار الحق في النهاية، وفي القصص القرآني وصل للولد بالأمر المؤمنة السابقة وأنبيائها، فيستشعر الولد أن تاريخه يبدأ من آدم عليه السلام، وينتهي إلى آخر إنسان يقول "لا إله إلا الله" على وجه هذه الأرض، وهذا الاستشعار الهام يوقد في قلبه جذوة الإيمان، ويهبه علو

الهمة والشأن، حتى وإن كان ضعيفاً مغلوباً على أمره فهو موصول بكل هذا التاريخ الطويل المجيد الضارب أطنا به في القرون الخالية واللاحقة، أما غيره من الأعداء والمجرمين فهم مبتورون مقطوعون عن هذا التاريخ العظيم.

وعرض الأب للقصص القرآني والنبوي على هذا النحو الفريد له بالغ الأثر على نفس الولد، ففي مجال اختيار القصص القرآني يمكن أن يعتمد على القرآن الكريم وكتب التفسير، وفي القصص النبوي، يعتمد على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام، أو كتاب "زاد المعاد" لابن القيم، وبعض الكتب الحديثة، مثل كتاب "فقه السيرة" لمحمد الغزالي، أو "فقه السيرة" لمحمد سعيد البوطي، أو كتاب "الرحيق المختوم" لصفي الرحمن المباركفوري وغيرها من الكتب المشهورة في الآفاق.

ويكون دور الأب هو التحضير ثم الإلقاء، مع التركيز على العبر والعظات مستفيداً من كتاب "السيرة النبوية" لمصطفى السباعي. أما بالنسبة لاطلاع الأولاد فيكون على الكتب الصغيرة المؤلفة لهم، كسلسلة "قصص القرآن للأطفال" تأليف محمد علي قطب، وكتاب "غزوات الرسول للفتيان" لعبد المنعم الهاشمي وغيرهما. أما إن كان الولد ذا همة عالية، ولديه القدرة على القراءة في الكتب الكبيرة، المؤلفة للكبار فلا بأس مع إشراف الأب لتوضيح ما يخفى على الولد من كلمات، أو عبارات، ومعاني.

خامساً: التربية العملية (التعبديّة):

المقصود بالتربية العملية تربية الأولاد وتدريبهم وتعليمهم بكل ما هو واجب لهم من الأعمال الشرعية، حتى يمكن لهم أدائها على الوجه الصحيح المأمور. فالأولاد الذين لم يتعلموا أركان الصلاة وكيفية أدائها لن يمكنوا أن يؤدّوها على ما أمر به الشارع. فعلى الآباء والمربين ومن على عواتقهم مسؤولية التربية تعليم الأولاد الصغار كيفية الوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحجّ وغيرها من الأعمال الشرعية، حتى إذا كبروا وبلغوا حدّ التكليف استطاعوا الإتيان بها بلا اعتماد على أحد. روى البخاري في الصحيح من حديث مالك بن حويرث أنّ النبي ﷺ قال: صلّوا كما

رأيتموني أصلي" فعلينا أن نؤدّي الصلاة كما أدّى النبيّ صلى الله عليه وسلّم والمؤمن يتأسى بأفعاله وأقواله عليه الصلاة والسلام. ومن هذا الحديث نفهم وجوب تعليم الأطفال كيفية صلاة النبيّ ﷺ وتربيتهم وتعليمهم كيفية أداء جميع العبادات الشرعية قياساً على الصلاة المكتوبة. ولتكون التربية العملية أو التعبدية ناجحة في الأطفال لا بدّ من المحافظة على بعض الخصال ومن أهمّها ما يأتي:

١- تعليم الأطفال كيفية الوضوء.

لتأدية الصلاة صحيحة على الوجه المطلوب يدرّب الوالد أبناءهم في السابعة من عمرهم، أو قبل ذلك بقليل، على إتقان الوضوء، والطهارة، فيعلّمهم كيف يتطهرون وينظفون أعضاءهم الظاهرة والباطنة، فيأمرهم بتطهير أعضائهم الباطنة ويستنجون بالماء، ويسمي لهم تلك الأعضاء بأسمائها المعروفة في الشرع دون تكنية، ثم يُدرّبهم على الوضوء عن طريق المشاهدة، فيتوضأ أمامهم عدة مرات ببطء حتى يدرك الأولاد الترتيب، ويستعمل الأب الماء الفاتر بين البارد والساخن، لئلا ينفّر الأولاد من حرارته أو برودته، ولو بدأ تعليمه الوضوء في الصيف كان ذلك أرغب للأولاد لميلهم إلى التبرّد لسخونة الطقس، ويمكن تزويدهم ببعض الكتيبات المدعمة بالصور، والمخصصة لتعليم الأولاد الصغار طريقة الوضوء الصحيحة.

ويعطي الوالد أولاده الفرصة للتطبيق العملي أمامه، فإن أخطؤوا علّمهم ووجّههم، دون تعنيف أو قسوة، فإذا أصابوا وأحسنوا الوضوء مدحهم واحتضنهم وقبلهم مشعراً لهم برضاه عنهم.

ولا يكتفي الأب بمجرد تعليم الأولاد طريقة الوضوء وسننه فحسب، بل يوجههم إلى الجانب المعنوي الهام في أداء الوضوء ذلك أن الله أمر به، والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي علمنا طريقة الوضوء، فالمسلم يقتدي به في الطريقة والترتيب، ويبين للأولاد فضل الوضوء ليرسخ في نفوسهم حبه والميل إليه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه،

فإن قعد قعد مغفوراً له ^{٨٠} فيتعلم الأولاد الجانب المعنوي في الوضوء، ويعرفون أنه طهارة للبدن والنفس معاً.

٢ - تعليم الأطفال كيفية الصلاة:

وينبغي أن يبدأ الوالد في تعليم أولاده الصلاة: عن طريق المشاهدة دون التوجيه المباشر، وهذا يكون في مرحلة متقدمة جداً من أعمارهم قبل أن يميزوا، وذلك من خلال أداء الوالد صلاة النافلة، والسنن الرواتب في المنزل على مشهد من الأولاد، ومن المعروف لدى العلماء أن صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً"، وقال أيضاً: "صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة"، فهذه الأحاديث واضحة في الحث على أداء النوافل في البيت، ولا شك أن البركة تحصل في البيت بسبب هذه الصلاة، إلى جانب مضاعفة الأجر والثوبة عند الله، ويحصل بها تربية قوية وراسخة للأطفال الصغار، إذ يشاهدون والدهم يمرغ وجهه في الأرض ساجداً لله عز وجل، قائماً خاشعاً، قد انهمك في العبادة، لا يلتفت إلى من حوله، هذا المنظر الذي يتكرر أمام الأولاد الصغار يومياً -لا شك- يغرس في نفوسهم عظمة الله عز وجل، ومكانته تبارك وتعالى، إلى جانب أنه يحببهم في الصلاة لإقبال الأب عليها، كما أنهم يتعودون رؤية المصلي، ويتعرفون على أعمال الصلاة من تكبير وركوع واعتدال وسجود وقيام وغيرها.

وكثيراً ما يندفع الأولاد الصغار برغبة يقلدون أباهم، فيقفون بجواره يقتدون به في قيامه وركوعه وسجوده، دون وعي منهم أو إدراك، ولا شك أن تكرار هذا المشهد يومياً أمام الأولاد يجعل أمر الصلاة في حسهم أمراً عادياً ليس بغريب، فلا يبلغون سن التمييز إلا وقد سهل عليهم أداؤها على وجه حسن برغبة وتطلع، وهذا الأسلوب يسمى "أسلوب التربية بالعادة"، وهو من الأساليب التربوية المعروفة المشهورة،

(٨٠) مسند أحمد بن حنبل رحمه الله.

والتي يمكن أن يمارسها الأب لتعويد أولاده أمرا من الأمور، وتعليم الصلاة بهذا النوع من التربية يعد من أفضل تطبيقاته التربوية العملية.

وإذا أكمل الأولاد السابعة من عمرهم أمر الوالد بالصلاة ورغب فيها لقوله تعالى: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا"^{٨١}، وقوله عليه الصلاة والسلام: "علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر"، ويكون أمره بها إذا أتموا السابعة فأكملوها وليس قبل ذلك، بل يكتفي قبل السابعة بالممارسة العملية أمامه دون أمر، اتباعاً للسنة والهدي النبوي في ذلك، ومراعاة لطبيعة الأطفال الصغار وكرههم للتقيد، والالتزام، ورغبتهم في الانفلات والانطلاق، بخلاف أبناء السابعة فإنهم أملك لنفوسهم، وأقدر على الالتزام والتقيد إلى حد لا بأس به، وكلما كبر الأولاد كان انضباطهم أفضل وأحسن.

وتعليم الوالد أبناءه الصلاة في سن السابعة من واجبات الأب الشرعية، وليست من باب المستحبات، فقد نقل ابن قدامة رحمه الله عن أحد الفقهاء قوله: "يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها"، ويفهم من هذا أن الأحاديث والروايات الواردة في تعليم الأولاد الصلاة في السابعة وضربهم عليها في العاشرة تفيد الوجوب لا الاستحباب، فلا بد للوالد أن يدرك هذه القضية ويعرف واجباته الشرعية في هذا الجانب.

ويعود الأب أولاده المميزين الوضوء والطهارة، ويلزمهم بهما فلا يتركهم يصلون إلا طاهرين، ساترين عوراتهم، حتى يتعودوا على ذلك ويألفوه، لأنهم صائرون إليه، ولا يلتفت الوالد إلى بعض الأقوال الفقهية التي تجيز صلاة الصبي بعد التمييز ساتراً القبلى والدبر فقط دون سائر البدن، وذلك ليتعود الولد على الطهارة وستر العورة من الصغر، فلا يبلغ العاشرة إلا وقد ألفت الصلاة ساتراً كامل عورته، وملتزمًا بالطهارة والوضوء، وقد نص صاحب المغني رحمه الله على أن صلاة الصبي يشترط لها ما

(٨١) سورة طه الآية : ١٣٢

يشترط لصلاة البالغ، فإذا كان الأمر كذلك أصبح تعويد الأولاد في السابعة على ستر عورتهم، وتمام الطهارة واجباً على الأب.

أما الأولاد الصغار دون سن التمييز، والذين لا يعقلون من أمر الصلاة سوى تقليد الأب في القيام والركوع والسجود، فإن الأب لا يشتد معهم في أمر الطهارة، وستر العورة، بل يتركهم على حالهم، ولا يزرهم، ولا يكفهم عن التقليد، لأن زجرهم، وتعنيفهم والشدة معهم في هذا السن وهم غير مكلفين ينفرهم من الصلاة، ويكرههم فيها.

وتعتبر الصلاة أهم حدث ديني وأخلاقي واجتماعي وتربوي، بل وتاريخي في حياة الأطفال، فينبغي للأب أن يجعل هذا أمراً مذكوراً طول حياة الأولاد، فإذا أتموا السابعة وصلوا أول فرض: جمع لهم أبوهم بعض أصدقائهم، وإخوتهم، وعمل حفلاً صغيراً ابتهاجاً بهذه المناسبة الطيبة، ويقدم لهم ساعة يد هدية بهذه المناسبة الهامة، فهي أفضل هدية تقدم للأطفال في هذا السن، لتكون حافزاً لهم على أداء الصلاة في أوقاتها.

وإذا بدأ الأولاد بعد السابعة الصلاة بانتظام، وجب على الأب متابعتهم وتذكيرهم بها من وقت لآخر، فلا يغفلون عنها، بل يكرر عليهم الأمر مراراً وتكراراً ولا يمل من ذلك، فإن كان الأب في سفر، أو شغله شاغل عن الأولاد، وكُل من يقوم مقامه من أهل البيت ليقوم بالتذكير والمتابعة، وذلك لئلا يتجراً الأولاد على تركها بعد أن بدؤوا في أدائها، فيسوقهم ذلك إلى التهاون بها بعد العاشرة، فقد أوجب بعض العلماء على ابن العاشرة أن يعيد الفروض التي تركها.

ولا بأس - في بعض الأوقات - أن يعطي الأب أولادهم مكافأة تشجيعية على التزامهم أداء الصلاة، ترغيباً لهم في الاستمرار عليها، فقد كان بعض السلف رضوان الله عليهم يفعل ذلك، ولكن يلاحظ عدم تعويده على المكافأة دائماً، لئلا يعتادوا عليها، فلا

يصلون إلا إذا أعطوا شيئاً، ولكن يعطيهم في أوقات، ويمنعهم في أوقات، وينوع المكافآت فمرة مادية كلعبة، أو نقود أو حلوى، ومرة معنوية، وهكذا.

ويحاول الوالد أن يقرن الأمور المحببة بالصلاة، فإذا أراد أن يصطحب الأولاد في نزهة وقت ذلك مثلاً بأداء صلاة العصر، أو صلاة المغرب، أو نحو ذلك، فيتحفز الأولاد لأداء تلك الصلاة في وقتها، ولا ينسونها، لاقتربانها بمحبة، فيجتهد الأب في ترتيب جميع مواعيده مع الأولاد بأوقات الصلوات، فيتعلم الأولاد تنظيم الوقت، وتوزيعه بناء على أوقات الصلاة إلى جانب أن هذه المواعيد تذكرهم بأدائها في وقتها المعين.

ويعود الأب الأولاد، خاصة إذا بلغوا العاشرة على أداء السنن الرواتب مع الصلوات المفروضة، كسنة الفجر والعشاء والظهر والمغرب، ويعودهم صلاة الوتر وشيئاً من قيام الليل، فيأخذهم الأب إلى جانبه يصلون في الليل، اقتداء بالرسول ﷺ مع ابن عباس رضي الله تعالى عنه، فقد كان يقوم بجانب الرسول ﷺ بعض الليل إذا نام عند خالته ميمونة رضي الله تعالى عنها، وربما أخذ رسول الله ﷺ بأذنه إذا نعس لينشطه للصلاة.

ويبدأ الوالد بتعويد أبنائه الصلاة في الليل بأن يبدأ معهم بأداء شيء منها في البيت بعد صلاة العشاء مباشرة، ثم يتدرج بهم شيئاً فشيئاً حتى يمكنهم من أداء الوتر في جوف الليل، فيعلن بينهم أنه سوف يقوم ليصلي في الليل وقت كذا وكذا، ويترك الأولاد ليتنافسوا في الاستيقاظ في ذلك الوقت، دون أن يوقظهم؛ ليتعودوا الاعتماد على النفس، وتقوية الإرادة، فإن الأولاد إذا اجتهدوا في أداء النافلة وحرصوا عليها، فإنهم على أداء الفرض ألزم. ويلاحظ الوالد إذا قام بأبنائه في الصلاة أن لا يطيل، بل يخفف ترغيباً لهم على الاستمرار وصرفاً للملل عنهم، فإن نعس أحدهم أمره بالنوم وفقاً به ولا يجبره على غسل الوجه ليزيل عنه النوم.

وإذا قصر الأولاد في أداء الصلاة المفروضة بعد بلوغهم العاشرة، وجب على الأب وعظهم وتذكيرهم بها، وإقناعهم بأمر الله عز وجل، ورسوله ﷺ، وإقامة الحجة عليه، فإن استمروا في إهمالهم لها أغلظ لهم في القول، وعنفهم وهجرهم فلا يكلمهم ولا يخالطهم، ولا يمازحهم، ويحرمهم من بعض الأشياء المحببة إليهم، وهذا النوع من العقوبات النفسية له فعالية قوية وأكيدة في نفوس الأولاد، فكثير من الأولاد تكفيهم عن العقوبات البدنية، والوالد لا يستعمل العقاب البدني إلا بعد إخفاقه فيما دونه من العقوبات، فلا بأس بالضرب غير المبرح في بعض الأوقات، لقوله عليه الصلاة والسلام في الصبي إذا بلغ العاشرة ولم يصل: "واضربوه عليها ابن عشر"، ولا يصح استعمال العقاب البدني مع أولاد لم يعودهم أبوهم الصلاة منذ السابعة، فإن الأولاد الصغار لا يتعودون الالتزام بمجرد الأمر، بل يحتاج من التربية، والتعويد، والتدريب، ما يؤهلهم للالتزام الأمر، والتعود عليه، فإن قصر الوالد في تعليم أولاده الصلاة منذ السابعة وجب عليه أن يسلك معهم أسلوب التدرج والتمارين والتعويد من جديد، ولا يهمل هذه المراحل، حتى وإن تعدى الأولاد سن العاشرة، إذ لا بد من مرحلة التمرين والتدريب، فمن الخطأ أن يُظنَّ بإمكانية قيام الأولاد بأداء الصلاة عن طواعية في سن العاشرة، بل وحتى بعد البلوغ دون أن يكونوا قد حصلوا على قسط من التربية والتدريب والتعويد عليها من قبل ذلك، فلا بد للأب أن يلاحظ هذه المسألة، ويراعي أولاده منذ الصغر فيحافظ عليهم في الصلاة ولا يهملهم، ولا يقصر في حقوقهم عليه، فإن الله سائله عنهم ولا يكن غافلاً عنهم.

٣- تعليم الأولاد صلاة الجماعة:

فإذا سعى الأب في تعليم أولاده الوضوء، وأداء الصلاة، وعمل ما في وسعه ليتوضأ أولاده في أحسن صورة، فإنه يرغبهم في الصلاة مع الجماعة، فإن المساجد تعد من أهم المؤسسات التربوية في المجتمع، ففيها تقام أعظم شعائر الإسلام، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على عمّارها بقوله: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ"^{٨٢}، وهذه شهادة صريحة لعمّار المساجد بالإيمان، وقد قال بعض السلف: "إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فأحسنوا به الظن".

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الترغيب في صلاة الجماعة في المساجد، فقال: "صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بسبع وعشرين درجة"، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً الهُمُّ بتحريق البيوت على المتخلفين عن صلاة الجماعة بغير عذر لولا خوفه على النساء والأطفال.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الرجل يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يحضر الجمعة ولا الجماعة، فقال: "هو في النار"، ونقل عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم أنه لا صلاة لمن سمع النداء ولم يجب من غير عذر.

وبناء على ما تقدم يظهر للوالد وجوب أداء الصلوات المكتوبة في المساجد مع جماعة المسلمين، ولا يجوز التقصير أو التهاون في ذلك، خاصة وأن الأولاد لن يتعلقوا بالمسجد من تلقاء أنفسهم دون أن يكون للأب دور في ترغيبهم وتعويدهم عليه.

ومن خلال مشاركة الأولاد في صلاة الجماعة يتعودون تجمعات المسلمين، ويتعرفون على علمائهم الأجلاء، ويتعلمون أدب الإصغاء إلى مواظهم وخطبهم، فيتزودون بالغذاء الروحي، إلى جانب تعودهم أداء الصلاة نفسها.

والأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة يميلون بطبعهم إلى مشاركة الكبار في أداء الشعائر التعبدية، ويحبون مرافقتهم إلى دور العبادة، فيستغل الأب هذا الميل، وينميّه بالوسائل التربوية المتنوعة.

ولا ينبغي أن يهمل الوالد في اصطحاب أبنائه إلى المسجد، خاصة أبناء السابعة متذرعاً بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "جنبوا مساجدكم صبيانكم"، فهذا الحديث ضعيف لا يؤخذ به، كما أنه يعارض الأحاديث الصحيحة

(٨٢) سورة التوبة الآية: ١٨

والكثيرة الواردة في جواز ذلك، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي المسجد حاملاً الحسن أو الحسين رضي الله عنهما، وربما أطال صلاته بسبب صعود أحدهما على ظهره الشريف، وقد وصف أبو مالك الأشعري رضي الله عنه صفوف مسجد رسول الله ﷺ، فقال: "ويجعل الرجال قدام الغلمان والغلمان خلفهم والنساء خلف الغلمان"، أي: إنه كان للصبيان مكانهم المخصص لهم في المسجد، مما يدل على جواز حضور الصبيان صلاة الجماعة. ولو افترض صحة الحديث فإنه يحمل على الصغار الذين لا يدركون حرمة المسجد، ولا ينضبون فيه، وهؤلاء يجب أن يمنعوا من المساجد.

ويحاول الأب الفطن أن يكثر من ذكر المسجد عند الأولاد، وأن يقرن كلَّ جميل بالمسجد، فإذا أتاهم بلعبة أو حلوى قال: "اشتريتها لكم من قرب المسجد"، وإذا مر بسيارته من جوار المسجد قال: "انظروا إلى هذا البناء الجميل يا أبنائي، إنه المسجد، وسوف آخذكم قريباً لتصلوا معي فيه"، وهكذا يرغبهم من وقت لآخر في المسجد ويهيئهم للالتزم بالصلاة فيه.

ويحرص الوالد، خاصة في بدء ذهاب الأولاد إلى المسجد أن يرعاهم من كل ما من شأنه تنفيرهم من المسجد، فإذا كان الإمام ممن يطيل في الصلاة إطالة تخالف السنة، نبهه على ذلك وأرشده إلى التوسط، والأخذ بالسنة، وذكره بقوله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمَّ الناس فليوجز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة"، وفي رواية: "تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير والسقيم والبعيد وذا الحاجة"، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى الصغير مراعاة لحاله، وطبيعته التي تميل إلى الانفلات وعدم التقيد، إلى جانب عدم تنفيره من المساجد، وجماعة المسلمين المصلحين.

ويفضل الأب أن يكون صوت الإمام في القراءة حسناً مراعيًا أحكام التجويد، فإن الصوت الحسن محبب إلى النفوس، وأدعى إلى الخشوع وتذوق القرآن، فإن كان إمام القرية حسن الصوت، صحيح القراءة التزم الأب وأبناؤه بالصلاة خلفه، وإن لم يكن

كذلك، اجتهد الأب في أخذ أبنائه في بعض الأوقات إلى مساجد أخرى، يسمعون فيها القرآن ممن أمدى صوتاً، وأخضع تلاوة، وأكثر تأثراً.

ومن خلال تردد الوالد على مسجد القرية يحاول أن يتعرف على جيرانه من أهل المنطقة التي يعيش فيها، ويعرف أولاده على أولادهم، ويكوّن بين الجميع علاقات وأواصر محبة، فإن المساجد في هذا العصر فقدت دروها التربوي الحقيقي، وأصبحت مكاناً يؤدي فيه المسلمون الصلاة ثم ينصرفون، يدخل المصلون في صمت، ويخرجون في صمت، لايتعارفون، ولا يتناصحون، ولا يتحادثون، لهذا يعمل الوالد جاهداً على إكساب مسجد الحي طابعاً آخر، يحيى فيه جانب التعارف والتآخي بين الجيران الكبار منهم والصغار، فيتعرف عليهم، ويزورهم في بيوتهم مصطحباً بعض أولاده، ويدعو بعضهم عنده لتناول طعام الغداء أو العشاء، فتتكون علاقات وصلات بين أهل الحي.

ومن خلال هذه الصداقات والصلات بين أبناء القرية، والمشاركة في النشاطات المختلفة والمتنوعة، تتكون بينهم علاقات متينة قوية ، وصداقات حميمة، فينشؤون معاً في جو من العبادة، والصلاح، والنجاح، والرفقة الطيبة، إلى جانب زيادة حبهم، وتعلقهم بالمسجد الذي أصبح مكان تجمعهم، ونشاطهم، وبذلك يكون الأب قد وضع أبنائه على الطريق الصحيح أملاً في صلاحهم، واستقامتهم في حياتهم إذا كبروا وبلغوا.

٤ - تحريض الأطفال على صلاة الجمعة:

يقوم الأب الفطن باهتمام بالغ بتعويد أولاده وترغيبهم في أداء صلاة الجمعة مع المسلمين، فيوم الجمعة يوم عظيم للمسلمين وهو أفضل الأيام، لقوله عليه الصلاة والسلام: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها".

ويُظهر الأب لأولاده الاهتمام بهذا اليوم العظيم، وتعظيمه، و إجلاله، حتى يقع في نفوسهم حبه، وتقديره حق قدره. ويبدأ الوالد ذلك اليوم بصلاة الفجر مع أولاده في المسجد، فإذا أشرقت الشمس صلوا الضحى بما تيسر من الركعات، ثم يأمرهم بأن يستفيدوا من وقتهم بأي عمل مفيد، أو يناموا بعض الوقت استعداداً لصلاة الجمعة، ثم يوقظهم قبل موعد الصلاة بوقت كافٍ، ويأمرهم بالاغتسال والتطهر فيبدأ بأكبر الأولاد سناً، ويأمرهم بلبس أحسن الثياب، والتطيب، لقوله عليه الصلاة والسلام: "من اغتسل يوم الجمعة، واستاك، ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء الله أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام، فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها".

وتعويد الأولاد الصغار على صلاة الجمعة من واجبات الأب ومهامه، ومن المعروف أنها ليست واجبة على الأطفال الصغار شرعاً، ولكن التعويد عليها يبدأ من مرحلة الطفولة. ولا بد للوالد من الحكمة، وتقدير طبيعة الطفل، فلا يشتد مع الأولاد وهم دون سن العاشرة، بل يسلك معهم أسلوب الترغيب والتشويق، ويحاول أن يعرف سبب إحجامهم عن الذهاب إلى الجمعة، فإن كان بسبب طول الخطبة وعدم قدرتهم على امتلاك نفوسهم، وحاجتهم إلى قضاء الحاجة، حاول الأب الفطن اختيار مسجد آخر يوجز إمامه في خطبته، ولا بأس أن يتعاهد أولاده في المسجد قبل الخطبة إن كان محتاجاً إلى قضاء الحاجة أم لا؟، أما إن كان سبب زهد الأولاد في حضور الجمعة راجعاً إلى التبكير في الخروج إليها، فلا بأس أن يتأخر الأب، فيذهب قبل بدء الخطبة بوقت قصير، أو يكلف غيره اصطحاب الأولاد إلى المسجد قبل الخطبة بقليل، أو يخرج الأب من المسجد ليأتي بهم قبل الخطبة إن كان المسجد قريباً، فإن كان الأولاد قادرين على الخروج بنفسهم تركهم وشأنهم في اختيار وقت الحضور للصلاة.

أما إذا أبدى الأولاد عدم رغبتهم في حضور الجمعة لغير سبب معروف سوى الميل إلى اللعب، أو نحو ذلك، فليس على الأب محذور في تركهم مرفهين حتى يكبروا ويبلغوا العاشرة، ويدركوا فضل الجمعة، ويقدموا بنفسهم عليها راغبين فيها، وهذا ما ذهب إليه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه إذ كان يميل إلى ترك الولد الصغير وشأنه، فلا يشتد معه في حضور صلاة الجمعة، فقد روي أنه دخل مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلاماً فقال له: "يا غلام اذهب العب، قال: إنما جئت إلى المسجد، قال يا غلام اذهب العب، قال إنما جئت إلى المسجد، قال: فتقعد حتى يخرج الإمام، قال: نعم"، ففي هذه الرواية فقه لأبي هريرة، وبعد نظر، حيث لا يرى تحميل الولد ما لا يطيق من الصبر على الطهارة، والجلوس طويلاً دون لعب حتى يخرج الإمام، ثم الاستماع إلى الخطبة وأداء الصلاة، فالولد الصغير غير مكلف شرعاً، والقسوة عليه، وإلزامه بها وهو عنها عاجز، يكرهه فيها، فإذا كبر صعب عليه أداؤها على الوجه المطلوب، فالأب يفتدي بعلماء السلف في هذا، فلا يوجب صلاة الجمعة على أولاده دون سن العاشرة، بل ينتهج معهم أسلوب الترغيب دون الترهيب، فإن أقبلوا وإلا تركهم وشأنهم مرفهين حتى يبلغوا العاشرة أو ما قبلها بقليل فيبدأ معهم بالإلزام.

ويتخير الوالد من المساجد أفضلها وأوسعها وأحسنها لحضور الجمعة، فإن كان يعيش في إحدى مدن المساجد الثلاثة المفضلة قدمها على غيرها طلباً للأجر والثوبة، وإن كان في غيرها من المدن والبلاد، اختار الأب أكبرها، وأشهرها، وأكثرها جماعة، مع الاجتهاد في اختيار أفضل الخطباء، وأعلمهم، وأكثرهم رقة وخشوعاً، إذ إن للخطبة دوراً هاماً في التأثير على أخلاق الأولاد، خاصة إذا فهموها وعقلوها، فإن لم يعقلها بعضهم لصغر السن، فإن انفعالات الخطيب، ونبرات صوته، وصدق عباراته، وتأثر المصلين بخطبته، كل ذلك يؤثر في نفوس الأولاد الصغار، ويظهر هذا التأثير إذا كبروا وعقلوا.

ولا يغفل الوالد بعد الخروج من المسجد وأداء صلاة الجمعة عن سؤال أولاده عن موضوع الخطبة، وما يمكن أن يستخلصوه من الفوائد، وذلك ليعرف مدى استفادتهم

وتركيزهم مع الخطيب، فإن وجد منهم غفلة وعدم تركيز نبههم وحثهم على الفهم والإنصات، ولا بأس أن يحثهم قبل الدخول إلى المسجد على حسن الإنصات، وأنه سوف يسألهم عن مضمون الخطبة إذا خرجوا بعد الصلاة، فيكون ذلك أدعى لهم لكمال الالتفات والإنصات إلى كلام الخطيب.

٥- تمرين الأولاد على الصيام:

روي عن الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أنهم كانوا يدرّبون أبناءهم الصغار على الصيام، ويعوّدونهم عليه، وأقرهم على ذلك نبينا محمّد ﷺ، فقد روى الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عن الرّبيع بنت مَعوذ قالت: "أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم، قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار"، وجيء بسكران في رمضان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال موبخاً وزاجراً: "في رمضان ويملك وصبياننا صيام"، فهذا دليل على أن صيام الصبيان على عهد الصحابة رضوان الله عليهم كان معروفاً غير مستهجن أو مستنكر.

ولا يراد بتدريب الأبناء على الصيام افتراضها عليهم، فإن جمهور العلماء يفتون بأن الصيام غير واجبة على من هو دون البلوغ، لكن المقصود من هذه الأحاديث السابقة مشروعية تمرين الصبيان على الصيام وتعويدهم عليها. وقد كان بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم يُوقّتون بداية أمر الأولاد بالصيام إذا أطاقهم وهذا منقول عن ابن سيرين والزهري وعروة بن الزبير وقتادة رحمهم الله. والأب يقدر بخبرته طاقة أولاده ومقدرتهم على الصوم، فإن رأى فيهم قوة عليه، ورغبة فيه، أمرهم به وحثهم عليه مبيناً فضل الصوم وأجره عند الله، ولا يتقيد في ذلك بسن معينة، كما يمكن الوالد أن يُقسم النهار إلى أجزاء، فليس من الضروري أن يصوم الأولاد كامل النهار - خاصة الأولاد الصغار - فيكون الجزء الأول مثلاً من صلاة الفجر حتى صلاة الظهر، والجزء الثاني من صلاة الظهر إلى صلاة العصر، والجزء الثالث من صلاة

العصر حتى صلاة المغرب، والأولاد يصومون من هذه الأجزاء حسب طاقتهم وقدرتهم دون إجبار، فيحثهم الأب على الصوم ويكافئهم على ذلك، مع مراعاة عدم إضرار الصيام بهم.

سادسا: التربية الاجتماعية :

والمراد بالتربية الاجتماعية : تأديب الأولاد منذ صغرهم على التزام آداب اجتماعية كريمة، وأصول نفسية فاضلة نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة والشعور الإيماني القوي، ليظهروا في المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل والأدب والتصرف الحكيم. ولا شك أنّ هذه المسؤولية من أهم المسؤوليات الواجبة على عواتق المربين، لأنها تورث الشعور العميق بالاحترام والعاطفة والمحبة، وهذا الشعور الأخوي الخالص يولد في نفوسهم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من المساعدة والتعاون والإيثار والعفو والصفح، واتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كلّ ما يضرّ بالناس في أموالهم وأعراضهم خاصة في أنفسهم. ولقد حضّ القرآن والحديث الشريف على هذه الأخوة حيث يقول الله تبارك وتعالى "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" ^{٨٣}

فعلى المربين وعلى غيرهم ممن عليهم مسؤولية التربية تلقين بعض الدروس المشتملة على الحقوق الاجتماعية وأهمية تأديتها في إقامة المجتمع الصالح. ومن أهم الحقوق الاجتماعية: حقوق الوالدين، وحقوق الجيران، وحقوق المعلمين وغيرهم ممن يجب على الأولاد مراعاة حقوقهم وامتثال أمورهم. وتكون التربية الاجتماعية متأثرة في قلوب الأولاد الصغار لا بدّ من المحافظة على بعض الخصال ومن أهمّها ما يأتي:

٨٣) آل عمران، الآية: ١٠٣

(١) - تعليم الأولاد حقوق الوالدين:

فيقوم المربي بتعريف الأولاد بحق والديهم عليهم وقد قال سبحانه " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا " وقال أيضا: "وَصَيَّنَّا الْإِنْسَانَ بِالذِّهْنِ حُسْنًا"^{٨٤}

قال الإمام ابن كثير رحمه الله "أمر الله تعالى عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق"^{٨٥}

(٢) - تربية الأطفال على احترام العلماء والأساتذة :

فمن التربية الاجتماعية توقير العلماء الكرام ومحبتهم، لأنهم ورثة الأنبياء والمرسلين ومشاعل النور للناس، وسادتهم، من اتبعهم على هدى كان من الناجين المفلحين، ومن خالفهم على عناد وكبر كان من الضالين الخاسرين.

وقد جاء عن الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم مدحهم ورفع منزلتهم حيث قال سبحانه وتعالى: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"^{٨٦}، وقال عز وجل مفرقا بينهم وبين غيرهم من الجهال: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ"^{٨٧}، ووصفهم الرب سبحانه وتعالى بالخشية فقال: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"^{٨٨}.

فالعلماء هم أحباء الله وأولياؤه، وأعلم الناس به، وهم أهل خشيته، ولا بد أن يكونوا كذلك. فإن من زاد علمه بالله تعالى، وعرف عظمته وهيئته، وقعت في نفسه -لا شك- الخشية منه، والمهابة لجلال قدره وعظيم شأنه. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم

^{٨٤} العنكبوت: ٨

^{٨٥} تفسير ابن كثير - ج ٦ - ص ٢٣٨

^{٨٦} سورة المجادلة: ١١

^{٨٧} سورة الزمر ٩

^{٨٨} سورة الفاطر: ٢٨

في بيان فضل العلماء على غيرهم، وكيف أن الله اختارهم واصطفاهم وفضلهم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" فهم موقع رحمة الله ومنته وفضله، ويقول ابن رجب رحمه الله مبيناً منزلة العلماء وقدرهم: "إن لم يكن العلماء والفقهاء أولياء الله فليس الله ولي".

ومن هذا البيان يتفهم فضل العلماء ومنزلتهم عند الله فإذا كانوا هم أولياء الله وأحبابه وخاصته، فإن حبهم وموالاتهم واجبة، كما أن مخالفتهم، وعدم الاكتراث بهم، والوقوع في أعراضهم، حرام لا يجوز في حق غيرهم من العامة فكيف بهم؟ لهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم على تعظيم حق العالم ومعرفة منزلته وتوقيره فقال: "ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا" أي يعرف قدر وفضل العالم.

ويوقع الوالد في نفس الولد المهابة للعالم، فهذا منهج السلف الصالح في توقير العلماء والفضلاء، فقد روي أن ابن عباس رضي الله عنهما هاب أن يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن مسألة حتى مرّ عليه عام، ثم سأله عندما حانت فرصة مناسبة لذلك. ويجهد الأب على إحضار أولاده لدروس العلماء العظام ومواعظهم وسبقهم في المساجد، أو الأندية الثقافية، ويحاول أن يربطهم بهم في هذه الدروس، فيتعودون على حضورها ولا يملون من الجلوس. وإذا بدا للأولاد سؤال وجّههم الأب لأن يسألوا العلماء، فإن كانوا في المسجد أمرهم بأن يسألوا الخطيب، وإن كانوا في البيت أمرهم أن يتصلوا بأحد العلماء بالهاتف، ولا بأس أن يعودهم المراسلة في ذلك، فملازمة العلماء في حلقاتهم ومجالسهم ومزاحمتهم هي نصيحة لقمان عليه السلام لابنه حيث قال له: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر".

ويحسن للأب أن ينظم مع أولاده زيارات لبعض العلماء في البلد، فيمكن لهم أن يتعرفوا على العلماء الكرام والمشائخ العظام، وهذه الزيارة لا شكّ تحصل لهم الفرصة ليتحدثوا معهم وليزيلوا شكوكهم وليتصلوا بهم مباشرة، فيسألوهم ما بدا لهم،

وهؤلاء العلماء يرشدونهم ويعلمونهم ما يناسبهم من العلوم السهلة الموافقة لسنهم وحالهم.

٣ - تعليمهم حسن المعاملة مع الأقارب:

ومما يجب على الوالد تعليم أولاده صلة الرحم وحسن المعاملة مع الأقارب، فالأب يُنمّيها في نفوس أولاده ويربيهم عليه، والأمر بذلك واضح في القرآن المجيد قال الله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"^{٨٩}، وقال في موضع آخر: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى"^{٩٠}، فهذا أمر واضح من الله تبارك وتعالى بالإحسان للقرابة، والحذر من إيقاع الأذى بهم عن طريق هجرهم أو مقاطعتهم .

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" وقال أيضاً: "لا يدخل الجنة قاطع" وفي هذا تحريم بيّن، وترهيب واضح لقاطع الرحم المسيء للأقارب، الصادّ عنهم والناشز لهم.

ويمكن للوالد في هذا المجال أن ينتهج مع أولاده أساليب شتى وطرقاً مختلفة تؤصل مبدأ صلة الرحم، وتعدّ من أهم هذه الأساليب والوسائل: الزيارة بين الأقارب، فيتخيّر الوالد الوقت المناسب لزيارة الجد والجدة -إذا لم يكونا معه في نفس السكن- ويصطحب معه الأبناء، خاصة المميزين منهم، ويحاول أن تكون زيارة الأجداد والجدّات زيارة دائمة متكررة، إذ إن حقوقهم كبيرة، وشأنهم عند الله عظيم خاصة بالنسبة للوالد نفسه.

ويحاول الوالد أن يشوق الأبناء لزيارة الأجداد والجدّات بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها من الآثار، ويذكرهم بفضل هذه الزيارات، وأجرها وثوابها عند الله،

٨٩) سورة النساء، رقم الآية: ١
٩٠) سورة النحل، رقم الآية: ٩٠

ولا يغفل عن مكافأتهم إن أحسنوا التأدب في الزيارة، فإن كبار السن لا يحتملون عادة إزعاج الأولاد الصغار، وكثرة حركاتهم.

ولو أحس الأب بملل الأبناء، وخشي أن يتبرموا من القعود مع الكبار، والاستماع إلى حديثهم الذي لا يفهمونه جيّداً، فلا يقسُ الوالد على أولاده ولا يجبرهم على هذه الزيارة، بل يحاول أن يأخذ بعضهم دون بعض بالترتيب، ويكثر مكافأتهم ومدحهم بالأجر والثواب، ويلحق هذه الزيارة ببرنامج ممتع مطرب مثل الذهاب إلى حديقة الحيوان، أو الخروج إلى النزهة، أو غير ذلك من المرغبات التي تسهل على الأطفال القيام بهذه الزيارة المملة في نظرهم وموازينهم.

أما زيارة الأخوال والخالات والأعمام والعمات وباقي الأقارب فهي دون منزلة زيارة الجد والجدة، فإنّ هذا النوع من الزيارات يشناق فيه الأبناء عادة، وذلك لأنه في المعتاد يكون لدى الخال أو الخالة والعم أو العمّة، أطفال في سنهم وعمرهم يرغبون في رؤيتهم واللعب معهم، فلا يحتاج الوالد إلى كثير جهد وتعب في ترغيب الأولاد في هذا النوع من الزيارات.

ويحاول الوالد أن يوجه الأبناء إلى إحسان النية والقصد قبل القيام بالزيارة والخروج لها، بأن تكون نيتهم لله خالصة فيسألهم الأب: "لماذا نزور الأخ فلاناً"؟ فيقولون: "لأن الله أمرنا بذلك"، ويركز الوالد على هذا الجانب ليقوي صلّتهم بالله تبارك وتعالى، ويدربهم على تحسين القصد والنية، لأن مقصد الولد في هذه الزيارة يكون غالباً للعب مع ابن خاله فلان، أو لركوب دراجته الجديدة، أو للعب بالكرة، أو لغير ذلك من المقاصد.

ومما ينبغي أن يعلم أنّ للزيارات الرسمية بين الأقارب مثل الولائم، والعقيقة، والدعوات، وغيرها من الدعوات الرسمية دورها في تقوية أواصر المحبة بين الأقارب، لهذا فإن الأب يجتهد في حضورها، وأخذ الأبناء إليها، وذلك لإجابة الدعوة، وصلة الرحم والتقاء الأبناء مع الأقارب من الصغار والكبار، ولتعارفوا

بينهم، ويعتادوا رؤيتهم فقد أقر النبي ﷺ هذه الزيارات وحث عليها، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "أبصر النبي ﷺ - نساء وصبياناً مقبلين من عرس، فقام ممتناً، فقال اللهم أنتم من أحب الناس إلي"، فهذا إقرار منه عليه الصلاة والسلام بمشروعية اصطحاب الأطفال إلى الأعراس، وحضورهم اجتماع الناس والأقارب.

ولا يقتصر الأب لصلة الأرحام على الزيارات فقط، بل يدخل فيها كل خير يمكن إيصاله إليهم من هدية، أو مال، أو معروف، أو كلمة طيبة، أو غير ذلك من البر حتى السلام، فقد ورد في الحديث: "بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام".

ولا بأس للأب أن يعلم أولاده كيفية استخدام جهاز الهاتف لتحقيق مبدأ صلة الرحم عندهم، ثم يكلفهم الاتصال بالأقارب والأرحام والسؤال عنهم، وعن أحوالهم، خاصة المقيمين منهم خارج المدينة. وهذا الأسلوب ممكن أن يكون ناجحاً في هذه الأيام، خاصة وأن أكثر الناس قد انشغل بنفسه، وأصبح اجتماع الأقارب وزيارتهم من الصعوبة الكبيرة، فلو تدرّب الأبناء على الاتصال بالأقارب، خاصة في المناسبات للسؤال عنهم وإبلاغهم السلام فإن في ذلك نفعاً كبيراً، وتدريباً عملياً لهم على صلة الرحم، كما يمكن للوالد استخدام أسلوب تدريب الأولاد على كتابة الرسائل، وهذا يكون مع الأولاد الكبار القادرين على الكتابة، فيشجعهم الأب على كتابة الرسائل الحاملة للتهاني في المناسبات الشرعية المختلفة، ويكافئهم على ذلك، ويثني عليهم.

٤ - تعليمهم آداب المجلس:

ومن المعلوم لدى الجميع، أن للمجلس آداباً وأخلاقيات ينبغي مراعاتها والاعتناء بها، وذلك لينشأ الأولاد متشبعين بالخلق الحسن والأسلوب الرفيع، فما أن يكبروا إلا ويقبل عليهم الناس محبة فيهم، ورغبة في مخالطتهم، وأنساً بقربهم. ومن أهم هذه الآداب: حسن الضيافة والاستقبال، فإن كثيراً من الأولاد الكبار لا يحسنون استقبال الضيف، أو التفاهم معه، ومعرفة طلبه، وذلك لأنهم لم يتدربوا عملياً على هذا السلوك، والواجب على الأب المسلم أن يُعرّف أولاده كيفية استقبال الضيوف، وكيف يكلمونهم، وبأي أسلوب يحدثونهم، وذلك تحقيقاً لأمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذ يقول "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". وهذا يبدأ نظرياً بالبيان والتعليم، ثم يمارس عملياً، فيترك الوالد لولده فرصة لتطبيق ما أرشده إليه في هذا المجال، فإن كان الأب في انتظار شخص ما، أو قريب ما، أو كل إلى الولد استقباله بعد أن يكون قد عرفه الأسلوب الحسن والطريقة المثلى في ذلك، مع إرشاده إلى المكان المراد استقبال الضيف فيه.

ويحاول الأب أن يراقب الولد عن كثب، ليعرف مدى نجاحه في التطبيق، ويرشده إلى الأخطاء التي عملها إن وجدت مع مكافأته. وبهذا الأسلوب يتدرب الولد على مخالطة الناس، وتتكون لديه القدرة على التفاهم والجرأة، فلا يهاب الغريب، ولا يخجل من الضيف والشيخ الكريم. كما يوأييه أمر خدمة الضيف من تقديم المرطبات والماء، ومائدة الطعام، أو مساعدته للوصول إلى دورة المياه، وغير ذلك من الخدمات. ولا ينبغي أن يفهم الأب من ذلك أنها مهانة للطفل، أو تحقير له، أو إلغاء لشخصيته، وهضم لحقوقه، بل يجب أن يعرف أن هذا هو نهج خير الخلائق محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان يقوم بنفسه أحياناً فيخدم الضيوف وذلك مع جلالته قدره وعظيم منزلته ورفعة مكانته، وكذلك نبي الله إبراهيم عليه السلام.

ويعود الأب ولده أدب المجلس فإذا حضر الكبار استمع إلى حديثهم، فلا يتكلم إلا إذا طلبوا منه، وهذا نهج أبناء الصحابة إذا حضروا مجالس الكبار، فقد روى البخاري في صحيحه أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها؟ فوقعت في نفسي النخلة فكرهت بأن أتكلم وثم أبو بكر وعمر، ويظهر من هذه الرواية أدب الصغير في مجالس الكبار، فلا يتكلم إلا عند الحاجة وإذا طلب منه، وهذا الأدب يُعلمه الأب ولده، وينبئه عليه، فلا يكثر الكلام واللغط في المجلس، فهذا من قلة الحياء.

ومن آداب المجلس أيضاً تعويد الأب ولده على آداب العطاس والتثاؤب، فإن الولد إن لم يتعلم تلك الآداب والسنن، ويتدرب عليها ربما فتح فاه أمام الناس داخل المجلس بصورة قبيحة، وربما عطس أو سعل في وجه أحد الجالسين فأصاب بعضهم من

الرداذ المتطاير إلى جانب رفع الصوت بتركه تخمير وجهه، وهذا لا شك من سوء الأدب، وقبح التصرف. والولد لا يُعاتب في ذلك إن لم يكن قد أدب ووجه إلى الأسلوب الصحيح عندما تعتريه هذه الأحوال البشرية الطبيعية، إنما يعاتب المربي. والسنة في العطاس هي تغطية الوجه باليد، أو بالثوب، أو نحوهما، وذلك لما روى الترمذي رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغط بها صوته، والأفضل هو تغطية الوجه عند العطاس بمنديل، إن وجد، أو بالثوب، أما باليد فلا يفعله إلا إذا عدم المنديل، أو لم يتمكن من وضع ثوبه على وجهه وذلك لأنه يخرج من العطاس عادة رذاذ ومخاط فلا يكون لائقاً أن يصيب يده ثم يمسحه في ثوبه، أو في الأرض، ثم يصفح الداخلين إلى المجلس، والأليق هو تعويد الولد على حمل المنديل في الجيب فإن احتاج إليه أخرجه وتنظف به. ويعود الولد على كظم صوته عند العطاس، ويعلم حمد الله بعده، ويذكر إذا نسي كأن ينظر إليه، أو يقول له الأب: "ماذا يقول المسلم إذا عطس؟" وهكذا حتى يتعود على هذا الأدب ولا ينساه.

أما التثاؤب فهو مكروه، ومن فعل الشيطان، والأدب الإسلامي في ذلك هو ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن حيث قال "التثاؤب من الشيطان، فإذا تثأب أحدكم فليردّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان"، وذلك لأن التثاؤب من الكسل وثقل البدن، والميل إلى الاسترخاء، وهو بعكس العطاس الذي يدل على النشاط والخفة، وقد ذكر العلماء سبب تغطية الوجه ووضع اليد على الفم ذلك لئلا يضحك الشيطان من الإنسان بتشويه صورته ودخوله في فمه. وهذا الأدب يعلمه الأب ولده بالتكرار والتنبيه، مع إفهام الولد أن التثاؤب من الشيطان، وأنه يضحك عليه إن تثأب ولم يغط فمه، ويحاول الأب أن يريه شكل المتثائب الذي لا يتأدب بهذا الأدب النبوي الرفيع، كيف أن فاه قد فتح بصورة بشعة تدل على خفة العقل وضعفه، فيرشده إلى النظر في المرأة، وكيف أن المتثائب قبيح المنظر بشع الصورة، وبذلك ينفر الولد من هذا السلوك، ويعتاد ذلك الأدب.

ومن آداب المجلس أيضاً شكر المضيف والدعاء له فإنه "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" فشكر الناس على حسن صنيعهم أمر مهم ومطلوب وهذا الأدب يعود الأب ولده عن طريق القدوة والتوجيه، فيأمره قبل الانصراف من المجلس أن يقول لصاحب البيت: "جزاك الله خيراً"، "جزاك الله أحسن الجزاء"، أو نحو ذلك من عبارات الدعاء والثناء، فيتعلم الولد أدب التعامل مع الناس، وخفض الجناح، وتقدير المعروف، ورده لأصحابه.

وإمامنا الغزالي رحمه الله يذكر بعض الآداب التي ينبغي للأب تعويد ولده عليها وإلزامه بها في المجلس، فيقول: "وينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه، ولا يمتخط، ولا يتشاءم بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل، ويعلم كيفية الجلوس، ويمنع لغو الكلام وفحشه" وهذه الآداب التي ذكرها الغزالي رحمه الله لو تمكن الأب من تعويد ولده عليها لكان الولد وأبوه قدوة حسنة لغيرهم، ونموذجاً إسلامياً يقتدى.

وعندما يدعى الوالد وابنه إلى وليمة، أو لقاء اجتماعي، أو نحو ذلك يحاول قدر المستطاع أن يلصق ابنه به، ولا يترك بينهما فرجة لإمكانية جلوس أحد بينهما، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام "ولا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس" ولعل السبب أن هذا يحزن الولد وأباه، كما أن هذا التفريق بين الأب وولده في المجلس يحرم الأب فرصة مناسبة لتوجيه الولد عند صدور خطأ منه، أو سوء تصرف في المجلس، خاصة إذا كان الولد صغيراً، كما أن هذا التصرف من الجالس بين الأب وولده يعد من سوء الأدب إن كان عالماً بذلك، وعلى الأب أن يمنعه من هذا المجلس بحسن التصرف، ومن أفضل الوسائل عدم ترك فرجة بينه وبين أولاده. ولا ينسى الأب تحفيظ ولده الدعاء المأثور عند ختام المجلس وقوله عليه الصلاة والسلام "من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك" وهذا التعويد يكون بالقدوة، فلا يقوم الأب من مجلس في البيت أو غيره إلا ويقول هذا الدعاء، رافعاً به صوته ليتعلمه الولد ويقتدي بأبيه، فإن نسي الولد ذكره.

ولابد من ملاطفة الأولاد في المجلس، خاصة الصغار منهم، وعدم تحقيرهم، أو طردهم من المجلس، فقد كان بعض الأطفال الصغار يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلّم وقد كان عليه الصلاة والسلام يعطف عليهم، ويدخل عليهم السرور بإعطائهم ما يحضره من فاكهة وغيرها عندما يؤتى بها في أول الثمر والإنتاج، والأب يقتدي في هذا بالرسول صلى الله عليه وسلّم، فيحسن على الأولاد في المجلس، ويعطيهم من الطعام والفاكهة والحلوى ما يُفرّحهم ويدخل عليهم الأُنس والسرور، ولا يمنعهم من الجلوس مع الكبار والكرام .

سابعا: التربية الجنسيّة:

والمراد من التربية الجنسيّة تعليم الأولاد وتفهمهم وتوعيتهم ومصارحتهم منذ أن يعقلوا القضايا التي تتعلّق بالجنس وترتبط بالغريزة وتتصل بالزواج، حتى إذا شبّوا وترعرعوا وتفهموا أمور الحياة، عرفوا ما يحلّ لهم، وعرفوا ما يحرم عليهم، وأصبح السلوك الإسلامي المتميّز خلقا لهم وعادة، فلا يسرون وراء شهوة ولا يتخبطون في طريق التحلل. فالله تبارك وتعالى يرشد المربّين والآباء والأمّهات ومن على عواتقهم مسؤولية التربية إلى أصول التربية المنزليّة في استئذان الصغار على أهلهم حينما يكونون في سنّ ما قبل البلوغ، ويعلم الأولاد الصغار الذين لم يبلغوا الحلم أصول الأدب مع الأهل، وأما إذا بلغوا سنّ الرشد والبلوغ فعلى المربّين أن يعلموهم آداب الاستئذان. وتكون التربية الجنسية مفيدة للأولاد الصغار لا بدّ من المحافظة على بعض الخصال ومن أهمّها ما يأتي:

(١) - أدب الاستئذان:

في عصرنا هذا تعم الثورة الجنسية كل مكان، فلا تكاد بقعة من بقاع الأرض تخلو من هذه الإثارة المنحرفة. ولما كان سلطان المربّين والآباء المصلحين في الأرض ضعيفاً، فلا طاقة لهم يحمون بها أولادهم خارج البيوت من آثار هذه المظاهر الجنسية المنحرفة الخاطرة، سوى ما يلقونه إليهم من المعاني الصالحة الطيبة،

ومبادئ التربية الجنسية، والتقليل من اختلاطهم بالمجتمع المتسبب لذلك. فإن واجب المرين ومن على عواتقهم مسؤولية التربية في حماية أبنائهم داخل البيوت من هذه الثورة الجنسية ومظاهرها المنحرفة فرض لا يُعذرون في الإهمال والترك.

ومن أهم الأسباب التي يتخذها الوالد لحماية الأبناء داخل البيت: تلقينهم وتعليمهم آداب الاستئذان، التي تحميهم من احتمال وقوع أعينهم على ما يثيرهم جنسياً، كما تحفظهم من أن تشغل عقولهم بقضايا متعلقة بالجنس لا يجدون لها غالباً تفسيراً كافياً، لضعف عقولهم، وقلة خبرتهم بهذه الشؤون.

وتنبهها على أهمية هذا الأدب الإسلامي، فقد ورد ذكر الاستئذان وآدابه في القرآن المجيد، حيث حدد الله تبارك وتعالى أوقات الاستئذان، والأوقات التي لا يُشرع فيها استئذان، فقال عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"^{٩١}، وهذا الأدب يخصّ الخدم المملوكين، والأولاد الصغار دون سن التكليف أي قبل البلوغ. فهم مأمورون بالاستئذان قبل الدخول على أهل البيت من الأب، أو الأم، أو الأخوات، أو غيرهم. قال جابر رضي الله عنه: "يستأذن الرجل على ولده، وأمه وإن كانت عجوزاً وأخيه وأخته وأبيه". وهذا الاستئذان يكون في الأوقات المتوقعة انكشاف العورات فيها، والتخفف من الملابس، وهي "حين الاستيقاظ من النوم، وحين إرادة النوم، وحين القائلة" ففي غير هذه الأوقات يحل للطفل المميز الدخول على أهل البيت دون استئذان، ولكن يستحب له إلقاء السلام، لقوله صلى الله عليه وسلّم لأنس بن مالك رضي الله عنه: "يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك". فمن بركات هذا السلام وفوائده: مزيد من الحيطة، وإشعار لأهل البيت بالقدوم.

(٩١) سورة النور: الآية ٥٨

ويمكن تحديد سن الاستئذان للأولاد بسبع سنين، حين يدرك الأطفال في هذه السن بعض القضايا المتعلقة بالجنس، فيبدأ معهم في هذا السن بالتربية الجنسية الحسنة.

ومن العلماء من يرون أن فتح الباب، ورفع الأستار، وتخصيص غرف لكل نوع من أنواع الأسرة يكفي عن الاستئذان، ففتح الباب، ورفع الستر، يعد إذناً بالدخول لمن شاء. وبناء على ذلك فإن الوالد، وكل من يخشى انكشاف عورته من أفراد الأسرة يؤمر بإغلاق باب غرفته بالمفتاح، أو نحوه ليكون ذلك إعلماً للأولاد بعدم الدخول، فإن حدث شيء وغفل الأب أو غيره عن إغلاق الباب ودخل الأولاد الغرفة بغير استئذان، وشاهدوا منظراً جنسياً، فإن ذلك يسبب لهم إزعاجاً نفسياً كبيراً، لهذا وجب أخذ الاحتياطات اللازمة لمثل هذه الحالات المقلقات. ويُدرّب الأولاد على طرق الباب دائماً كلما دخلوا من باب مغلق، فإن لم يفعلوا مرة: أمرهم بالعودة والطرق من جديد ليتعلموا ويتعودوا.

(٢) - حفظ الأولاد من فاحشة الزنا:

ومما لا يختلف فيه اثنان أنه قد زُين حب النساء والميل إليهن في صدور الرجال، كما رُكِّز ذلك أيضاً في قلوب النساء، وذلك لحكم عظيمة أرادها الله تبارك وتعالى من استمرار النوع البشري، والشعور بالأمن والسكون وغير ذلك من الحكم، وقد أشار الله عزّ وجلّ إلى هذا الميل بقوله: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ"^{٩٢}، وبدأ سبحانه وتعالى في الآية بذكر حب النساء قبل باقي المحبوبات وذلك لكثرة الميل إليهن والرغبة فيهن.

ولما كانت فتنهنّ وضررهن على الرجال كبيرة: حدّر النبي ﷺ من ذلك، فقال: "ما تركت بعدى على أمتي فتنة أضّر على الرجال من النساء". لهذا حرم على النساء قصد إثارة الرجال عن طريق إظهار الزينة والتبرج، أو الخضوع في القول أو التكسر

(٩٢) آل عمران: ١٤

في المشية، وأمرن بالتستر والاحتجاب. لهذا يجب على الوالد المحافظة على نفسية الأولاد من رؤية النساء المتبرجات، والاختلاط بهن، إذ إن الأولاد قبل البلوغ في بعض الحالات يميلون ويرغبون في النساء، لهذا فإن اختلاطهم بالنساء يعد من أعظم أسباب الزنا، ووقوع الفاحشة، خاصة وأن شدة الإثارة الجنسية من حول الولد تثير فيه الرغبة والنزعة الجنسية.

فيجب على المربين والآباء التفريق بين الأولاد في الغرفة عند النوم -خاصة بينهم وبين البنات- لقوله ﷺ: "مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع". فإن كثيراً من الانحرافات الجنسية المبكرة يعود سببها إلى إهمال التفريق بين الأولاد في المضاجع، ونومهم مع الأبوين في غرفة واحدة والله أعلم.

فعلى الأب الفطن أن يحدّ مجال الاختلاط بين أولاده الكبار والقريبات من غير المحارم في حدود المصافحة، ومجالس الدروس العلمية، والجلوس على الطعام، والكلام البريء في البيت مع أفراد الأسرة الكبار كالأب والأم وغيرهما. وهذا من الخطأ، إذ إنّ الأولاد إذا لم يتعودوا غض البصر، والبعد عن مجالس النساء قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإنهم يتعودون على ذلك كلما كبروا، ويتلذذون بمصافحتهن، ورؤيتهن، والحديث معهن، فيصعب على الوالد بعد ذلك التفريق بينهم إذا كبروا، كما يجب عليه حفظ أولادهم بعدم أخذهم إلى الأسواق، خاصة التي يكثر فيها النساء حيث التبرج، وإبداء الزينة، والسفور، والغزل المعلن بين المراهقين، فإن هذه الأماكن لا ينبغي دخولها إلا لحاجة، أو ضرورة. فقد أشار الشيخ ابن تيمية رحمه الله إلى "أنه لا يجوز ارتياد الأماكن التي يشاهد فيها المنكر ولا يمكن إنكاره، إلا لضرورة شرعية، فما يحتاجه الأب لأولاده من المشتريات يمكن أن يتولى بنفسه تأمينها دون اصطحاب الأولاد، حفاظاً عليهم من رؤية المنكرات"، وبذلك يكون الأب قد اتخذ الأسباب الشرعية للمحافظة على أولاده، وحمايتهم من بعض الانحرافات الجنسية.

ولعظم أهمية هذه التربية وكثرة آفاتها، على المرّبين وغيرهم ممّن عليهم مسؤولية التربية أخذ الوسائل الناجحة لحماية أولادهم من الانحرافات الجنسية، وتلقينهم الدروس المفيدة فيما يتعلق بالأمور الجنسية، وتوعيتهم عن آفاتها ومآلها المؤلمة، من:

أ. توعية الأولاد وتجنّبهم عن الإثارات الجنسيّة.

ب. توعية الأولاد وتفهمهم خطيرة الاختلاط بين الجنسين.

ج. منع أولادهم من دخولهم على النساء الأجنبيّات، وكذا منعهم من النوم مع أخواتهم في مضجع واحد وهم في سنّ العاشرة وما بعدها، لأنّ ذلك مما يثيرهم جنسيّاً ولا سيّما حينما يضمّمهم وإيّاهن لحاف واحد.

د. مراقبة تحديق نظر الأولاد إلى مكان العورة المكشوفة من المرأة وهم في سنّ التمييز وما بعده، وتوعيتهم وتفهمهم ونصحهم بحسب مقتضى الحال والمقام .

هـ. عدم إفساح المجال للأولاد ليروا في البيت من شاشة التليفزيون المناظر المثيرة، والتمثيلات الماجنة والدعايات الفاجرة، فإنّ ذلك مما يثيرهم جنسيّاً.

٣ - إعطاء المعلومات الجنسية في وقت مناسب:

يعتبر ميدان التربية الجنسية ميدانا خصباً لأهل الأهواء لنشر باطلهم، وأفكارهم الضالة، وانحرافاتهم الخلقية، بدعوى العلم والموضوعية. زاعمين خوفهم على النشئ الجديد من العقد النفسية، والضلال الجنسي، فمنهم من يزعم أن للطفل نشاطاً جنسياً يبدأ من ميلاده، يتمثل في علاقة الولد بأمه، وكرهه لأبيه الذي ينافسه عليها، ويسمون هذا النوع من الشعور "بعقدة أوديب". وبعضهم لا يرى مانعاً من نظر الولد لعورة والديه في بعض الأحيان، ولا بأس عندهم من أن يتناول الأطفال من أبناء الأسرة الواحدة فروج بعضهم البعض. والبعض الآخر من هؤلاء يسعى نحو تخفيف تأنيب الضمير لدى متعاطي العادة السرية فيزعمون أنها لا تضر الجسم.

وهكذا تنتشر الكتابات الكثيرة في هذا المجال الخصب ليضلوا بها الآباء وغيرهم عن قصد، أو عن غير قصد، معتمدين على بعض الوقائع، أو التجارب، أو الآراء

والاتجاهات الشخصية. ولعل لهؤلاء وأتباعهم من أهل الملل الضالة شيئاً من العذر، لقلّة ما في أيديهم من وحي الله المبارك. أما المسلمون فلا عذر لهم يُقبل بعد أن حباهم الله بهذا الدين، وحفظه لهم دون تحريف، أو تبديل، ففيه الهدى والكفاية عن اتباع أهواء أهل الكتاب، ومن شابههم من أهل المذاهب الضالة.

وقد تضمن القرآن الكريم، والسنة المطهرة آداباً، وتوجيهات كثيرة في هذا المجال، فالاستنجاء، والطهارة، وآداب الغسل، والوضوء للصلاة، تعد مدخلاً جيداً للتربية الجنسية في مرحلة الطفولة، فيتعلم الولد أسماء الأعضاء التناسلية من خلال الممارسة العملية عند تدريبه على الاستنجاء بنفسه، فتسمى له هذه الأعضاء بأسمائها الصحيحة المؤدبة دون الأسماء العامية المنتحلة القبيحة، فيقال له عند التدريب: (اغسل ذكرك، أو قضيبك هكذا، واغسل خصيتيك هكذا، ونظف دبرك وذكرك هكذا)، وبهذه الطريقة يتعلم الولد كيف ينظف نفسه، إلى جانب أنه يتعلم أسماء هذه الأعضاء من المصدر الصحيح الموثوق.

وعلى الوالد أن يعلم أن عدم إعطاء الأولاد المعلومات الصحيحة الكافية حول القضايا المتعلقة بالجنس، سوف يدفع الأولاد للحصول على معلومات من جهات مشبوهة فيؤثر ذلك على أخلاقهم، ونفسياتهم، وعقولهم. ولا ينبغي أن يعتقد الأب حرمة الحديث عن القضايا المتعلقة بالجنس، وتعليم الأولاد الاتجاهات الصحيحة في ذلك، بل هي جائزة، وربما كانت واجبة في بعض الأحيان إذا ترتب عليها حكم شرعي.

والطفل بين السنة الثانية والثالثة يستطيع أن يدرك الفرق بين الجنسين: كأبويه، وإخوته، وأخواته. ويمكن أن يبدأ الأب معه في التربية الجنسية في هذا الجانب إذا أكثر من الأسئلة حول هذا الموضوع، ولو حظ انشغال ذهنه به. ويخجل الآباء من الإجابة على أسئلة الأولاد، ومصارحتهم ببعض القضايا الجنسية، مثل الفرق بين الولد وال بنت، وهذا أمر طبيعي، إلا أن هناك مفهوماً ينبغي أن يدركه الآباء، وهو: أن سؤال الطفل عن الجنس، وما يتعلق به من اختلاف بين الذكر والأنثى، وغير ذلك لا يختلف عن سؤاله عن لون السماء، وذلك لأن خلفية الولد عن هذا الموضوع ضحلة، وربما أنه لا يعرف عنه شيئاً، فهو لا يدرك العلاقات الجنسية بين الكبار، وأن

الحديث عن هذا الموضوع من العيب إلا في عامه الثامن، لهذا فإن هدوء الأب، واتزان، وجوابه للولد عن سؤاله بالمعلومات الصحيحة المقنعة، والمناسبة لسن الولد، يعد الأسلوب التربوي الصحيح في هذا الجانب. فإذا سأل الطفل عن العلاقة بين الجنسين، أو كانت لديه أفكار مشوشة حول هذا الموضوع، فإن الأفكار الصحيحة تقرب إلى ذهنه من خلال اطلاعه على العلاقات الجنسية عند الحيوانات، وكيف تتم عملية تلقيح النباتات، مع ملاحظة عدم التعمق في تفاصيل جانبية كثيرة، ولتطبيق هذا الاقتراح يؤخذ الولد إلى حديقة الحيوان ليشاهد شيئاً من ذلك، أو تشرح له عملية التلقيح في النبات، وكيف أنه لا ثمرة إلا بهذا التلقيح، كما أنه لا حمل، ولا مولود إلا بهذا الاتصال الجنسي، على أن لا يخوض معه في كيفية الاتصال الجنسي بالنسبة للبشر، فإن ألح في السؤال عن دور الأب فالبعض يقترح أن يُجاب بأن الأب يضع بذرة تجعل الطفل ينمو في بطن الأم. ولا بد من الإقرار بأن الأطفال يأتون من أمهاتهم، دون الكذب بأن الطفل جاء من المستشفى، أو جاء به الطير، فالصدق أفضل.

ولا بد من الاكتفاء بقدر معين من المعلومات الجنسية مراعين في ذلك سن الأولاد، وقدراتهم العقلية، مع تقديم هذه المعلومات عند الحاجة بهدوء، دون فوضى، أو غضب، أو غموض وسرية، مع الاحتشام والصراحة والصدق. ولا بأس بتزويد الأولاد بعض الكتب الفقهية البسيطة التي تتحدث عن هذا الموضوع. وكل هذه الإجراءات تكون مع الولد الذي شغلته هذه القضايا وأخذ يسأل عنها بالحاح، أما الولد الذي لم تشغله ولم يسأل عنها فلا داعي لإثارها معه إلا في أضيق الحدود.

ثامنا: التربية الأدبية:

والمقصود بالتربية الأدبية، توعية الأولاد وتدريبهم على محبة الفنون الأدب، وتشويقهم وترغيبهم إلى المطالعة والقراءة والكتابة حتى يكونوا مولعين بالأدب ماهرين في الفصاحة والبلاغة والتفنن. فاللغات وسيلة لتعبير ما في القلوب، فكل شيء يزيد التعبير حسناً وجودة هو الأدب في اللغة. ولكن قلما نجد الأديب الأريب

الليبي، فاليوم قد نضب ماؤه فصار جدالا بلا أثر، وذهب رواؤه فعاد خلافا بلا ثمر، حتى طارت بقية آثار السلف أدراج الرياح، ولذا مسّت الحاجة إلى تجديد الأدب وبت الروح الأدبية في نفوس النَّاس لا سيّما الطلّاب هم الذين يشكلون مستقبلا زاهرا للأمة ويهدون حياة طيبة للمجتمع، فعلى المرّبين أن يعدّوا شعبا طيبّ الأغرّاق ذوي يد بيضاء في فنون متنوعة ومجالات متفنّة. فللتربية دخل عظيم وأثر جليل في إنشاء جيل جيّد، ويمكن أن نهدي الأولاد نحو العالم الأدبي الذي هو شذّي الأنداء ونضير الرّواء، بأن نجعلهم مشتاقين راغين إلى واحتها الخلابة حسب قدرتنا فيقرءون كتباً عديدة ويطلعونها، فمجرد القراءة تسوق اهتماماتهم وانتباهاتهم إلى معرفة معاني حقيقة وحقائق مخفية داخل السّطور. فبالترّيح تحقّق أحلامنا وأهدافنا بأن صاروا بارعين في هذا الفنّ وتمهّرين في شتى أساليبها ومختلف أشكالها مع ارتفاع قوة فكرياتهم حتّى يشتغلون ويقضون أوقاتهم النفيسة للترقي الأدبي والتطور اللغوي فيتسع عالم الأدب عمقا وعرضا وطولا. حقيقة أن اللّغات تشرق بأنوار الأدب فيه تكون اللّغات مكّلة لأنّ الكلمات إنّما تكون مستحسن الطّباع ومقبول الأسماع إذا كانت محسّنة بسحر الأدب ومزيّنة بجماله. فكّلما نودع الأولاد أسرار الغامضة يزيدون وجهة ونظريّة فيعلمون الكتب ويفقهون بتأويلها ويقدرّون على الاستسقاء من أغوارها وإدراك مراميها وحقائقها فإذا لم نبلّ أزهار اللّغة بماء التربية الأدبيّة تصير ذابلة يابسة متروكة، فإن نروها تكون شذيّة الأنداء ونضيرة الأفهام بحيث تفوح رائحة الأدب إلى مسيرة متباعدة بلا حدود.

الفصل الرابع:

وسائل التربية:

وينبغي للمربي استعمال الوسائل التربوية السهلة الناجحة ليكون ناجحاً ومطمئناً في أداء مسؤولياته الملقاة على عاتقه، ولكل وسيلة من وسائلها مزاياها الخاصة. والذي يجب على المربي اختيار ما كانت منها موافقة ومناسبة لأحوال الأطفال وظروفهم وبيئاتهم، ومن الوسائل المعروفة عند الأكثر ما يأتي:

التربية بالقدوة :

و"القدوة" لها مكانة مرموقة بين وسائل التربية، وإن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لما في كيان الإنسان من غريزة فطرية تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار، فهم أكثر تأثراً بالقدوة إذ يعتقد الأولاد الصغار في سنواتهم الأولى أن كل ما يفعله أبائهم صحيح، وأنهم أكمل الناس وأفضلهم، لهذا يقلد الأطفال آبائهم ويقتدون بهم. عادة يبدأ التقليد عند الأطفال منذ السنة الثانية تقريباً، ويكثر تقليدهم في السن الخامسة أو السادسة، ويستمر معتدلاً إلى الطفولة المتأخرة ولا ريب أن هذا التقليد دليل على محبة الأطفال لأبائهم، وليس ناشئاً عن خوف أو هيئة أو خشية منهم، بل هو ميل حقيقي قد امتلك قلوب الصغار نحو آبائهم، وذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، "وهذا الاعتقاد الصحيح ينقض ما ذهب إليه "فرويد" صاحب عقدة "أوديب" من الزعم بأن الولد يكن في نفسه بغض أبيه وكرهه لأنه ينافسه على أمه وهذا لاشك يعد من الافتراء الباطل واتهام فطرة الأولاد الأبرياء بالنفاق والخداع منذ حداثة أسنانهم، وقبل أن يكونوا مكلفين، وهذا النوع من الاتجاهات المنحرفة وما شابهها يحذر الأب منها غاية الحذر فلا يكثر من الاطلاع عليها في الكتب المنحرفة، فضلاً عن الاعتقاد بها

والعمل بموجبها، مع الحذر من بعض الكتاب الذين تبعوا فرويد في اعتقاده الباطل بشيء من التهذيب والتحسين دون تصريح، خطأ منهم، أو جهلاً".

والأولاد لا سيّما الصغار منهم يتعلمون بالقذوة والمثل أكثر بكثير مما يظن ويتصور الأب، فالطفل يتأثر بالأباء ويقلد طريقتهم في معاملتهم، وعلاقتهم بجارهم، وحديثهم عن زملائهم في العمل، دون أن يشعر الآباء غالباً بهذا الأمر، فاتجاهات النفسية للآباء - لاشكّ - تصبح كلها هي نفس اتجاهات النفسية للولد أيضاً، وبناء على هذا، ينبغي للآباء التعود على فعل الخير دائماً ليكونوا قدوة صالحة لأطفالهم في جميع الأمور، فقد ذم الله تبارك وتعالى ومقت الذين تخالف أعمالهم أقوالهم، فقال جلّ وعلا "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"^{٩٣}، وقال عليه الصلاة والسلام "يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية"، وهذه المخالفة أي قولهم لعملهم، تكون سببا في نبت بذور النفاق في قلوب الأطفال الصغار، خاصة الأطفال الذين لا يعقلون، فالطفل الذي ينشأ وهو يعتقد أن أبوه منافق وراء في عبادته وأمور دينه، يكون أصعب الأمور في اجتذابه واستمالته إلى الدين الحنيف.

وقد تنبه علماؤنا المتقدمون - جزاهم الله أحسن الجزاء - إلى هذا الأمر وأهميته. فهذا عمرو بن عتبة ينبه معلم ولده لهذا الأمر، فيقول: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت" فالأولاد لا يدركون المعاني المجردة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي بل لابد لهم من المثل الواقعي المشاهد. ويعلم مما ذكر، أنّ التفقيه المجرد لا يثمر مع الأطفال وإن استعملت معهم جميع أنواع التربية ووسائلها إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة

٩٣ (سورة الصف، الآيات: ٢، ٣).

فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنواع السلوك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

التربية بالعادة :

ومما لا ينكره ذو عقل سليم أن للبيئة الصالحة أكبر الأثر في تربية الطفل المسلم على الصلاح والتقوى، وتكوينه على أسس الإيمان والتوحيد والأخلاق الفاضلة، فإنّ الإنسان في الغالب يكون إلى ما اعتاد أميل وعليه أحرص وبه أشدّ تمسكاً، والأصل في التربية بالعادة حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال "مروا أولادكم بالصلاة وهم أولاد سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع"^{٩٤} ومما لا شك فيه أنّ التكرار على عمل واحد سنوات، يكون عادة لا محالة، ويصبح عادة راسخة في النفس، فقلما ينساه ويسهوه، لكونه عادة فيه، ولذا قال ابن مسعود رضي الله عنه "وعودوهم الخير، فإن الخير عادة".

ويبدأ تكوين العادات في سن مبكرة جداً، فإذا رأى الطفل أباه يصلي في يوم خمس مرات فإن الطفل لاشك يقلده ويفعل مثل ما يفعله أبوه، وأحياناً عسى أن يذكر أباه بأمر الصلاة إذا نسي الأب أو سهاه، وذلك لما كانت الصلاة عادة فيه . وكالصلاة سائر الأعمال الخيرية مثل الصوم والزكاة والصدقة وغيرها، فإنّ الآباء إذا قاموا بأدائها أمام أولادهم في أحسن وجه لا شك تكون عادة فيهم فلا يصعب عليهم أدائها إذا كبروا لما كانت هذه عادة في نفوسهم. فعلى الآباء والمربين أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل، وأن يعطوا لتربية أولادهم حقها من التهذيب والتعويد، فإن التربية بالعادة هي من أقوم دعائم التربية ومن أمتن وسائلها في تنشئة الطفل إيمانياً وخلقياً واجتماعياً ونفسياً.

(٩٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٣

التربية بالموعظة:

ومن أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الطفل إيمانيًا، وإعداده نفسيًا وخلقياً ... تربيته بالموعظة والنصيحة، لما في الموعظة والنصيحة من أثر كبير في تفهيم الطفل حقائق الأشياء، وتشجيعه على الخيرات، وتوعيته بمهام الأمور. ومما لا ينكره ذوعقل سليم أن الموعظة المؤثرة، والنصيحة المخلصة، إذا وجدت لها نفسا صافية، وقلبا خاشعا متعظا، فإنها أسرع للاستجابة، وأبلغ في الوقع والتأثير، هذا في الكبير... فكيف بالطفل الصغير الذي ولد على الفطرة، وقلبه طاهر نقي كالمرآة، ونفسه بيضاء صافية كالزجاج فلا شك أن تأثره بالموعظة أشد، وقبوله للتذكرة أقوى. والقرآن الكريم قد قرر هذا المعنى في كثير من آياته، وأكد بالانتفاع من المواعظ والذكرى فمنها:

"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"

"وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"

"ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"

"تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ"

والقرآن الكريم مليئ بالآيات التي تتخذ الموعظة أساسا لمنهج الدعوة، وطريقا مؤثرا ناجحا في إصلاح الفرد والمجتمع، فما على الآباء والأمهات ومن عليهم حق التربية إلا أن يفهموا هذه الحقيقة، وأن يسلكوا مسلك القرآن الحكيم في مواعظه وإرشاداته، وأن يستسئوا بسنة رسول الله ﷺ، وأن يدخلوا مدخل الصالحين المتقدمين في التربية الصالحة، والنصيحة المخلصة المؤثرة .

التربية بالملاحظة :

والمقصود بالتربية بالملاحظة: ملازمة الطفل وملاحظته في التكوين العقيدي والأخلاقي، وملاحظته ومراقبته في الإعداد النفسي والاجتماعي. ولا غرو أن هذه

التربية تعتبر من أقوى الأسس في تكوين الإنسان المتوازن المتكامل الذي يعرف ما له وما عليه من الحقوق الإنسانية والاجتماعية والفردية وغيرها. والولد الصادق الأمين عندما يعلم ملاحظة الناس ومراقبتهم له في كل ناحية من نواحي الحياة، لا شك إنه يجهد لإصلاح ظاهره وباطنه، وهذا في عامة الناس وأما إذا كان الرقباء والملاحظون من يحبونه حق محبته، ويبدلون لصالحه وخيره ما في وسعهم، ولا يفترون عنه حتى في منزله وبيته، من آبائه وأمهاته، فإنه يهتم بالأمر كثيرا، ويبالغ في الإصلاح.

فعلى الأب العاقل أن يلاحظ ما يتلقته الطفل من مبادئ وأفكار واعتقادات وغيرها على يد من يشرفونه على تعليمه وتنقيفه وتهذيبه في المدرسة أو في غيرها، فإن وجد الأب خيرا فليحمد الله سبحانه وتعالى، وإن وجد غير ذلك فاليقم بمهمته الكبيرة الملقاة على عاتقه من غرس مبادئ التوحيد، وتثبيت قواعد الإيمان، واستيصال جذور الإلحاد والكفر من القلوب، وملئها بنور الإيمان والتوحيد، كما عليه ملاحظة ما يطالعه الولد من كتب ومجلات ونشرات وغيرها، فإن وجد الأب ما يوافق الدين فليحمد الله، وإن وجد ما تحوي في طياتها أفكار الزيغ، ومبادئ الإلحاد فاليقم بمهمته الواجبة من تفهيمه مآل الإلحاد وضرره وفساده وكيفية خلاصه منه مع تعريفه له عن الكتب الإسلامية القيمة.

ومن الجدير بالذكر، أن التربية بالملاحظة لا تقتصر على جانب أو جانبين من جوانب الإصلاح، بل ينبغي أن تكون شاملة لجميع جوانب الإصلاح من إيمانية، وخلقية، وعقلية، وجسمية، ونفسية، واجتماعية وغيرها .

فالأب الفطن يلاحظ ولده في مصاحبته الرفقاء، فإن رأى الأب أن الرفقة التي يصحبها هي رفقة إلحاد، فعليه أن يقطع الصلة بينه وبينهم، وأن يعرفهم عن أخلاء التقوى، وكذا عليه أن يلاحظ في صحة الولد وأكله وشربه ونومه وفكره ولعبه وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وغيرها من أهم الأمور، فالأب المخلص يلاحظ أولاده في هذه كلأها، ويوجههم إلى ما فيه الخير إن وجد ما يخالف الشرع فيها، وكم

يكون الأب مهتمًا حين يدخل مكتب ولده فجأة على حين غفلة منه ، لينظر ما ذا يقرأ؟ وما ينظر؟ ... فقد يدخل ويرى ولده ينظر إلى صورة عارية، أو يقلب صفحات مجلة خلاقية، أو يقرأ في قصة مثيرة، أو غير ذلك من المفاجآت غير المستحسنة ؟ وكم نقرأ في الجرائد عن حوادث خلقية مؤسفة، وعلاقات ذميمة مؤلمة، تقع من أولاد المسلمين وبناتهم، لأباء كرام ما كُنّا متوقعين وقوع مثلها منهم أبداً؟. فسبب هذا كله يمكن أن نقول هو عدم ملاحظة الآباء أو قلة ملاحظتهم أولادهم في أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم خاصة عند ما يكونون في بيوتهم وغرفهم ومسكنهم وحداناً. فالخلاصة أنّ ظاهرة الملاحظة من أعظم الظواهر في كشف الحقائق المستورة المخفية عن الولد، وأنها تعطي للأب صورة حقيقية كاملة عن أخلاقية الولد وسلوكيته في الحياة، فيستطيع للأب أن يعالج ولده بعلاج مفيد مناسب وبطريقة ملائمة بمشيئة الله تعالى.

التربية بالثواب والعقاب :

ومما لاخلاف فيه بين علماء التربية، في اعتماد الثواب والعقاب في تهذيب الأطفال وتربيتهم، فالثواب يفوق العقاب في تأثيره وترغيبه، باعتباره سلاح ذو حدين، يكون عند الاستحقاق من جهة، ويساهم في تكرار السلوك المرغوب فيه من جهة أخرى، وهذا أسلوب تربوي ناجح لاسيما في المراحل الأولى من حياة الأطفال، ومع ذلك أنه ينمي رغباتهم في الخير ويزيد دوافعهم نحو التعلم والعمل الجاد، وأمّا العقاب فهو حلٌ أخير، وملاذ اضطراري يلجأ إليه المربون عند عجز وسائل الثواب عن تحقيق الهدف المرجو منها في تهذيب السلوك و تثقيفه. وهو يردع الأطفال عن اقتراف الآثام، ومع ذلك أنه هو العلاج الناجح في تثبيت دعائم الأمن والاستقرار في الأرض، فإن الأمة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها فهي أمة متقطعة الروابط والأوصال، تعيش في فوضى اجتماعية دائمة .

أما العقوبات التي ينتهجها الآباء، ومن على عواتقهم مسؤولية التربية فإنها تختلف كمّا وكيفية وطريقة باختلاف أحوال الأطفال وبيئاتهم التربوية، فمنهم صاحب المزاج

الهادئ المسالم، ومنهم صاحب المزاج المعتدل، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد، فيعامل كل واحد منهم بما يناسبه من المعاملة الحسنة، فبعض الأطفال تكفيهم النظرة العابسة فقط للزجر والإصلاح، وبعض منهم يحتاج إلى استعمال التوبيخ في عقوبته، وبعضهم يوجب المربيّ إلى استعمال العصا في حالة اليأس من نجاح الموعظة، فالمربون عليهم أن يتدرجوا في المعالجة من الأخفّ إلى الأشدّ، من الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه أوّلاً ثمّ بالملاطفة ثمّ بالإشارة ثمّ بالتوبيخ ثمّ بالهجر وأخيراً بالضرب، عند ما يكون الرجاء منعكساً فيما قبله، ويفهم من هذا أن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسلام، وهو يأتي في المرحلة الأخيرة من هذه المراحل كلّها، فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الأشدّ إذا كان ينفع الأخفّ، لكون الضرب من أقسى العقوبات على الإطلاق، ولا يجوز له ذلك إلا بعد اليأس من كلّ وسيلة من وسائل الإصلاح.

ومما ينبغي أن يعلم أن العقاب ضروري في بعض الأحيان لتقويم سلوك الأطفال وتنمية الشعور بالمسؤولية لديهم، ولكن بشرط ألا يكون تلقائياً متكرراً بحيث يفسد علاقة الولد بأبويه أو معلّميه، لأنّ التعنيف المتكرر يفقد تأثيره شيئاً فشيئاً، بل تكون النتيجة منعكسة أو غير ما كان يتوقعه المربون.

المطلب الأول:

ضوابط العقوبة البدنية:

عند ما يخيب المربي من جميع الوسائل التربوية للإصلاح، واضطر إلى استعمال العقوبة البدنية، يجب له التنبيه إلى ضوابط العقوبة البدنية وشروطها لأن لا يخطئ في تنفيذها في سياقها، وأن لا يجاوز الحدّ فيها، فإن استخدامها ليس على إطلاقه، بل هو في الشرع الإسلامي محدود ومضبوط بضوابط وشرائط لا بد من مراعاتها، ليتحقق الهدف المرجوّ منه في التهذيب والإصلاح.

- ١- أن لا يكون الضرب مبرحا، فلا يكسر عظاما، ولا يجرح لحما، ولا يريق دما.
- ٢- أن يجتنب الضرب في الوجه تكريما له، ويجتنب الرأس، والمواضع المخوفة كالفرج والبطن وغيرهما .
- ٣- أن لا يكون الضرب بالسوط أو بالعصا الغليظة، ولكن بدرّة مأمونة معتدلة الرطوبة والحجم.
- ٤- النظر في حال الطفل وعمره وطاقته وذنبه فلا تنبغي الزيادة على الثلاث، إلا إذا كان الذنب عظيما أو متكررا فتجوز الزيادة على الثلاث إلى العشر، لكن بإذن الولي .
- ٥- أن يكون الطفل أهلا له، فلا يعاقب للشكّ.
- ٦- مراعاة التناسب بين مقدار العقوبة والذنب المقترف.
- ٧- أن يغلب على الظن أن هذا مفيد في ردع الولد وتهذيبه وإصلاحه.
- ٨- مراعاة كرامة الطفل، فلا يضربه بالحذاء مثلا أمام الناس وأمام من يكرمونه.
- ٩- أن لا يوقع العقوبة في حالة الغضب، أو بدافع الانتقام فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: "ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله"^{٩٥}.

٩٥) أخرجه البخاري رحمه الله.

المطلب الثاني : بعض الوسائل التربوية الخاطئة :

عند ما نبحث عن الوسائل التربوية الناجحة، فلا بد من إيضاح بعض وسائلها الخاطئة الذي يقلده بعض المربين، وليس لهم على ذلك أي دليل أو أي برهان، ويستخدمون تلك الوسائل بغية سرعة الفائدة من التربية، ولكن كثيرا ما تكون النتيجة خيبة وخسارة وعض الأنامل. فما أحوج المربون إلى التنبه والتيقظ في هذا الجانب الخطر، ومن أهمها ما يأتي:

١- الأسلوب التسلطي: وهذا الأسلوب يقوم على تحكم الوالدين في أقوال الطفل وأفعاله وحركاته وسكناته، بطريق الجبر والإكراه، وليس له حرية قط في ذلك، وربما يكلفونه بما لا يطيقه، ويلزمونه بما يفوق قدراته وإمكانياته ظناً من الوالدين أنه ينفع له في المستقبل، وهذا من أعظم الخطر بل تكون عاقبته وخيمة، وقد أثبتت الدراسات والتجارب أن لمثل هذا الأسلوب آثاره السلبية الخطرة من أنه يفقد قدرة الولد على إبداء الرأي والمناقشة واتخاذ القرار، وربما يؤدي به إلى العناد والعداوة.

٢- الإهمال الدائم :

يرى المربون أن الطفل إذا أهمل في أول العمر يكون سيئ الأخلاق، كذابا وفحاشا وسرّاقا، فإن حالة الطفولة تحتاج إلى الإشراف والتوجيه، فإذا قصر المربي أو الوالد في ذلك يكون الأمر خطرا عظيما، وإذا فتشنا عن أسباب الانحراف في حياة أكثر السراق المشهورين نصل لا محالة إلى أن السبب هو هذا الإهمال إما من جهة الوالدين أو من جهة الصحبة أو من جهة من حولهم، فلذا يجب على المربي أن يكون على وعي كامل وعلى بصيرة وافية في فهم أخطار هذا الإهمال، وأن لا يتجاهل عن إشراف سلوك الطفل وتوجيهه ترغيبا وترهيبا، وقد يكون هذا التجاهل مقصودا أو غير مقصود، ماديا أو غير ماديا.

٣ - الإفراط في الحماية :

يقوم هذا الأسلوب على تشجيع المربين على إشباع جميع رغبات الطفل وهواه، دون مراعاة الضوابط الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية، وهذه الحماية إذا تجاوزت الحدود لا شك يكون فيها ويله وهلاكه، ومن المقرّر أن لهذا الأسلوب آثاره السلبية المخيفة على شخصية الطفل، حيث ينشأ الطفل أنانياً لا يعبأ بأحد، حريصاً كل الحرص على تلبية رغباته وشهواته، والحصول على كل ما يريد، ويصبح عاجزاً عن الاعتماد على نفسه محتاجاً إلى معونة الغير دائماً.

٤ - الإفراط في الشدة :

وهذا الأسلوب من النظام التربوي القديم، وقد أثبتت التجارب والدراسات بعدم منفعته في إصلاح الولد وتقويم سلوكه، وأن غرمة يفوق غنمه، بل يصير ماله حزناً وكآبة وخيبة. والمراد بهذا الأسلوب هو تعريض الولد للعقاب المستمر إزاء ما يصدر عنه من أنواع السلوك المنحرف، لا العقاب المطلق المناسب لأحوال الطفل إذ لا خلاف فيه بين العلماء، وهذا لا يزيد الولد إلا طغياناً وتمرداً. ومن المعلوم أن المعاملة الغليظة والشديدة تجاه الإنسان بل تجاه الحيوانات منهية في الإسلام، فما نقول في أمر الأطفال الذين لم يدركوا الفهم الصحيح ولم يعلموا حقائق الحياة؟، وقد قال تعالى في وصف المصطفى ﷺ "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" وقد أثنى النبي ﷺ على الرفق وبالغ فيه، فقال: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ". وقد أمر النبي ﷺ بالرفق بالأطفال والرحمة بهم، فقال: "أَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا"، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن رضي الله عنه وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: "مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ". وفي الجملة أن في الرفق جميع الخير حيث قال ﷺ: "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ"

فالمربي الفطن المرید الصلاح لمن یربّیه لا یرتبط له أن یرتبط فظا غلیظا بل رقیقا
لیتبا كما نرى من أخلاق النبی ﷺ وهو أحسن المریین وقائدهم ورئیسهم.

٧- المفاضلة بین الأطفال:

ومعظم الآباء والأمهات یخطؤون عند ما یفاضلون بین أبنائهم، ویفضلون بعضهم
على بعض فی الإنفاق والمعاملة والرعاية والمحبة والشفقة وغيرها، ویكون ذلك
لاعتبارات شخصية أو متعلقة بالولد المميز، جنسه، وصفاته الخلقية أو الخلقية،
و ترتبیه بین الأولاد، وأیا كان السبب فلا مجوز لذلك، إذ الضرر المترتب علیه یفوق
نفعه، بل ربما تكون العاقبة وخیمة و غیر محمودة. ومن أهم آثاره السلبية التفكك
الأسري، ونبت بذور الحقد والعداء فی قلوب الأولاد تجاه بعضهم البعض، وكثرة
النزاع والنشوز بین الأطفال، ولهذا أوصی النبی ﷺ بالعدل بین الأولاد فقال: "اتقوا
الله واعدلوا فی أولادكم". وأمر رسول الله ﷺ أيضا بالتسوية بینهم فی العطاء،
ویظهر ذلك من حدیث نعمان بن بشیر رضی الله عنهما الثابت فی الصحیحین قال:
أعطانی أبی عطیة، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضی حتی تشهد رسول الله، فأتی
رسول الله فقال: إنی أعطیت ابنی من عمرة بنت رواحة عطیة، فأمرتني أن أشهدك
یا رسول الله، قال: أعطیت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: "فاتقوا الله واعدلوا
بین أولادكم"^{٩٦}. قال: فرجع فرد عطیته. فالحدیث يدل بظاهره على عدم جواز
تفضیل بعض الأولاد على بعض فی العطايا ونحوها.

فعلى المریین والوالدین أن یسوّوا بین أولادهم فی المحبة والكرامة والنفقة والشفقة
والعطاء وغيرها، وأن لا ینظروا إلیهم بعین المفاضلة بل بعین العدالة، فإن الأطفال
یرجون التسوية من آبائهم ومربّیهم.

(٩٦) أخرجه البخاری رحمه الله.

٨- التوبيخ المستمر:

وهذا الأسلوب لا يزيد في أخلاق الأطفال إلا عنادا وتمردا، وهو إشعار الأولاد بالذنب بشكل دائم، وذلك من خلال تعريضهم للنقد المستمر، وتتبع زلاتهم وأخطائهم والتكثير من لومهم. وقد يكون التوبيخ شديدا، فيغلظ لهم بالقول، أو يصفهم بالقبيح من الصفات، وقد يجاوز ذلك إلى الشتم أو اللعن أو التحقير، وقد ينشئ لدى الأطفال ردود فعل مختلفة كالاستهزاء واللامبالاة بسماع الملامة وقد يدفع بهم إلى المعاندة والنكاية. ولنا في ذلك أسوة حسنة في رسول الله ﷺ، فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال 'أف' ولا لم صنعت؟، ولا: ألا صنعت؟". وعن عمر بن سلمة رضي الله عنه قال: "كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي: يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد"^{٩٧}. ومن هذا نفهم أن النبي ﷺ لم يوبّخ أحدا من أصحابه بل علّم كلّ واحد منهم آدابا تليق به وأرشدهم إلى طريق السويّ المستقيم المستبين. هـ

(٩٧) أخرجه البخاري رحمه الله.

الباب الخامس

العلماء المشهورون وآراؤهم القيّمة في
ميدان التعلّم والتربية

الباب الخامس

العلماء المشهورون وآراؤهم القيمة في ميدان التعلّم والتربية

ومن المعترف لدى الجميع، لقد اهتمّ جميع الأمم عبر عصور التاريخ بموضوع التعلّم والتربية، وأساليبه ونظريّاته وطرائقه، وأسهم فيه كثير من العلماء المسلمين والفلاسفة والمفكرين والباحثين وغيرهم منذ أفلاطون وغيره من العباقرة، ولا زال هذا ميدان اهتمام المفكرين والمثقفين حتى يومنا هذا في وضع النظريات التي ما زالت تتطور وقتاً بعد وقت.

ومن أعظم وأوثق وأشمل الدراسات التي أرست أسساً هامّة، ووضعت مناهج صالحة خالدة على مرّ السنين هي التربية الإسلامية التي -لا شكّ- أسهم العلماء المسلمون فيها إسهاماً كبيراً. ولا نبالغ إذا قلنا إنّ هناك كثيراً من العلماء المسلمين العباقرة أبدوا آراءهم القيمة في هذا الميدان الفسيح، وقدموا للإنسانية خدمات عملاقة ومواهب جسيمة في حقل التربية والتعليم لا يحوها كراً الأزمان ولا مرّ الدهور ولا ينساها أبناء العرب ولا أحفاد العجم، فمن الصعب إيراد جميعهم وتفصيل خدماتهم الجسيمة في هذا الباب، فمن أبرز هؤلاء الأعلام الذين قدّموا خدمات نفيسة ولهم فضل السبق في التأليف في النظام التربوي الإسلامي هاهو ذا نذكر بعضاً منهم على سبيل المثال لا الحصر:

(١) - ابن سحنون (و ٢٠٢هـ/ ت ٢٥٦هـ) محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي.

(٢) - القابسي (و ٣٢٤هـ/ ت ٤٠٣هـ) أبو الحسن علي بن محمد المعافري.

(٣) - ابن سينا (و ٣٧٠هـ/ ت ٤٢٧هـ) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله

بن الحسن بن علي بن سينا.

(٤) - الغزالي (و ٤٥٠هـ / ت ٥٠٥هـ) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي
الفيلسوف المتصوف.

(٥) - ابن جماعة (و ٦٣٩هـ / ت ٧٣٣هـ) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله
بن جماعة الكناني الشافعي.

(٦) - ابن خلدون (و ٧٣٢هـ / ت ٨٠٨هـ) القاضي عبدالرحمن بن خلدون صاحب
المقدمة الشهيرة ومؤسس علم الاجتماع الحديث.

وقفه مع ابن سحنون:

هو أبو عبد الله محمد بن سحنون، ولد بالقيروان سنة ٢٠٢هـ ونشأ في كنف أبيه:
فقيه المغرب وإفريقيا "عبد السلام سحنون التنوخي"، الذي اعتنى بتربيته وتأديبه
وتعليمه، فكان الوالد شديد التعلق بقره عينه محمد، يخاف ألا يطول به العمر، فلا
يراه في مراتب العلم السامية، وكان يقول: "ما غبنت في ابني محمد إلا أني أخاف أن
يكون قصير العمر"، وقد أنعم الله على الإمام فعاش حتى رأى ابنه يكاد يختم العقد
الرابع من عمره ويتبوأ مكانة مرموقة بين علماء عصره. وكان سحنون يجتهد في
تربية ابنه محمد على الأخلاق الحميدة، ومن ذلك أنه كان يقول له: "يا بني: سلم على
الناس، فإن ذلك يزرع المودة، وسلم على عدوك وداره، فإن رأس الإيمان بالله
المدارة بالناس". وكان يتفرس فيه أن يكون له شأن في مجال العلم، وأن يبلغ فيه
درجة الإمامة، كما كان يلحظ ما امتاز به منذ طفولته من ذكاء ونباهة وإحساس
مرهف. فأخذ حظه من القرآن الكريم والعلوم الضرورية، وتحول إلى مجالس
الدروس على يد ثلثة من الشيوخ الإفريقية فحمل عنهم مروياتهم وأتقنها، ورحل إلى
الأمصار وتعلم عدة علوم، وعاد إلى الإفريقية مزودا بتجربة وعلم غزير ليشع
على المغرب وإفريقيا. وقد اشتعل بالتعليم بالقيروان وألف رسالة سمّاها: آداب
المعلمين وهي على صغر حجمها رسالة قيّمة ونفيسة، بما تضمّنه من آراء تربوية
تعبّر بوضوح عن أن الأمة الإسلامية اعتنت بقضايا التعلّم والتعليم.

رحلته لطلب العلم

رحل محمد بن سحنون إلى المشرق سنة (٢٣٥هـ)، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، لأداء فريضة الحج ولأخذ العلم عن أعلام المراكز الشرقية، وهو يقتفي أثر أبيه الذي رحل، ثم عاد بعلم جم وبالمدونة الكبرى التي أخذها عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم في مصر، وبها انتشر المذهب المالكي في المغرب والأندلس وكانت عمدة المالكية في دراسة مذهبهم ومعرفة أحكامهم.

انتصابه للتدريس:

بعد اكتمال الملكة العلمية لمحمد بن سحنون، وظهور بوادر نبوغه، انتصب للتدريس في القيروان أثناء حياة والده، قال المالكي: "كانت له حلقة غير حلقة أبيه". وكان لابن سحنون مسجد بالقيروان منسوب إليه يعقد فيه حلقات الدرس، وتواصلت عنايته بالتدريس بعد وفاة والده الإمام، فقد قال ابن حارث: "جلس مجلس أبيه بعد موته".

وفاته رحمه الله :

وقد توفي ابن سحنون رحمه الله سنة ٢٥٦هـ مخلفاً وراءه تراثاً كبيراً في مختلف الفنون، وقد ألف كتباً كثيرة تزيد عن عشرين مصنفاً في مختلف العلوم، إلا أن شهرته بالنسبة لدراسة التربية الإسلامية ترتبط بكتابه المعروف "آداب المعلمين" تقبل الله خدماته للدين.

ومن أهم تأليفه:

١- آداب المعلمين.

٢- آداب المناظرين.

٣- الجامع في فنون العلم والفقهاء.

٤- الرسالة الجنوبية.

٥- السير.

٦- التاريخ

٧- أجوبة ابن سحنون.

بعض تصوّراته في ميدان التعلّم والتربية:

١- البدء بتعلّم القرآن الكريم:

اعتبر ابن سحنون أن القرآن الكريم هو منبع العلوم وأساسها، لذا رأى أن يبدأ التعلّم بالقرآن الكريم، وقد أوضح ذلك مستندا على الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار المعتمدة، من مثل ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أفضلكم من تعلّم القرآن وعلمه، وفي رواية أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله عليه وسلم أنه قال: خيركم من تعلّم القرآن وعلمه، وضمن كتابه أحاديث كثيرة، كما روى أثرا عن سفيان الثوري عن العلاء بن السائب قال، قال ابن مسعود رضي الله عنه:.... لا بدّ للناس من معلم يعلم أولادهم، ويأخذ على ذلك أجرا، ولو لا ذلك لكان الناس أميين، وما روي عن عطاء: أنه كان يعلم الكتاب على عهد معاوية ويشترط.

بيّن ابن سحنون آراءه في أمور كثيرة تتعلق بتعلّم القرآن وتعليمه، كأخذ الأجرة على تعليمه، وما يتعلق بالختمة، ومن يستحق الأجر من المعلمين إذا تعلّم التلاميذ على أكثر من المعلم إلا أنّ ما يلاحظ على ابن سحنون أنّه لم يبيّن بتفصيل كيفية تعلم القرآن الكريم، ولا سن المتعلّم. ويبدو من نظرية ابن سحنون هذه، التي تجعل القرآن الكريم أول ما يتعلمه المتعلّم، توافق ما كان منتشرًا في زمانه، خاصة في المغرب، حيث يتمّ تعليم القرآن الكريم قبل شيء، وهذا فيه دليل واضح على أنّ النظام التربوي الإسلامي ينطلق من الواقع ويعود إليه، فلم يؤلف ابن سحنون رسالته إلا بعد أن درس ومارس مهنة التعليم، ففي هذا ردّ على أن المسلمين لم يهتموا بقضايا التعلّم والتعليم. ولا ننسى أن الكتابيب القرآنية وجدت منذ فجر الإسلام، وهي أماكن يجتمع فيها الصبيان لحفظ القرآن الكريم وتدارسه. وسئل

ابن سحنون عن تعليم الصبيان في المسجد فقال: لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم، فهذا يدل على أن القرآن الكريم كان أول من يتعلمه متعلم، وذلك في الكتابيب القرآنية التي كانت منتشرة وما تزال في الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا.

٢- تعليم الأولاد جميع العلوم التي يلزم تعلمها:

لم يذكر ابن سحنون بابا خاصا لطريقة التعليم، أو المواد التي يلزم تعليمها، ولكن يمكن استشفاف ذلك من مؤلفه، حيث يبين ابن سحنون في ثنايا رسالته أن على المعلم أن يعلم الصبية المواد الآتية:

الفقهاء: قال ابن سحنون فيما يرويه عن أبيه: ويلزم المعلم أن يعلمهم الوضوء والصلاة، لأن ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها، والقراءة فيها والتكبير، وكيف الجلوس والإحرام والسلام، وما يلزمهم في الصلاة، وتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ويعرفوا عظمتهم وجلالته، حتى يكبروا على ذلك، ثم تحدث عما ينبغي تعلمه من سنن الصلاة وأمور الدين عامة من الفرائض، والنحو، والشعر، والخطابة، وتحسين الخط، والرسائل، وذلك بأن يأذن للمتعلمين بكتابتها وقراءتها أو بالذهاب إلى المهرة في تلك الفنون. ثم يعلمهم الحساب، يقول في هذا الأمر: وينبغي أن يعلمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له، إلا أن يشترط ذلك عليه، وكذلك الشعر، والغريب، والعربية، والخط وجميع النحو، وينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن، وذلك لازم له، وكذا القراءة الحسنة، والتوقيف، والترتيل، وما يلزم ذلك، ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها، وليس ذلك بواجب عليه.

وتحدث عن تعليم الخطابة فقال: ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا، وتحدث أيضا عن تعليم الألحان، أو ما نسميه الآن: المقامات الصوتية فقال: ولا أرى أن

يعلّمهم التحبير، لأنّ ذلك داعية إلى الغناء، وهو مكروه، وأن ينهي عن ذلك بأشدّ النهي.

واشترط ابن سحنون في تعلّم هذه العلوم ألا ينتقل المعلّم من الدرس إلى آخر، إلا بعد أن يحفظه المتعلّمون، ويقوم المعلّم باختبارهم ليعرف هل سينتقل إلى درس آخر أم لا؟ قال ابن سحنون: ولا بأس أن يجعلهم يملي بعضهم على بعض، لأنّ ذلك منفعة لهم، ولينفّذ إملاءهم، ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها. وهنا يظهر الحديث عن شرط من شروط التعلم الذي يزعم الغربيون أنه من حسناتهم، ويقصد به: عامل التدرج، وهو واضح في منطوق النص قبل مفهومه. يحسن الحديث في هذا المحور عن جملة من الضوابط التي تحكم علاقة المعلّم بالمتعلّم، ومنها:

١- الثواب والعقاب:

رأى ابن سحنون للمعلم صلاحية ضرب تلاميذه على منافعهم، وألا يتجاوز ثلاثاً، إلا بإذن الولي في أكثر من ذلك، ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه، متبعاً قول الرسول ﷺ أدب الصبي ثلاث درر فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة، وأدب المسلم في غير الحد عشر إلى خمس عشرة، فما زاد عنه إلى العشرين يضرب يوم القيامة.

وأورد ابن سحنون حديثاً عن النبي ﷺ قال فيه لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدّق بصاع إلا أن ابن سحنون- إلى جانب هذا- جعل مبدأ الرفق منطلقاً أساسياً من منطلقات التربية والتعليم على الخصوص، ونهجا ثابتاً في علاقة المسلم بالوجود عامة، وفي هذا الصدد يورد ابن سحنون ما روي عن بعض أهل العلم كسعید بن مسیب أنه قال "إنّ الأدب على قدر الذنب، وربّما جاوز الأدب الحدّ." ويبيّن ابن سحنون أيضاً أن على المعلّم أن يؤدّب المتعلّمين إذا أذى بعضهم بعضاً،

ويردّ ما أخذ بعضهم لبعض، وليس من ناحية القضاء" ونبّه على أنّ الضرب لا يكون في حالة الغضب.

٢- التفرّغ لأداء مهمّة التعليم:

يؤكد ابن سنون على ضرورة التزام المعلّم بأداء مهمّته على أحسن وجه، وفي هذا يقول "ولا يحلّ للمعلّم أن يشتغل عن الصبيان، إلّا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه" ثمّ قال: "واليلزم المعلّم الاجتهاد، ولينفرغ لهم، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلا فيما لا بدّ منه، ممن يلزمه النظر في أمره، لأنه أجبر لا يدع عمله، ولا يتبع الجنائز، ولا عيادة المرضى". ومع ذلك أنّ ابن سحنون خصّص لذلك باباً سمّاه "ما يجب على المعلّم من لزوم الصبيان".

٣- تحديد أيام العطلة:

أقرّ ابن سحنون عطلة عيد الفطر للصبيان يوماً واحداً، ولا بأس أن تصل إلى ثلاثة أيام، وأقرّ في عيد الأضحى ثلاثة أيام، ولا بأس أن تصل إلى خمسة أيام، إضافة إلى عطلة الأسبوع من عشية يوم الخميس إلى صباح يوم السبت.

٤- ما جاء في العدل بين المتعلمين:

في هذا الباب نجد ابن سحنون يركز على ضرورة التسوية بين المتعلمين، بين الفقراء والأغنياء، وأن يكونوا سواسية عند مُعلّميهم، واستدل على هذا الأمر بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أيما مؤدب وليّ ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين"، وما روي عن الحسن أنه قال: "إذا قوطع المعلّم على الأجرة، فلم يعدل بينهم - أي بين الصّبيان - كتبت من الظلمة".

وتحدّث عن إجارة تعليم الفقه والفرائض، والشّعْر والنحو، وبيّن أن أحكام هذه الإجارة مثل إجارة معلّم القرآن، وأشار إلى أن المعلّم يمكن أن يعمل بأجر معلوم

كل شهر أو كل سنة، وأن ذلك يُحدّد مع وليّ أمر المتعلّم في عقد الإجارة، ونبّه على أمر مهمّ وهو: "الهدية للمُعَلِّم"، فبيّن أنه لا يحلّ للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية، وغير ذلك. ولا يسألهم في ذلك، فإن أهدوا إليه على ذلك فهو حرام، إلا أن يُهدوا من غير مسألة، ولا ينبغي أن يُهدّدهم إن لم يُهدوا إليه، ويُخليهم إن أهدوا إليه، لأن التخليّة داعية إلى الهدية، وهو أمر مكروه.

٥- إشراك الأسرة في تدبير شأن المتعلّم:

ومن الجدير بالذكر هنا ما أشار إليه ابن سحنون، في حديثه عن عقاب المتعلّم، وتأكيد على ضرورة إشراك الأسرة في تحديد عدد الضربات إن أراد الزيادة فوق ثلاثة، إذ قال في هذا الصدد: "ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب ثلاثاً، إلا أن يأذن له الأب في أكثر من ذلك". وبهذا يكون ابن سحنون قد دعا إلى التعاون بين البيت والمدرسة لإنجاح التعليم، ويبيّن هذا ما أورده في رسالته، حيث قال: "وعلى المعلم أن يُخبر أولياءهم إن لم يجيئوا، ولا يرسل بعضهم في طلب بعض إلا بإذن أوليائهم".

وقفة مع القابسي:

هو الإمام الحافظ الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المَعافِري المعروف بالقابسي، نسبة إلى قرية "قابس" بالقرب من القيروان، وقيل سمّي بالقابسي نسبة إلى عم له يشدّ عمامته بشد قابس فسمي بذلك. وهو فقيه ومتكلم وإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، وكان من الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين، ومؤلفاً مجيداً ثقة صالحاً، وكان أعمى لا يرى شيئاً وهو مع ذلك من أصحّ الناس كتباً وأجودهم ضبطاً وتقيداً، كان مولده في سنة أربع وعشرين وثلاث مائة بالقيروان، وذكر ابن خلكان مولده فقال "وكانت ولادة أبي الحسن المذكور في يوم الاثنين لستّ مضيّين من رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة"^١

(١) التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف.

شيوخه:

تتلمذ على كبار علماء عصره في شتى الفنون والعلوم من أمثال أبي العباس عبد الله بن أحمد الأبياني، وأبي محمد عبد الله بن مسرور العسال، وأبي الحسن علي بن بدر بن هلال، وأبي القاسم زياد بن يونس اليحصبي، وأبي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ رحمهم الله ونفعنا الله بعلومهم في الدارين.

طلب العلم:

شدّ أبو الحسن القابسي الرحال إلى المشرق الإسلامي سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة (٣٥٢هـ) وحج سنة ثلاثة وخمسين وثلاثمائة (٣٥٣هـ) ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث بالإسكندرية من أبي الحسن علي بن جعفر التلياني، وبعد أن تلقى العلم واتصل بكبار العلماء بالمشرق رجع إلى القيروان .

عبادته وورعه :

كان رحمه الله شديد الخشية لله، يحي ليلة الجمعة فلا ينام فيها البتة وربما أحيا غيرها من الليالي، وأما شهر رمضان فكان يقوم ليله كله، يتهدد فيه بالقرآن مع قطع نهاره بالتلاوة والذكر والصلاة، وكان إذا مرّ بآية في تهجده ربما ردها باكيا إلى الصباح، وقد صلى ليلة من الليالي بختمة من أول الليلة إلى آخرها فلما جلس لإلقاء المسائل إلى الظهر عندما تفرق الناس قال لي: يا بني: اعمل لو علمت أن هذا الضعف يدركني عند كبري لا غنمت أيام شببتي، وكان يصوم ويفطر إلا في رجب وشعبان فما رؤي فيهما مفطرا قط، وكان يصوم أيضا في شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة ولقد صام سنة كاملة وأراد التماذي في الصوم فضعف جسمه وضاق خلقه ولقد ختم القرآن الكريم بقصر أبي الجعد من الظهر إلى العصر ثم صار بعد ذلك لتفهمه.

قال عنه الإمام السيوطي رحمه: كان حافظا للحديث، بصيرا بالرجال، عارفا بالأصلين، رأسا في الفقه، ضريرا زاهدا ورعا. توفي رحمه الله سنة أربع وأربعمائة من هجرة سيّد المرسلين تاركا وراءه ذخيرة عظيمة من أنواع العلوم.

ومن أهمّ تأليفاته:

١- الممهد في الفقه وأحكام الديانة.

٢- ملخص الموطأ.

٣- كتاب الاعتقادات.

٤- كتاب الذكر والدعاء.

٥- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

بعض تصوراته في ميدان التعلّم والتربية:

١- الغرض من تعليم الصبيان هو معرفة الدين علما وعملا. وتعليم الدين لا يتيسر إلا بمعرفة المبادئ التي تكتسب بالتعليم كالقرآن والكتابة. ومن هنا اتصل التعليم عند القابسي بالدين اتصال الوسيلة بالغرض.

ب- نادى بإلزامية تعليم القرآن أخذا بالحديث النبوي "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^٢ وساعده في ذلك تطوع الأمراء والأغنياء في زمانه بالإنفاق على الكتاتيب وإجراء الأموال عليها لتستمر في الحياة.

ج- وجوب التعليم للجميع (أولاد وبنات) لأن المؤمنين والمؤمنات مكفون جميعا بنص القرآن.

(٢) رواه البخاري رحمه الله.

د- عدم الجمع بين البنين والبنات في فصل واحد "من صلاحهم ومن حسن النظر لهم لا يخلط بين الذكور والإناث". وهو بذلك متأثر بأستاذه سحنون الذي قال أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن".

هـ- التعطيل يوم الجمعة والأعياد: إن إجازة الأولاد يوم الجمعة أمر مستحب لأن ذلك سنة المعلمين منذ كانوا. أما بطالة الأولاد يوم الخميس فهذا بعيد. وكذلك بطالة الأعياد على العرف المشتهر المتواطأ عليه ثلاثة أيام في عيد الفطر وخمسة أيام في عيد الأضحى.

و- عقاب التلميذ: نهى القابسي عن الانتقام في العقاب، ولذا نهى المعلم عن ضرب الصبيان في حالة الغضب حتى لا يكون ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه. والضرب على التعليم إنما هو عن كثرة الخطأ من الصبيان.

وقفه مع ابن سينا

هو الإمام الهمام أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما، ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى وهي في أوزبكستان في الوقت الحالي من أب من مدينة بلخ وهي في أفغانستان الآن وأمّ قروية، ولد سنة ٣٧٠ هـ ٩٨٠م، وتوفي في همدان وهي في إيران الآن سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٧م) وعرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث في العصور الوسطى، وقد ألف ٢٠٠ كتابا في مواضيع متنوعة العديد منها يتركز في الفلسفة والطب، ويعتبر ابن سينا من أول من كتب عن الطب في العالم كله ولقد اتبع طريقة أبقراط وجالينوس، وأشهر أعماله كتاب "القانون في الطب" الذي ظل المرجع الرئيسي لسبعة قرون متوالية في علم الطب، وبقي كتابه "القانون في الطب" الأساس في تعليم هذا الفن حتى أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوروبا.

ويعتبر ابن سينا أول من وصف التهاب السحايا الأولي وصفا صحيحا، ووصف أسباب اليرقان، ووصف أعراض حصى المثانة، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسانية في الشفاء. وكان والده شخصية ذات منصب عال في دولة السامانيين وأرسله إلى مدرسة بخارى كي يدرس هناك، وذهب ابن سينا إلى مدينة بخارى وهناك التحق ببلاط السلطان نوح بن منصور الساماني الذي أسند إليه متابعة الأعمال المالية للسلطان، وفي بخارى بدأ ابن سينا بتلقي العلوم حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثم تلقى علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب، ودرس ابن سينا على يد عالم بخاري متخصص بعلوم الفلسفة والمنطق اسمه "أبو عبد الله النائلي" وهو من الفلاسفة، فأحسن إليه والده واستضافه وطلب منه أن يلحق ابنه شيئا من علومه، فتفرغ هذا العالم لتلميذه وأخذ يعلمه دروسا من كتاب المدخل إلى علم المنطق المعروف باسم "إيساغوجي"، وكان النائلي يبدي إعجابا شديدا بتلميذه "ابن سينا" حين وجده يجيب على الأسئلة المنطقية المحورية إجابات صائبة وذكية تكاد لا تخطر على بال معلمه، واستمر ابن سينا مع معلمه حتى مغادرة هذا المعلم بلدة بخارى، وبدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره إذ يقال أنه قام وهو في الثامنة عشر من عمره بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي سمحت لابن سينا بالالتحاق ببلاط السلطان ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

وكان عالما وفيلسوبا وطبيبا وشاعرا ولقب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي كما عرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وقد أثارت شهرة ابن سينا الواسعة الكبيرة ومكانته العلمية العظيمة حسد بعض معاصريه وغيرتهم منه، ووجدوا في عقلته وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلا للطعن عليه واتهموه بالإلحاد والزندقة ولكنه كان يرد عليهم بقوله "إيماني بالله لا يتزعزع، فلو كنت كافرا فليس ثمة مسلم حقيقي واحد على ظهر الأرض".

ومن أقواله المأثورة :

*المستعد للشيء يكفيه أضعف أسبابه.

*الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء.

*احذروا البطنة، فإن أكثر العلل إنما تتولد من فضول الطعام.

*العقل البشري قوة من قوى النفس لا يستهان بها.

وفاته رحمه الله:

ذهب ابن سينا إلى أصفهان حيث لقي رعاية كبيرة من أميرها علاء الدولة هناك أصاب جسده بالمرض واعتل حتى ذكر إنه كان يمرض أسبوعاً ويشفى أسبوعاً وأكثر من تناول الأدوية، ولكن مرضه اشتد عليه وعلم أنه لا فائدة من تناول الدواء فأهمل في نفسه وصحته وقال: "إن المدبر الذي في بدىء عجز عن تدبير بدني، فلا تنفعنّ المعالجة" واغتسل وتاب وتصدق من ماله إلي الفقراء وأعتق غلماناً طلباً للمغفرة، وتوفي في يونيو ١٠٣٧م وهو في سن الثامنة والخمسين من عمره ودفن في همدان في إيران.

ومن أهم تأليفاته:

١- كتاب القانون في الطب، الذي كتبه عام ١٠٣٠ م.

٢- كتاب الإشارات والتنبيهات.

٣- كتاب الشفاء.

٤- كتاب النجاة في المنطق والإلهيات.

٥- كتاب الأدوية القلبية.

- ٦- كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانيّة.
- ٧- كتاب القولنج.
- ٨- رسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب.
- ٩- رسالة في تشريح الأعضاء.
- ١٠- رسالة في الفصد.
- ١١- رسالة في الأغذية والأدوية.
- ١٢- أرجوزة في التشريح.
- ١٣- أرجوزة المجربات في الطب.
- ١٤- كتاب الألفية الطبيّة.
- ١٥- كتاب مختصر إقليدس.
- ١٦- كتاب مختصر المجسطي.
- ١٧- كتاب مختصر علم الهيئة.
- ١٨- كتاب مختصر الأرتماطريقي.
- ١٩- رسالة الزاوية.
- ٢٠- رسالة في بيان علّة قيام الأرض وسط السماء.
- ٢١- رسالة في إبطال أحكام النجوم.
- ٢٢- رسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد.
- ٢٣- رسالة في الفضاء.

٢٤- رسالة في النبات والحيوان.

٢٥- كتاب قانون الحركة الأول.

بعض نظريّاته في ميدان التعلّم والتربية:

ا- لا بد من أن يكون التعليم جماعيا في المدارس لا فرديا: لأن انفراد الصّبي الواحد بالمؤدب أجلب لضجرهما. ولأن الصبي عن الصبي ألقن وهو منه أخذ وبه أنس، ولأن التعليم الجماعي من أسباب المباراة والمساجلة والمحاكاة.

ب- تبدأ تربية الصّبي منذ نعومة أظفاره: إذا فطم من الرضاع بُدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة.

ج- أول ما يتعلم الصّبي إذا اشتدّت مفاصله واستوى لسانه وتهدأ للتلقين: القرآن الكريم لما فيه من صور الحروف ومعالم الدين والقصص الخلقية والأحكام.

د- مساندة ميول الصبي وتوجيهه إلى الصناعة والمهنة التي تتفق مع ميوله: "ينبغي لمُدبّر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أوّلا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكائه فيختار له الصناعات بحسب ذلك". وهذا ما يعمل في الدول المتقدمة في الوقت الحاضر حيث تجرى للأولاد اختبارات الذكاء واختبارات الميول والقدرات وحسب احتياجات الدولة من مهنيين وفنيين وفق خطط مرسومة مدروسة.

هـ - مبدأ الثواب والعقاب: ويكون ذلك بالترغيب والترهيب والإيناس والإيحاش، والحمد مرة والتوبيخ مرة أخرى، والضرب بعد الترهيب.

و- ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين، بصيرا برياضة الأخلاق، صادقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف، لبيبا قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، ذا مروءة ونظافة ونزاهة، فالمؤدب قدوة يقتدى به.

وقفه مع الإمام الغزالي رحمه الله :

هو الإمام الهمام العالم العلامة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله ولد في مدينة من بلاد خرسان ببلاد فارس عام ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م، كان أبو حامد الغزالي مشغولاً بالعلم والمعرفة فدرس في صباه على يد أحمد بن محمد الراذكاني في مدينة طوس ثم تتلمذ على يد النصر إسماعيل في جرجان وعاد إلى طوس مرة أخرى وعكف على الدراسة والتحصيل، ثم انتقل إلى نيسابور حيث تتلمذ على يد رجل من أعظم رجال الدين في عصره وهو الإمام الجويني، فدرس علم الكلام وعلوم الدين وكان ذكياً موهوباً، ارتحل إلى بغداد بعد وفاة الإمام الجويني واشترك في مناظرة مع بعض العلماء في حضور الوزير نظام الملك صاحب أقوى دولة سلجوقية وأظهر الغزالي براعة وتفوقاً في المناظرة فأعجب به الوزير نظام الملك وعهد إليه بالتدريس في المدرسة النظامية التي أسسها في بغداد عام ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م وكان الغزالي فصيح اللسان موقفاً موهوباً بقوة عجيبة في المناظرة وفي جميع أنواع العلوم المشهورة في زمانه.

الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي :

فتحت إسهاماته التربوية آفاقاً جديدة في الفكر الإسلامي، وتشمل معالجته جميع القضايا التي تشغل الفكر التربوي المعاصر وقد ضمن الغزالي رحمه الله آراءه التربوية القيمة في كتابه "إحياء علوم الدين" وهو واحد من مؤلفاته التي تزيد عن سبعين مؤلفاً، وقد ركز الغزالي في تفكيره التربوي إلى الواقعية، حيث كان يؤكد على ضرورة تربية الفرد تربية صالحة لأن الفرد في نظره أساس المجتمع ولذلك فإن صلاح الفرد يحقق صلاح المجتمع، فالمجتمع الصحيح في نظره هو الذي ينشئ أفراداً ويربيهم تربية صحيحة، وكان يرى في التعليم سعادة الدنيا والآخرة وإن كان الغزالي لم يكتب إلا القليل عن تربية الإناث إلا أنه كان يرى العلم واجباً على الرجال والنساء وما قاله الغزالي بالنسبة للتعليم في الصغر له أهمية أساسية لأن نفسية الطفل وقلبه يكونان خاليين وقابلين للتطبيق عليهما.

وكان الغزالي رحمه الله يرى أن التربية تتأثر بطبائع الأطفال وبيئتهم وهو بذلك كشف عن ارتباط التربية بالسياق الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع وهي القضية التي تشغل الفكر التربوي في الوقت الراهن.

بعض تصورات التربية:

وقد أثرت أفكار محمد الغزالي في الفلسفة الصوفية على آرائه التربوية تأثيرا واضحا وإذا أضيفت إلى ذلك الاتجاهات السائدة في عصره فسوف يتضح مدى عمق آرائه وأهميتها في سجل التطور التربوي.

وكان الغزالي ينزع إلى الواقعية في تفكيره وأهمية السعادة في الدنيا والآخرة مع شدة الحرص على التطهر من الرذائل والتخلي بالفضائل، ولم ينس في غمرة اهتمامه بالدين عنايته بالعلوم الدنيوية كالطب والحساب وبعض الصناعات الأخرى وكان دائم السعي في تربية الأفراد تربية صحيحة لأن صلاح الفرد بصلاح المجتمع. ويستهدف الغزالي بالتعلم والتربية أن يصل الإنسان إلى الكمال الإنساني الذي غايته التقرب من الله ومن ثم إلى سعادة الدنيا والآخرة ويبلغ الإنسان كماله باكتسابه الفضيلة عن طريق العلم وهذه الفضيلة تسعده في دنياه وتقربه من الله الذي يسعده في آخرته على أن الغزالي ذكر في أكثر من مناسبة على أن العلم يطلب لذاته فهو فضيلة في ذاته على الإطلاق أي يطلب المتعلم العلم لما في العلم من قيمة ومن متعة ومن لذة يستشعر بها طالب العلم.

أهداف التربية عند الغزالي:

تهدف التربية عند الغزالي إلى تكوين المؤمن الفاضل، الذي يستطيع أن يتغلب على بدنه ومعوقاته وبالتالي يستطيع أن يصل إلى سيطرة الروح، على البدن، سيطرة تؤدي إلى معرفة هذا العالم وإلى الوصول على أساس هذه المعرفة، بحثا عن الحقيقة إلى جوهر عالم الأمر والملكوت.

وهنا يرى الغزالي أن الإنسان يولد محايداً، من الناحية الأخلاقية وعلى مدى سيطرة الروح والجسد، يتجه الإنسان إلى القرب من الله، أو البعد عنه، فالقلب الإنساني كما يقول الغزالي " بأصل الفطرة، صالح لقبول أثار الملك ولقبول أثار الشيطان صلاحاً متساوياً" ذلك لأن الإنسان يتعرض لتأثير الملائكة، كما يتعرض لتأثير الشيطان والمهم بالنسبة للإنسان أن يميز بين ما يلهمه إلى عمل الخير وبين ما يدفعه إلى عمل الشر، والعلم والتعليم هما اللذان يؤديان إلى تحقيق قدرة الإنسان على هذا التمييز.

نظرياته في عملية التعلم:

يقول الغزالي في الرسالة اللدنية "إن بعض الناس يحصلون العلوم بالتعلم وبعضهم بالتفكير".

فتحصيل العلم بالتعلم يحدث إذا أغلبت القوة البدنية على النفس وفي هذه الحالة يحتاج المتعلم إلى فترة زمنية طويلة وإلى زيادة في التعلم وإلى تحمل المشقة والتعب. أما تحصيل العلم عن طريق التفكير فيحدث إذا غلب نور العقل على أوصاف الحس وهنا يستغني المتعلم بقليل من التفكير عن كثرة التعلم وهذا النوع من التعلم هو النوع الإنساني على أن هناك نوعاً آخر أعلى وأسمى هو التعلم الرباني ويحدث هذا إذا ما استطاعت النفس أن تزيل عنها دنس الطبيعة وتتفصل عن شهوات الدنيا.

منهجه التربوي:

يعتقد الغزالي أن التعليم صناعة من أشرف الصناعات، مستشهداً في ذلك بقول الرسول ﷺ "إنما بعثت معلماً". ويرى أن الإنسان أشرف المخلوقات على الأرض، وأن أشرف ما في الإنسان قلبه وحيث إن المعلم مشغول بتطهير القلب وتقريبه إلى الله فهي صناعة من أشرف الصناعات. وفي ذلك يقول: أشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه والمعلم مشغول بتكميله

وتصفيته وتطهيره وسياقه إلى القرب من الله عز وجل. فيتعلم العلم من جهة عبادة الله تعالى ومن جهة خلافة الله تعالى، فان الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه.

تقسيمه العلوم :

قسّم الغزالي رحمه الله العلوم من حيث منفعتها إلى ثلاثة أقسام وهي :

القسم الأول: علوم مذموم قليلها وكثيرها: وهذه العلوم لا يرجى منها نفع في الدنيا والآخرة كعلوم السحر والتنجيم وكشف الطوالع وهذه العلوم تؤدي الإضرار بدارسيها والمصدقين لها وقد يتشككون في الله بل قد يستخدمها دارسوها ومتقنوها في الشر.

القسم الثاني: علوم محمود قليلها وكثيرها : مثل العلوم الدينية والعبادات وهذه تؤدي إلى تطهير النفوس والسمو بها عن الرذائل والشرور وتقرب الإنسان من ربه جلّ وعلا.

القسم الثالث: علوم يحمد منها قدر معين: يذم التعمق فيها وهي التي تسبب في إرباك الناس وتشككهم وتؤدي إلى الإلحاد كالفلسفة.

ويقسّم أيضا العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين:

(الأول): العلوم المفروضة أي فروض عين: التي يجب على كل مسلم معرفتها مثل علوم الدين، على رأسها دراسة كتاب الله عز وجل.

(الثاني): العلوم المفروضة أي فروض كفاية: أي العلوم التي لا يستغنى عنها في تسيير أمور الدنيا، مثل علوم الحساب والطب وبعض الصناعات كالزراعة والحياسة. وقد أجاد الغزالي في الجزء الأول من كتابه "إحياء علوم الدين" بتقسيماته المتعددة، للعلوم المختلفة، فتكلم عن العلوم الشرعية والعلوم المحمودّة كما قسم الفلسفة إلى

خمسة فروع وهي الرياضيات، العلوم المنطقية، الإلهيات، الطبيعيات، والسياسات، الخلقيات.

منهجه الذي اقترحه بحسب أهمية العلوم:

أولاً : مجموعة القرآن الكريم وعلوم الدين كالفقه والسنة والتفسير.

ثانياً : مجموعة اللغة والنحو ومخارج الحروف والألفاظ وهي علوم تخدم علوم الدين.

ثالثاً: فروع الكفاية وهي علوم الطب والحساب والصناعات المختلفة بما فيها من السياسة.

رابعاً : العلوم الثقافية كالشعر والتاريخ وبعض فروع الفلسفة وقد رتب الغزالي هذه العلوم بحسب أهميتها. ونلاحظ اهتمامه بالعلوم الدينية والخلقية وكذا بالعلوم الضرورية لحياة المجتمع كما أكد النواحي الثقافية.

آداب المعلم وشروطه عند الإمام الغزالي رحمه الله:

الشفقة على المتعلمين.

أن يكون تعليمه بدون مقابل.

أن لا يدخر في نصح المتعلم شيئاً.

أن يبدأ بصلاح نفسه فان أعينهم إليه ناظرة وأذانهم إليه مصغية فما استحسنته فهو عندهم حسن وما استقبحة فهو عندهم قبيح .

أن يلزم الصمت في جلسته ويكون معظم تأديبه بالرهبة. أن لا يكثر الضرب والتعذيب ولا يحدثهم فيجروون عليه ولا يدعم يتحدثون فينبسطون بين يديه.

أن لا يمازح بين أيديهم أحداً ويتنزه عما يعطونه ويتورع عما بين يديه.

أن يعلمهم الطهارة والصلاة ويعرفهم بما يلحقهم من نجاسة.

زجر المتعلم عن سوء الخلق بطريقة التعريض بما أمكن.

أن لا يفرض على الطالب اتجاه المعلم وميله.

أن يتعامل مع المتعلم على قدر فهمه.

التعامل مع المتعلم بجلاء ووضوح.

أن يكون المعلم عاملاً بعلمه.

آداب المتعلم وشروطه عند الغزالي:

تقديم طهارة النفس على رذائل الأخلاق ومذموم الصفات.

التقليل ما أمكن من الاشتغال بالدنيا.

ألا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم.

على المبتدئ ألا يخوض أو يصغي إلى اختلاف الناس.

ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعها إلا وينظر فيه.

ألا يخوض في فن دفعة واحدة ويراعي الترتيب ويبدأ بالأهم.

ألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله.

أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم. أن يكون قصد المتعلم في الحال

تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة.

أن يبدأ بالسلام ويقوم للأستاذ احتراماً له.

أن لا يقول له، قال فلان خلاف ماقلت.

أن لا يسأل جليسه في مجلسه ولا يبتسم عند مخاطبته ولا يشير عليه بخلاف رأيه. ولا يأخذ بثوبه إذا قام ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى يبلغ إلى منزله. ولا يكثر عليه بالسؤال وغيره عند مله.

وبالجمل، أنّ المتفحص المنصف في تراث هذا الإمام الكبير يجده متميزاً عن غيره من علماء عصره - بل ومن جاء بعده في العصور المتأخرة - بميزة رائعة في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، ألا وهي الفكر المنهجي الدقيق الذي يرى واضحاً جلياً في كتابته باختلاف مواضعها وفروعها.

وقد التزم الإمام الغزالي في منهجه هذا اليسر والسهولة وقرب المأخذ حتى ليستطيع القارئ العادي الذي لم يدرك التخصص أو التعمق أن يتذوقه ويفهمه ويلم به ويتفاعل معه، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن هذا الإمام العظيم كان يمتلك أفكار الناس ويجتذبها إليه ويبني على أساسها حججه المقنعة في ترتيب الدلائل والمقدمات والنتائج، مكوناً منها بعد ذلك أسلوباً رائعاً يتسم بسلاسة العرض وسهولة البيان. ولعلّ طول باعه، وثبات جذوره في ميادين العلم المختلفة يسّر له دعم آرائه وأفكاره أياً كانت بالحجة القاطعة والدليل المقنع والبرهان الساطع.

وقفه مع ابن جماعة:

هو العالم العلامة، قاضي القضاة محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم الكناني الشافعي، وكنيته أبو عبد الله، ولقبه بدر الدين. ويعرف منسوباً إلى جده الرابع "جماعة"، وقد ذكر بدر الدين نسبه مفصلاً في آخر ورقة من ورقات كتابه "المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي"، مرفوعاً إلى قبيلة كنانة العربية^٣.

(٣) فوات الوفيات، ١: ٣٥٣

ولادته ونشأته ووفاته:

ولد بدرالدين ابن جماعة بحماة سنة ٦٣٩ هـ، باتفاق جميع الروايات، وتلقى علمه الابتدائي بمسقط رأسه، ونشأ في أسرة شريفة عربية مشهورة بالعلم والصلاح حيث كان والده وأخواه من أهل الحديث والورع والتقوى. ثم قدم إلى دمشق وكانت في عصره محجّ العلماء وطلبة العلم، اشتهر عنه مهارته في إنشاء المدارس وتأسيسها على قواعد متينة والإشراف عليها بأساليب مبتكرة ممتازة، وشهد له العلماء بإتقان التدريس وإجادة مهاراته، ولما ذاع فضل بدر الدين بن جماعة أسند إليه قضاء الشافعية بالقدس عام ٦٨٧ هـ، ثم نقل إلى الديار المصرية سنة ٦٩٠ هـ. وقد تسنى لبدر الدين أن يعيش في كنف أبيه برهان الدين إبراهيم حياة علمية راقية، ذلك أن أباه كان فقيهاً متصوفاً ورعاً متعبداً، مراقباً لله في حاله ومقاله، فنشأ بدر الدين على طريقة أبيه محمولاً على جناح العلم والتصوف سنوات كثيرة^٤. وتوفي رحمه الله بالقاهرة عام ٧٣٣ هـ مخلفاً وراءه ثروة علم لا تنفذ ولا تنسى.

أساتذته :

وقد حظي الإمام بصحبة كثير من العلماء الكرام، فالذين سمع منهم وروى عنهم في حماة ودمشق والقدس والقاهرة فهم كثيرون، منهم: جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية في النحو، والقاضي تقي الدين ابن رزين الحموي، ومسند الشام ابن أبي اليسر، وابن عزون، وابن عبد الله، وابن مسلمة، وابن القسطلاني، وأصحاب البصيري، كما روى عن شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري الحموي وغيرهم.

(٤) السبكي، الطبقات.

تدريسه وتوليه القضاء:

ولما أتم بدر الدين تحصيله العلمي انصرف إلى التدريس والإفتاء، فقد ذكر أنه كان يدرس بالقيصرية في دمشق^٥ وأنه أفتى في سن مبكر، ولما عرضت فتواه على الشيخ محيي الدين النووي استحسنت ما أجاب به. أما السبكي صاحب الطبقات - وهو أحد تلامذة بدر الدين - فقد ذكر أنه ذو عقل لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه، وكفاه فخراً وشرفاً وشهادة على فضله وعلو منزلته العلمية، أن الإمام الهمام السبكي رحمه الله - صاحب الطبقات - صار تلميذه المحب.

وقد انتدب ابن جماعة إلى القضاء والخطابة في القدس ودمشق والقاهرة، وبقي قاضياً للقضاة في مصر وحدها خمساً وعشرين سنة، ولما استغنى لم يأخذ على القضاء أجراً معلوماً، مقتدياً بشيخه تقي الدين ابن رزين الحموي^٦، ويبدو أن أجمل أيامه في القضاء كانت في دمشق والقدس، حيث كان بعيداً عن مركز السلطة، سالماً من الكيد والحسد، آمناً على دينه. وذلك كثيراً ما كان القضاة يتعرضون للعزل والنقل بسبب وقوفهم إلى جانب الحق، وعدم استجابتهم لأهواء السلاطين والملوك.

"وقد أكسبته حياة القضاء الطويلة علماً لا ينضب معينه، وخبرة واسعة في دنيا الناس، وفهماً عميقاً لفنون الرواية والدراية، فانصرف يؤلف الكتب في قواعد الحكم والأحكام الفقهية، وفي أصول البحث والمناظرة والتربية. ثم لما كف بصره، وثقل سمعه، أعفى نفسه من القضاء، غير أنه لم ينقطع عن التدريس. وكان بيته المطل على نهر النيل موئلاً يقصده أهل العلم والأدب، فيسمعون، إلى أن وافاه الأجل سنة ٧٣٣هـ، عن عمر يناهز الرابعة والتسعين، ودفن بالقرافة في القاهرة، قريباً من الإمام الشافعي، وكانت جنازته حافلة هائلة"^٧.

^٥ ابن كثير البداية والنهاية ١٤: ١٦٣
^٦ السبكي، الطبقات ٥: ١٩٠.
^٧ ابن العماد، شذرات الذهب ٦: ١٠٦.

تلاميذه:

أما تلامذة بدر الدين ابن جماعة فلا نكاد نحصي لهم عدداً، فمنهم من بلغت شهرتهم إلى الآفاق ومنهم قاموا بتأليفات قيّمة لا تزال تذكر وتقرأ على ممرّ الأيام. ويكفيه كرامة ببرهان الدين الشامي، وعبد الوهاب السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى، وعبد العزيز ابن جماعة قاضي القضاة في مصر والشام فلذة كبده وقرّة عينه، وغيرهم أتى على ذكرهم أصحاب التراجم.

ومن تأليفاته القيّمة :

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

(٢) المختصر في علم الحديث.

(٣) كتاب المسالك في علم المناسك.

(٤) المنهل الروي في علوم الحديث النبوي.

(٥) كتاب المقتص في فوائد تكرير القصص.

(٦) تحرير الأحكام في تدبير جيش الإسلام.

(٧) تنقيح المناظرة في تصميم المخابرة.

(٨) حجة السلوك في مهادة السلوك.

صفات المعلم عند ابن جماعة:

يرى ابن جماعة أن المعلم أهم عنصر في نجاح العملية التعليمية، فالتعليم عنده لا يتم بغير معلم، كما أن عناصر التعليم تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح، ويرى ابن جماعة أن المتعلم لا يستطيع تحقيق أهدافه إلا إذا أحسن اختيار معلميه. لذلك لا يصلح

كل فرد للتعليم عند ابن جماعة، لذا وضع ابن جماعة للمعلم آدابا مع نفسه تكون دائما معه وآدابا مع طلابه وحين درسه.

الصفات التي ينبغي للمعلم أن يتصف بها في نفسه عند ابن جماعة:

(١) مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله فإنه أمين على ما أودع من العلوم.

(٢) التخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يُعَدُّ من الدنيا.

(٣) أن ينزه علمه عن جعله سلماً يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه.

(٤) أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات وإفشاء السلام للخواص والعوام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى المنذوبات الشرعية القولية والفعلية فيلازم تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ونحوها، بمعنى أن يتخلق بأخلاق الإسلام من معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام و إطفاء الطعام، وأن يسعى إلى إصلاح نفسه أولاً حتى يكون قدوة لطلابيه وغيرهم.

(٥) دوام الحرص على الازدياد من العلم بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة، وإشغال القلب بالقراءة والمطالعة والفكر والتعليق والحفظ والتصنيف والبحث، ولا يضيع شيئا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة.

الصفات التي ينبغي للمعلم أن يتصف بها في درسه عند ابن جماعة:

١- العناية بالنظافة والتطهر وحسن المظهر والرائحة: حيث يقول: "إذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث وتنظف وتطيب ولبس من أحسن ثيابه

اللائقة به بين أهل زمانه قاصداً بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة" ثم أورد قصة الإمام مالك رحمه الله، أنه كان إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس ثياباً جددًا ووضع رداءه على رأسه ثم يجلس على منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ، وقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

٢- الجلوس في مكان بارز حتى يتمكن الجميع من رؤيته والاستفادة منه حيث يقول: "أن يجلس المعلم بارزاً لجميع الحاضرين".

وهذا أمر مهم جداً في عملية التربية أي أن يكون المعلم في مكان لا يجد الطلاب صعوبة في رؤيته والتواصل معه، ولتكتمل العملية التعليمية لا يكون هناك أي عائق دون أغلب حواس الجسد، وهذا ما يذكره علماء النفس التعليمي أيضاً.

٣- أن يساوي بين الصغير والكبير والعظيم والحقير في الالتفات إليه والإجابة على أسئلتهم، فيرى ابن جماعة أن التفريق بينهم من أفعال المتجبرين والمتكبرين.

٤- تنظيم المنهج ومراحل التعليم، فيرى ابن جماعة: أن يقدم للطلاب الأشرف فالأشرف، والمهم فالأهم، من ألوان المعرفة عند تنظيم المنهج فيقول: "إذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف والأهم فالأهم، فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل".

٥- التوسط في الدرس بين الإطالة والتقصير في مدة الدرس مراعيًا في ذلك حال الدارسين ومصالحهم، فيقول: "وينبغي أن لا يطيل الدرس تطويلاً يمل، ولا يقصره تقصيراً يخل، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة في التطويل".

٦- أن يكون صوته مناسباً للمكان والدرس فلا يكون مرتفعاً أكثر من الحاجة فيكون مزعجاً، ولا يقل فيجد الطلاب صعوبة في الاستماع والتركيز بل يتوسط فيه بحسب الحاجة فيقول: "أن لا يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة".

٧- أن يجعل المعلم في أثناء كلامه فرصة للأسئلة ويترك لمن في نفسه شيء يريد قوله واستفسار شيء يريد بيانه وذلك أمر مهم للغاية حتى لا يضطر الطلاب إلى مقاطعة الشيخ أثناء كلامه فتقطع أفكاره، فقال " وإذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلاً حتى يتكلم من في نفسه شيء من التردد والشك".

٨-المحافظة على هدوء المجلس الذي يلقي فيه الدرس حيث قال: "أن يصون مجلسه عن اللغط، فإن الغلط تحت اللغط، وعن رفع الأصوات واختلاف جهات البحث".

٩- الإنصاف وقبول الحق ولو كان من أحد تلامذته الصغار، فيرى ابن جماعة من صفات المعلم الجيد: "أن يلزم الإنصاف في بحثه وخطابه ويسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان صغيراً ولا يترفع على سماعه فيحرم الفائدة".

١٠- أن يكون المعلم مؤهلاً تأهيلاً كافياً في مجال تدريسه، فإن لم يكن كذلك فإنه لا يحق له أن ينتصب للتدريس مطلقاً سواء عرفت الجهات الرسمية التي عينته أنه مؤهل أم لا، ويبيّن ابن جماعة سبب المنع بقوله: "فإن ذلك لعب في الدين وازدراء بين الناس".

صفات المعلم الجيد مع طلابه عند ابن جماعة:

(١) أن لا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم. وذكر نصوصاً وآثاراً عن السلف تبين أن خلوص النية ليس شرطاً في تدريس الطلاب فقال: "قال بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، قيل: معناه فكان عاقبته أن صار لله" ثم بين الحل لهذه المشكلة بأن "الشيخ يحرض المبتدئ على حسن النية بالتدرّج قولاً وفعلاً، ويعلمه بعد أنسه به أنه ببركة حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل وفيض اللطائف وأنواع الحكم وتنوير القلب وانسراح الصدر وتوفيق العزم وإصابة الحق وحسن الحال والتسديد في المقال وعلو الدرجات يوم القيامة".

٢) ترغيب الطلاب وتشويقهم إلى مجال العلم، حتى يبذلوا فيه غاية وسعهم وجهدهم، وذلك بذكر فضل العلم ومنازل أهله ومكانتهم عند الله أولاً ثم مكانتهم عند الناس، وأن العاقبة للعلم والعلماء طيبة ونحو ذلك من أنواع الترغيب والتحبيب.

٣) أن يحب لتلميذه ما يحب لنفسه كما جاء في الحديث، ويكره له ما يكره لنفسه، وأورد أثر ابن عباس: أكرم الناس عَليَّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه لفعلت.

وهذا الخلق الجميل الذي ينبعث عن طهارة قلبه وسلامة صدره مطلب مهمّ للمعلّم، لأنه يبعث المعلم على اهتمامه بطلابه كاهتمامه بنفسه، وصرف جميع أوقاته فيما ينفعهم ويفيدهم ولا يبخل أن يبذل لهم من أيّ خير من النصح والتوجيه والعلم.

٤) الرفق بالتلاميذ والصبر عليهم.

أنّ ابن جماعة يرى، فالمعلّم الناجح هو الذي يعتني بمصالح الطلاب، ويعاملهم بما يعامل به أعزّ أولاده من الحنوّ عليه والإحسان إليه، فأنجح المعلّمين في عمله هو أشدهم حبّاً لتلاميذه ورقفاً بهم وتواضعاً معهم، ومجتهداً في تفهيمهم وإيصال المعلومة لهم بكل يسر وسهولة.

٥) إذا فرغ من الدرس ينبغي عليه أن يختبر فهمَ الطلاب للدرس من عدمه، ولا يكون ذلك بسؤالهم مباشرة هل فهمتم؟ وإنما يكون باختبارهم بطريقة تجعل المعلم يعرف قدر استيعابهم للدرس فإن السؤال السابق- هل فهمتم- يجعل "ربما استحيا من قوله لم أفهم إما لرفع كل الإعادة على الشيخ أو لضيق الوقت أو حياء من الحاضرين أو كيلاً تتأخر قراءتهم بسببه" فينبغي ألا يقول له هل فهمت" إلا إذا أمن من قوله نعم قبل أن يفهم، فإن لم يأمن من كذبه لحياء أو غيره فلا يسأله عن فهمه" والطريق الصحيح في الاختبار "يطرح عليه مسائل" وبها يعرف مدى استيعابه.

٦) العدل في معاملة التلاميذ: يرى الإمام ابن جماعة يتميز المعلّم الجيد من غيره بالبعد عن الهوى في معاملة التلاميذ. ودعا ابن جماعة إلى أن يحكم العدل سلوكاً

المعلم في تعامله مع تلاميذه، وكره له صفة التحيز ومحابة البعض على حساب الآخرين لما يسببه ذلك في قلوب التلاميذ من نفور ووحشة وكرهية للمعلم والتعليم في الجملة.

بعض آرائه القيمة في هذا المجال:

إنّ المعلم الصالح في نظر ابن جماعة هو من اجتمعت في شخصيته ثلاثة عناصر وهي: غزارة المادة العلمية، الثقافة العامة، ومعرفة المعلم بطبيعة المتعلم. أولاً: غزارة المادة العلمية: - يرى ابن جماعة أن المعلم يجب أن يعرف ما يعلمه أتم المعرفة وأعمقها، كما يجب عليه أن لا ينقطع عن التعلم والدراسة. إضافة إلى البحث في فروع المعرفة التي يقوم بتدريسها. يجب على المعلم أن لا يستتفكف أن يأخذ العلم ممن هو أدنى منه، حتى من تلاميذه. فقد يستفيد من أفكارهم ومعارفهم التي يتبادلونها في الدرس. لا يكفي للمعلم أن يطلع على أساسيات العلم الذي يدرسه لكي ينجح في عمله، لأنه لن يدرك حقيقة هذا العلم- وإن كانت أساسيات - إلا بعد أن يطلع على آفاقه العليا، ولأن المعارف الضئيلة لا تثير أذهان التلاميذ ولا تؤثر في قلوبهم أيّ تأثير، فافتصار الأستاذ عليها لن يفيدهم منها إلا حفظها فقط، فلذا يجب على المعلم أن يكون ماهراً متقناً محباً لمادته العلمية، عالماً بقيمتها، ومتى ما كرهها فترت همته، وكرهه التلامذة وكرهوا المادة التي يدرّسها. وأما وسائل التعلم التي يراها ابن جماعة ناجحة وهي: القراءة والتعليق، الحفظ والبحث، إضافة إلى الاجتماع بالعلماء طويلاً والبحث معهم كثيراً. فإذا تأهل للبحث والتأليف والمهارات اللازمة لهما اشتغل بالتصنيف.

ثانياً: الثقافة العامة - : هي الثقافة الإنسانية الواسعة، التي تهيب للمعلم أسباب انتلاف الطبيعة والحياة الاجتماعية والقيم... فإذا حرم المعلم منها عاش في كهف مظلم منقطعاً عن العالم. التعليم لا يعني مجرد نقل المعلومات من المعلم إلى التلميذ، بل هو أشمل. فهو يتضمّن تثقيف المتعلمين وتزويدهم بالعادات العقلية الصحيحة، مع المعلومات والمهارات المختلفة المتنوّعة. بالإضافة إلى تهذيب نفوسهم ومساعدتهم

على تكوين قيم عالية، وغير ذلك مما يحتاجونه في حياتهم. وكل ذلك يتطلب من المعلم معرفة بعلوم مختلفة، لذلك يرى الإمام ابن جماعة أن على المعلم أن لا يترك فناً أو علماً إلا ونظر فيه. فإن ساعده الوقت على التبحر فيه كان خيراً، وإلا استفاد منه ليجعله لا يعادي هذا العلم جهلاً به - يبدأ التثقيف العام للمعلم عند ابن جماعة بأن يحفظ المعلم من كل فن مختصراً ليتعرف على طبيعة هذا الفن، ولا يعتمد على الكتب ابتداء بل يبحث عن المعلم الأحسن تعليماً في هذا الفن. ثم يحذر الإمام ابن جماعة المعلم من الانشغال بالأمر الخلفية في كل علم، لأن ذلك عديم الفائدة ما دام لن يتخصص فيه، بل وسيشوش فكره ويصيبه بالملل. ويحذر ابن جماعة من أن ينتقل المعلم من كتاب إلى كتاب قبل أن يتقن الأول، لأن فيه ضياع الأوقات. فالتنقل أيضاً من علامات الضجر وعدم الفلاح.

ثالثاً: معرفة المعلم بطبيعة المتعلم: يرى ابن جماعة أن المعلم يجب أن يعرف تلاميذه بوجوههم وأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وأسرهم وجميع أحوالهم. ثم يضع المعلم أمام حقيقة تربوية هي: "كل متعلم فريد في نوعه". لذا يحتاج المعلم إلى معرفة إمكانات جميع المتعلمين، ليكون تعليمه لهم على حسب ما تؤهلهم له قدراتهم. وبالجملة ومما لا يختلف فيه اثنان، أن الإمام ابن جماعة قد أسهم في ميدان التربية والتعليم بأرائه القيمة التي لا زالت ولا تزال تبحث وتذكر حتى إلى يومنا هذا، ولا يخفى على أحد أن كتابه في هذا الميدان كتاب قيم يشفي الغليل ونادر من حيث التخصص والترتيب والسبك والاستدلال، فهو يعتبر تراثاً عظيماً في مجال التربية لا سيما وقد ألفه رجل له باع في أغلب علوم الشريعة وبذل عمره كله في التعليم والتدريس إلى آخر لحظة من حياته جزاه الله خيراً بما هو أهله.

وقفه مع ابن خلدون:

هو العالم العلامة الفقيه القاضي الشاعر المجيد والحكيم المؤرخ عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف العالم الاجتماعي، أصله من إشبيلية، ولد ونشأ بتونس سنة ٧٣٢هـ الموافق لـ ٢٧ ما يو ١٣٣٢م، وتلقى العلم

والأدب من أبيه ومن كبار العلماء في عصره، اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر" في سبعة مجلدات، أولها المقدمة وهي تعد من أصول علم الاجتماع وقد طار صيتها في الأفاق شرقا وغربا وسهلا ووعرا، ولم ينسج أحد من المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات. وتوفي في ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨هـ الموافق ل ١٦ مارس ١٤٠٦م وسنه ٧٦ سنة، ودفن خارج باب النصر بمقبرة الصوفية في القاهرة.

آراء ابن خلدون في التربية :

لا ريب أن ابن خلدون لعب دورا هاما في التراث الإسلامي والعربي، وإضافة إلى ذلك كان ماهرا بارعا في الفن الاقتصادي والسياسي لا سيما في مجال التعلم و التربية الذي يزداد أهميته في العصر الحديث يوما فيوما. ومما لا يشكّ فيه أحد أنه يحتل مكانة مرموقة ممتازة في تراثنا العربي والإسلامي، وينظر إليه على أنه صاحب مشروع ورؤية حضارية رفيعة خاصة ولاسيما فيما يتعلق بدراسة المجتمع الإنساني والتاريخ البشري، ويشار إليه بالبنان أنه صاحب منهجية في التفكير والنظر والبحث والتفسير. فهو لم يكن خالي الذهن من مختلف ميادين المعرفة العلمية، بل كان ذا ثقافة موسوعية شاملة، لديه إحاطة بالعديد من أنواع العلوم حتى طارت شهرته عند عامة الناس بأنه صاحب الفضل في إرساء قواعد فلسفة التاريخ وصار يذكر في الكتب الحديثة بأنه منشئ علم الاجتماع العمراني. وأما منهجه التربوي شاسع الأطراف ويمس جميع الأنحاء خاصة يركز في الناحية التعليمية والتربوية . فقد وضح صراحة أن عملية التعليم والتربية غريزية في الوضع البشري وقوة فكره تميز الإنسان عن سائر الخلائق وقلبه يكون مرغما في الوقوف على ما ليس عنده من المعلومات.

يقول إنّ التعليم والتربية تتكون من عناصر ثلاثة وهي المعلم والمتعلم والطريقة أو الوسيلة. وتتحقق الأهداف التربوية باتصاف واتسام هذه العوامل بشروط الكمال التي تمهد الطريق إلى مستقبل خلاب. وفقا لوجهة نظر ابن خلدون التعلم هو "اكتساب

العلوم واجتلابها إلى القلب" ويقول أيضا "العلوم البشرية قوامها بالنفوس الإنسانية بما أودع الله فيها من قوة الإدراك والتفهم الذي يمكنه على تصور الحقائق". ومن شروط المعلم التي عداها ابن خلدون التواصل والتسلسل في تلقين العلم والتثني عن دمج بين العلوم والفنون المتفرقة في وقت واحد. ومنها اعتناء الفروق الفردية بين الطلبة من المهارات الشخصية كسرعة الفهم والحفظ وأيضا حثهم على الاستمرار والتكرير بالمواد التعليمية. ومن الصفات التي قام ببيانها ابن خلدون لأن يتصف به المتعلم الاستماع والإصغاء وتقديم السماع من القراءة والكتابة في اكتساب العلم. ومنها الاستعداد التام والانهماك الكامل في التعلم بالإعراض عن إغراءات العالم الحديث والاستصحاب والمعايشة مع شيوخ العلم وأصحابه.

وصفوة القول أنّ ابن خلدون هو الذي رسم خرائط التعلم والتربية بالوضوح، وجعل لهما مبادئ وطرائق يسهل معها عملية التعلم والتربية، حيث إنه قسم المعلومات إلى نوعين رئيسيين وهما المعلومات الخاصة بالملكة أي المعلومات الآلية كتعلم اللغة بقوانينها والمعلومات الخاصة بالصناعة أي المعلومات التطبيقية كتعلم اللغة واستعمالها في صورة كلام أو كتابة، وأنه أورد في أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطا دينية، ودينية، ينبغي على المعلم والمتعلم التحلي بها، حتى تكون عملية التعلم والتعليم ناجحة، ومثمرة، فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلا على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية، وتنحصر الشروط في هذه المبادئ الآتية :

أولا:- شروط المعلم عند ابن خلدون:

أ) إحاطة المعلم بمبادئ التعليم وتركه الشدة على المتعلمين: يعد "المعلم" العنصر الأساسي في العملية التربوية، فهو المتصرف في قلوب البشر، وهو أيضا بمثابة الطبيب المعالج للنفس من مرضها وجهلها بالعلوم، بل إن مهمته أخطر فيما يرى "الغزالي أبو حامد" من مهمة الطبيب، لأن الأول متصرف في العقول والقلوب في حين أن الثاني متصرف في الأبدان، وشتان ما بين النفس والبدن، فمهمته إذن

شريفة، إلى الحد الذي تجعله وريثا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن تصدّر لهذه المهمة فقد تقلد أمرا عظيما يفرض عليه آدابا وشروطا، كأن يكون المربي قادرا على التعليم، وذا كفاءة، غير مستبد، ولا يكون قاسيا غليظا مع المتعلم، لكي لا يجرّه إلى الكذب: "وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة"^٨. وأن يكون ذا ثقافة عامة تمكنه من إفادة المتعلمين إفادة متنوعة، توسع في الوقت نفسه من أفقه المعرفي وتحفظه من بلبلة أفكارهم بالمعلومات الخاطئة أو المعارضة أو من مغبة التعصب الأعمى ضد العلوم التي لم يعرفها عن قرب أو بعد، فالناس أعداء لما يجهلون كما يقال، وأن يلم بطرائق التعليم ومبادئه ومهاراته، متوقفا عند مسأله، مستنبطا فروعه من أصوله، حتى يكون التعليم مزدهرا ومحققا لأهدافه: "إن فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشترك بين من شدا إلى ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يعرف علما وبين العالم النحرير"^٩ باعتبار التعلم صناعة شأنها شأن باقي الصناعات الأخرى كما ورد على لسان ابن خلدون، فنجاحها وفشلها يرتبطان بالقائمين عليها، والمعلمون هم سند هذه الصناعة، وهذا المبدأ يمثل اليوم إحدى الاهتمامات الرئيسة للمشرفين على قطاع التربية والتعليم، حيث سنت الوزارة برامج تخص تكوين المكونين، وأحدثت المراكز والهيئات لاستقبال رجال التربية والتعليم، وهذا كله بهدف توسيع وتجديد معلومات المربين، وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية.

٨) مقدمة ابن خلدون.

٩) مقدمة ابن خلدون.

ب- تقديمه المسائل العلمية موجزا أمام الطلاب:

دعا ابن خلدون المربين إلى عدم الاستكثار من العلوم الآلية التي لا ينبغي أن توسع فيها الأنظار ولا توسع فيها المسائل منها على سبيل المثال لا الحصر علم النحو، وبرر ذلك بأن التعمق والاستكثار من مسائله المقفلة سيخرجها عن المقصود، ويصير الاشتغال بها لغوا، خاصة كما نعلم أن للنحو العربي أنحاء ومدارس مختلفة، وأن الهدف الأسمى منه هو معرفة صواب الكلام من أخطائه، وإصلاح الألسنة من اللحن أو اللكنة. وهو في هذا المذهب ينحو نحو الجاحظ "ت ٢٥٥هـ" الذي دعا إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات، والتميز بين النحو كعلم والنحو كتعليم، تضمن ذلك قوله: "وأما النحو فلا تشغل قلبه أي قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به" ^{١٠}، وعليه فإن الاشتغال والإكثار من المسائل، يصير في رأيه من باب اللغو، جاء ذلك في قوله: "... وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو... لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالات، وأكثروا من التفاريح والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة لذاتها. وربما من نوع اللغو، وهي مضرّة أيضا بالمتعلمين على الإطلاق" ^{١١} "يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لاحاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك، كما نبه ابن خلدون أيضا إلى أن الاختصار المخل سيحدث لا محالة ضررا في إيصال المعاني، والإكثار منها في العلوم يخل بالتعليم: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم" ^{١٢}.

١٠) الجاحظ، رسائله تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي .

١١) مقدمة، ص ٧٠٠.

١٢) مقدمة، ص ٥٨٨.

ج - استمراره ومتابعته في تلقين العلم وعدم خلطه بين الفنون:

يقول ابن خلدون إنه لا يجوز الانتقال من مسألة علمية إلى مسألة أخرى قبل فهم المتعلم للمسألة الأولى، ولذا يجب عليه الاستمرار في تلقين المسألة الواحدة إلى أن ينتهي منها، ويتحقق أن المتعلم قد استوعبها وأتقنها، ويحذر من انقطاع المجالس والتفريق فيما بينها، لأن ذلك يؤدي إلى النسيان أولاً، ويؤول إلى عدم تعلق المسائل بعضها ببعض ثانياً، جاء ذلك في قوله: "وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض"^{١٣}. كما نبه إلى عدم الخلط بين المسائل، في قوله "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً، فإنها حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما". وهو بهذا يؤكد على الجانب المنهجي في طريقة التلقين، بعدم الخلط بين علمين، لأن ذلك من شأنه يؤدي إلى خيبة الأمل لدى المتعلم، حيث يصرف باله، ويضعف ملكته في النفس أو يؤخرها على الأقل، لانصراف الذهن، مما ينبغي الاهتمام بمسائل العلم المولدة للملكة العلمية^{١٤} وعدم الخلط بينها.

د- مراعاة الفروق الفردية بين التلامذة :

يدعو ابن خلدون من خلال آرائه التربوية الحديثة إلى الإقرار بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فالعوامل النفسية والبيئية والجسمية تؤدي دوراً أساسياً في تحديد حجم التعلم، بحيث يتفاوت ذلك الحجم بين فرد وآخر، فالأفراد يختلفون في درجة الذكاء والحفظ وفي قدرة الاستيعاب "وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه"^{١٥}. ومراعاة هذا المبدأ المهم أكدّه العلم اللساني الحديث، ذلك أن الأنام لا يتكلمون على منوال واحد، بل تجدهم، حتى في حالة انتمائهم إلى المحيط الاجتماعي نفسه،

^{١٣} مقدمة ابن خلدون

^{١٤} محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة .

^{١٥} مقدمة ص: ٥٨٩.

يختلفون في سرعة السرد، ويتفاوتون في رصيدهم من المفردات ويتميزون من حيث الصوت، ومن جملة تلك الفروق، ما يلاحظ لدى الناس من أن لكل واحد منهم أسلوبا ينفرد به في الإنشاء الأدبي، وفي سرعة تحصيل العلم والمعرفة. ومن هنا طوّل القائمون على عملية التعلم ابتداء من الأنبياء إلى الأساتذة والمربين بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم ومستواهم العلمي.

(هـ) الحثّ على الممارسة والتكرار في عرض المادة:

يدّعي ابن خلدون أن الطريقة الناجحة في تلقين العلوم إنما يكون- كما يقول- " مفيدا إذا كان على التدرّج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا يلقى على التلامذة أوّلا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب لهم في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقلهم واستعدادهم لقبول ما يرد عليهم حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل لهم ملكة في ذلك العلم. فيجب على المعلم أن يذكر للمتعلمين ما يستطيع تحملهم، مراعيًا قدراتهم واستعداداتهم على تلقي تلك المادة العلمية، وأن يبتعد عن التعقيد ويتقيد بالتدرّج في عرض أية مسألة علمية، باعتبار تدرّج أحد المبادئ المساهمة في نجاح العملية التعليمية، ويكون ذلك ببداية المعلم بالشيء الواضح من العلم قبل الغامض، وبالبسيط قبل المعقد، وبالجزء قبل الكلّ، وبالعمليّ قبل النظريّ، وبالمحسوس قبل المجرّد، فلا يبدأ بالعويص من المسائل فيغرقون في أمور لا يحتملونها، فيؤدي بهم إلى الفشل، كما ينبغي على المعلم الاستيفاء بالشرح والبيان، ولا يترك عويصا ولا مبهما ولا مغلقا إلا وضحه، وهذا في رأي العلامة ابن خلدون وجه التعليم المفيد والصحيح، ولن يكون مثمرا إلا من خلال التكرار. فالتكرار إذن مبدأ ضروري لتكوين الملكة، لكونه عاملا أساسيا لتحقيق عملية التعلم، ذلك أن الملكة لا تحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه. وكثرة التكرار تؤدي إلى الحفظ الذي يزيد صاحب الملكة قوة ورسوخا، ولا يحصل ذلك إلا بعد فهم كلام العرب جيّدا .

ثانيا : شروط المتعلم عند ابن خلدون:

(ا) الإصغاء أي الاستماع: إن المتعلم مطالب في بداية تعلمه بالإصغاء لمعلمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه قبل أن يتطرق للاختلافات من المذاهب، ذلك أن السمع أو الإنصات هو أبو الملكات اللسانية في نظر "ابن خلدون"، فالشيء الذي يعين المتعلم على فتح لسانه بالمحاوراة والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما يسمعه، وهذا ما طرقه "ابن خلدون" في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع، حيث يقول: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها...ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة و صفة راسخة ويكون كأحدهم"^{١٦}. فالتعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس يكون حال من ينبني عليه.

وقد أكد علم اللسان التربوي الحديث على ضرورة الاهتمام بملكة السمع باعتبارها الحاسة الأولى المساهمة في عملية التعلم، وهو من المبادئ اللسانية التربوية التي أقرها، ويسمى عند جمهور اللسانيين التطبيقيين "الحمام اللغوي أو الانغماس اللغوي bainlinguistique، وهي تأتي في المرتبة الأولى، ذلك أن الإنسان يسمع قبل أن يتكلم. وهذه الملكة تحصل في رأي ابن خلدون بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك. والظاهر لنا جليا أن الرجل قد أعطى السمع الأولوية في امتلاك ناصية العلم، معتبرا إياه أبا لجميع الملكات، ذلك: "إن الطبيعة وهبت الإنسان لسانا واحدا، ولكنها وهبته أذنين والحكمة في ذلك هي أن يسمع ضعف ما يتكلم " ونجد "ل. بلومفيلد" يشارك ابن خلدون في إعطاء ملكة السمع درجة من الأهمية، حيث استغل

(١٦) المقدمة، ج:٢، الدار التونسية للنشر.

المنهجية السمعية الشفهية في تحليله التوزيعي للغة وفق المحورين الصرفي والتركيبى، إذ من خصائص هذه المنهجية الاهتمام البالغ بالمسموع والمنطوق قبل المقروء والمكتوب ومن ثمة العمل على تنمية اللغة الشفهية.

(ب) الاستعداد الكامل:

وعلى المتعلم أن يستعدّ للتعلم وأن يتفرغ له، وأن يبتعد عن إغراءات الدنيا وشهواتها: "فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً"^{١٧} ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة علاقة عاطفية بين المعلم والمتعلم، والتدرج بالمتعلم مع تشويقه للمادة المراد تلقينها، وهذا بعد دراسة نفسيته واستعداداته العقلية "واعلم أيها المتعلم أنني أتحنك بفائدة في تعلمك فإن تلقينها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ... ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداه من خطئه"^{١٨} "ونبه ابن خلدون المتعلمين إلى ضرورة التحلي بالمنطق والاستمطار برحمة الله متى أفلت وأعوز عليهم فهم المسائل، فإن العلم من الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء من عباده .

ج- ملازمة الشيوخ والرحلة في طلب العلم:

ومما لا يشكّ فيه اثنان أنّ ترسيخ ملكة العلم يكون بملازمة أصحاب العلم، وذلك أن طرائق شيوخ العلم متعددة، فكل طريقته الخاصة في تلقين العلوم وتعليمها، فعلى المتعلم الذي يريد الاستزادة من العلم وتقوية ملكته: أن يلازم شيوخه، والرحلة للقائهم إن اقتضى الأمر "فعلى قدر كثرة الشيوخ، يكثر حصول الملكات ورسوخها.

(١٧) المقدمة ص: ٥٨٩.
(١٨) المقدمة ص: ٥٩١.

ولقاء أهل العلوم وتعدّد المشائخ يفيد التعرف على الاصطلاحات المختلفة المتنوّعة، كما في تعدد المشائخ معونة على اختيار أسلوب متأثر لائق به من الأساليب المختلفة.

وأما الرحلة في طلب العلم قد أشار النبي ﷺ صراحة في معنى قوله، أنه من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم. وبالجملة نمكن أن نقول إن العلامة "ابن خلدون" يعد بحق موسوعة علمية تناولت شتى حقول المعرفة العلمية. فأفكاره التربوية لاتقل أهمية عما تذهب إليه اللسانيات التربوية الحديثة، بل يمكننا القول أن له فضل السبق إلى كثير منها، وبخاصة ما تعلق بطريقة التدريس، من التي نبّه فيها المعلّم إلى ضرورة توخي التدرج والتكرار في عرض المادة العلمية، والتحلي بمبدأ التشويق، مع مراعاة استعدادات المتعلمين، والأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين في أثناء تلقين العلوم. ولذا يكون من الحسن بل من الأحسن وصفه بالباحث اللساني السابق لعصره، فقد تنبه إلى عديد من الأفكار اللسانية التربوية التي يدعو إليها علم اللسان التربوي الحديث، وبخاصة ما تعلق بالشروط الواجب توفرها في المعلّم والمتعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خاتمة

وهنا بعض أهم الاستنتاجات التي تم العثور عليه من خلال البحث وهو كما يلي:-

أولاً: هذا البحث يعرّف على بعض العلماء المشهورين وآرائهم القيّمة في ميدان التعلم والتربية المبنوثة في مواضع مختلفة في كتب شتى، مجموعة في باب واحد حيث يستغني القراء عن صعوبات البحث ومشقات السفر في طلبها في مظانها، كآراء ابن سينا وابن جماعة وابن سحنون وابن خلدون والغزالي وتصوّراتهم في حقول التعلّم والتربية في آن واحد.

ثانياً:- وصل الباحث خلال هذه الدراسة، إلى أنه لا حاجة إلى تفريق العلوم أو تقسيمها إلى المادية والدينية، بل كلّ علم، يكون تعلّمه وتعليمه، والبحث فيه، ممدوحا بحسن النية وصدق الإخلاص فيه، ويكون مذموما بسوء النية سواء كان قرآنا أو نحوه، فالنظر فيه إلى قصد الطالب والمتعلم لا إلى نوع العلوم وماهيتها.

ثالثاً:- يرى الباحث - أنّ التعمّق في مبادئ التعلم والتربية في الأدب العربي الإسلامي- يكون حلاً لكثير من المشكلات التي تحدث في ميدان التعلّم والتربية، وجوابا عن أسئلة كثيرة عجز عن إجابتها أصحاب النظريّات التربويّة الجديدة كما في قضية الاختلاط بين الجنسين في التعليم، حيث رأى الكاتب التربوي الإمام القابسي رحمه الله ينكر على دعاة الاختلاط بين الجنسين أي (الذكر والأنثى) في فصل واحد في قولهم "أنّ الاختلاط بين الجنسين يحد من ثورة الغريزة، ويخفف من هياج الشهوة ويجعل اجتماع الرجال بالنساء أمرا مألوفا وعادياً" بقوله رحمه الله في رسالته عن التعليم "أنّ من حسن النظر

أن لا يخلط بين الذكران والإناث" وهو بذلك متأثر بأستاذه ابن سحنون الذي قال "أكره أن يعلم المعلم الجوارى مع الغلمان، لأن ذلك فساد لهن".

رابعا :- والباحث أثناء بحثه وجد الإمام التربوي المشهور "ابن سينا" يخالف آراء بعض رجال التربية من أمثال "روسو" الذي يُنقل عنه "النهي عن تعليم الطفل شيئا عن الله حتى يبلغ الثامنة عشر، وذلك زعماً منه أن الطفل لا يدرك هذه المعاني، وخشية أن تصبح هذه القضايا والمفاهيم في ذهنه أوهاماً لا يعقلها ولا يفهمها"، حيث يقول الإمام "ابن سينا" تبدأ تربية الصّبي منذ نعومة أظفاره، إذا فطم من الرضاع بُدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة"، وذلك لاستقرار الفطرة في نفوس الأطفال، وتيقظها المبكر، وأن السنوات الأولى من عمر الأطفال تتحدد وتتكون فيها نواة شخصيتهم الأولى، وتكون لهم قدرة فائقة على التعلم.

خامسا:- والباحث رأى ابن سحنون- أحد دعاة التربية الإسلاميّة المشهورة- ينكر على من يزعم من المفكرين المحدثين في هذا العصر من "نهيهم الضرب أو استخدام العصا في الصّف تماما" حيث يقول ابن سحنون "ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب ثلاثاً، إلا أن يأذن له الأب في أكثر من ذلك" ويؤيد قوله تفريضة الله سبحانه الحدود في الجنايات بالقتل والرجم والضرب والتعزير وغير ذلك، ولولم يكن الضرب مثلاً مفيداً لما أمر الشارع تبارك وتعالى بهذه الأمور، فضلاً عن ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال في أمر الصلاة "مروا أولادكم إلى قوله صلى الله عليه وسلّم - وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم عليها" ولولم يكن للضرب فائدة لم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلّم يأمر بذلك.

سادسا:- هذه الدراسة تأتي بإجابة شافية للمربين والآباء وغيرهم ممن على عواتقهم مسؤولية التربية، يشكون من انحراف أولادهم أو تمردهم أو عقوقهم، والذين يشكون من سوء الخلق والفساد لأبنائهم، والذين يشكون من إلحادية أولادهم.

سابعا:- هذه الدراسة تؤكد على وجوب الاهتمام بالآداب والأخلاق بالنسبة للمعلم، وذلك، إذا كان المعلم متصفا بالصفات الجميلة والأخلاق الفاضلة كانت مخرجات التربية والتعليم مفرحة ونتائجها مشرفة يظهر أثرها في جميع جوانب الحياة الإنسانية.

ثامنا:- هذا البحث يلقي الضوء على أهم ضوابط العقوبة البدنية التي لا بد من معرفتها للآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات، والمربين والمرقيات، وغيرهم ممن على عواتقهم مسؤولية التربية، ويدفعهم إلى القيام بمسؤولياتهم في أجمل وجه وأحسن تقويم، ويحذّرهم تحذيرا إذا ما هم فرطوا فيها، بينما كان هذا يساعد الطلاب في دفعهم إلى التعلّم والمعلمين إلى التعليم والمربين إلى التربية.

تاسعا :- الباب الأول- فضائل العلم والتربية - من قبل سرد فضائل التعلّم والتربية المذكورة في القرآن الكريم والحديث الشريف، يتولد في قلوب المعلمين والمتعلمين شعور اعتراز و فخر، بما يقومون من مهنة فاضلة شريفة قامت بها الأنبياء والمرسلون.

عاشرا :- يستطيع المعلمون والمربون والأساتذة وغيرهم بسبب تفهم العوامل المؤثرة في عملية التعلّم، تجديد أساليب التعليم وتغيير صورته وتحسين كفاءته حسب ما تقتضيه الأحوال.

فعلى سبيل الختم:

هذه الأطروحة في عرض مبادئ التعلّم والتربية في الأدب العربي لفتح نافذة جديدة إلى التفكير في ضرورة تعميق النظر وتجديده في ميدان التعلم و التربية ثم مقارنة نتائج ذلك بما يوجد في الثقافة الغربية الحديثة لكي نستمد منه ما يمكن أن ينفعا في إنارة طريقنا المستقبل، ولتشكيل جيل ذي علم وأدب وحضارة وثقافة يعرفون مالهم وما عليهم، وبهم يُضرب المثل في العدل والمساواة، وبهم ينشأ الأولاد على خير ما ينشؤون، وبهم تكون الحياة الإنساني في أمن واستقرار وما ذلك على الله بعزيز. ويعتقد الباحث أنّ بعض الأبواب من هذا البحث، ونظريّات بعض العلماء التربويين المشهورين كابن جماعة وتصوّراته في ميدان التعلم والتربية، يتطلب بحثا مستقلا، فالرجاء المتواضع من السّادة الكرام الذين يحبون البحوث العلمية أن يقوموا بمزيد من البحوث في الأبواب المعينة، ولا يزال الباب مفتوحا أمام كلّ من يرغب البحث في هذا المجال، والله الموفّق، وهو يهدي إلى السّبيل، وأنّه لا يضيع عمل المحسنين.

والحمد لله أولاً وآخرا

المصادر والمراجع

التفاسير:

- (١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، عام ١٤٢٧ هـ الموافق ل ٢٠٠٦ م.
- (٢) البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦ هـ الموافق ل ١٩٩٦ م.
- (٣) الرازي، الإمام الهمام فخرالدين الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - طهران.
- (٤) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥ هـ الموافق ل ١٩٨٥ م.
- (٥) الطبري، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- (٦) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، عام ١٤١٢ هـ الموافق ل ١٩٩٢ م.
- (٧) الشرقاوي، الدكتور أحمد الشرقاوي، يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر، توزيع دار السلام بالقاهرة.
- (٨) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة التهانوية، بديوبند.
- (٩) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مكتبة نزار مصطفى البان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية عام ١٤٢٨ هـ الموافق ل ٢٠٠٧ م.

كتب الأحاديث:

- (١٠) البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، طبع بمصر عام ١١٣١١هـ.
- (١١) مسلم، مسلم بن حجاج القشيري، الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- (١٢) الترمذي، الإمام عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ الموافق ل ١٩٧٨م.
- (١٣) ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية - عام ١٤٠٤هـ الموافق ل ١٩٧٤م
- (١٤) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الصغرى للنسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦هـ الموافق ل ١٩٨٦م.
- (١٥) أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- (١٦) ابن حنبل، المحدث المشهور أحمد بن حنبل رحمه الله، المسند، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (١٧) النيسابوري، الإمام أبو عبد الله محمد الحافظ النيسابوري، المستدرک، القاهرة، طبع عام ١٩٣٧م.
- (١٨) التبريزي، وليّ الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، المكتبة الرشيدية، بدھلي، طبع عام ١٩٦١م.
- (١٩) النووي، الإمام أبو زكريّا محيي الدين يحيى بن شرف النووي رحمه الله، رياض الصالحين، الناشر: المكتبة التهانوي بديو بند.

الكتب العامّة :

- ٢٠) علوان، الدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية- القاهرة، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣ م .
- ٢١) عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزواج، الطبعة الخامسة، اتحاد بكدفو بديوبند.
- ٢٢) ابن جماعة، الشيخ الإمام بدر الدين ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- ٢٣) عبد الحي الحسني، العلامة عبد الحيّ فخر الدين الحسني، تهذيب الأخلاق، مجلس صحافت ونشريات دار العلوم ندوة العلماء - لكهنؤ.
- ٢٤) علي فكري، تربية البنين، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة ١٣٧١هـ الموافق ل ١٩٥٢م.
- ٢٥) أمين الكردي، الشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، مكتبة إشاعة الإسلام، بداهلي- الهند.
- ٢٦) البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، مصر- طبعة عام ١٤٢٨هـ الموافق ل ٢٠٠٧م.
- ٢٧) الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- ٢٨) الأصبهاني، الإمام الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع ١٤٣٠هـ الموافق ل ٢٠٠٩م
- ٢٩) البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٠) الأهواني، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، الناشر: دار المعارف- ١١١٩ كورنيش النيل- القاهرة.

٣١) عبد الرحمن المليباري، رزق الأصفياء، دار المعارف، وادي العرفان، كوزمباز، كاليكوت، كيرلا، الهند.

٣٢) ابن كثير، الحافظ أبو الفداء عماد الدين ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، طبع بمصر عام ١٣٤٨هـ.

٣٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، منهاج الطالبين، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤٢١م.

٣٤) مساهمات علماء كيرلا في الأدب الفقهي باللغة العربية، أطروحة نهائية لشهادة الدكتوراه قدمها حسين سي. أس، تحت إشراف الدكتور. ويران محيي الدين، جامعة كاليكوت.

٣٥) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٦) القرني، عائض بن عبد الله، لا تحزن، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة والعشرون، عام ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢٠٠٩ م.

٣٧) ابن قيم الجوزية، العلم فضله وشرفه، مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٨) منتخب بن موقّق، فتح القيوم في آداب طالب العلوم، الناشر: مكتبة ترورنغادي- كاليكوت.

٣٩) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بداية الهداية، مركز النشر السنّي، تشماد، كيرالا، الهند.

٤٠) سعيد رسلان أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، آداب طالب العلوم، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

٤١) الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية .

٤٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت- لبنان، نشر عام ١٤٠٢ هـ الموافق ل ١٩٨٢ م.

٤٣) الباحثة سناء حسن هدلة، تربية الطفل وأساليبها في التشريع الإسلامي، كلية الشريعة، قسم الفقه وأصوله، جامعة دمشق.

٤٤) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، منهاج العابدين، مكتبة ترورنغاي، كاليكوت .

٤٥) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أيها الولد المحبّ، مركز النشر السنّي، تشماد، كيرالا، الهند.

٤٦) رأفت باشا، عبد الرحمن رأفت باشا، صور من حياة الصحابة، فيصل بليكشن، ديوبند.

٤٧) النووي، الإمام يحيى بن شرف النووي، المجموع- شرح المهذب، الناشر: مكتبة الإرشاد.

٤٨) رأفت باشا، عبد الرحمن رأفت باشا، صور من حياة التابعين، الناشر: دار الأدب الإسلامي، عام ١٩٩٧ م.

٤٩) محمد الفاروقي ومحمد إسماعيل المجددي، تاريخ العربية وآدابها، الناشر: مطبوعات سهارا، كاليكوت، عام ٢٠١٠ م.

٥٠) القرضاوي، الدكتور يوسف القرضاوي، مفهوم العلم وتكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم.

٥١) أبو غدة عبد الفتاح، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة النشر ١٣٩٤-١٩٧٤.

المعاجم:

٥٢) معجم الوسيط، كتب خانة حُسينيه ديوبند، عام ٢٠٠٣ م.

٥٣) المنجد في اللغة، الطبعة الثانية والعشرون دارالمشرق – بيروت.

٥٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، عام ١٤١٠ هـ.

المواقع:

55) <https://ar.wikibooks.org/wiki>

56) <http://www.bahareth.org>

57) <https://ar.wikipedia.org>

58) <http://www.kinanah.net>

59) <http://dzayerinfo.com>